غير مرخصة للطباعة

المحور الأول

التعريف العام بالإسلام

٧

فقه الوسطية الإسلامية والتجديد

الإمـام يوسف القرضاوي

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

من الدستور الإلهي للبشرية

قال الله تعالى: ﴿ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ۝ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴾ [الفاتحة: ٦، ٧].

﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦۚ ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٣].

﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةٗ وَسَطٗا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيۡكُمۡ شَهِيدٗا﴾ [البقرة: ١٤٣].

﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِي ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٗ وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ حَسَنَةٗ وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾ [البقرة: ٢٠١].

﴿وَٱبۡتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنۡيَا﴾ [القصص: ٧٧].

﴿وَلَا تَجۡهَرۡ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتۡ بِهَا وَٱبۡتَغِ بَيۡنَ ذَٰلِكَ سَبِيلٗا﴾ [الإسراء: ١١٠].

﴿ وَلَا تَجۡعَلۡ يَدَكَ مَغۡلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبۡسُطۡهَا كُلَّ ٱلۡبَسۡطِ فَتَقۡعُدَ مَلُومٗا مَّحۡسُورًا﴾ [الإسراء: ٢٩].

نسخة مجانية

٥

غير مرخصة للطباعة

﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمۡ يُسۡرِفُواْ وَلَمۡ يَقۡتُرُواْ وَكَانَ بَيۡنَ ذَٰلِكَ قَوَامٗا ﴾ [الفرقان: ٦٧].

﴿ وَٱلسَّمَآءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ ٱلۡمِيزَانَ ۝ أَلَّا تَطۡغَوۡاْ فِي ٱلۡمِيزَانِ ۝ وَأَقِيمُواْ ٱلۡوَزۡنَ بِٱلۡقِسۡطِ وَلَا تُخۡسِرُواْ ٱلۡمِيزَانَ ﴾ [الرحمٰن: ٧ ـ ٩].

﴿لَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا رُسُلَنَا بِٱلۡبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلۡنَا مَعَهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلۡقِسۡطِ ﴾ [الحديد: ٢٥].

﴿وَلَا تُطِعۡ مَنۡ أَغۡفَلۡنَا قَلۡبَهُۥ عَن ذِكۡرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمۡرُهُۥ فُرُطٗا ﴾ [الكهف: ٢٨].

﴿قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ غَيۡرَ ٱلۡحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوٓاْ أَهۡوَآءَ قَوۡمٖ قَدۡ ضَلُّواْ مِن قَبۡلُ وَأَضَلُّواْ كَثِيرٗا وَضَلُّواْ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴾ [المائدة: ٧٧].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحَرِّمُواْ طَيِّبَٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمۡ وَلَا تَعۡتَدُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ ۝ وَكُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَٰلٗا طَيِّبٗاۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِيٓ أَنتُم بِهِۦ مُؤۡمِنُونَ ﴾ [المائدة: ٨٧، ٨٨].

نسخة مجانية

QaradawiBooks.com

من مشكاة النبوة الخاتمة

عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما، أن النبي ﷺ قال له حين بالغ في التعبد: «**إن لبدنك عليك حقا، وإن لعينك عليك حقا، وإن لأهلك عليك حقا، وإن لزورك عليك حقا**». متفق عليه.

وفي رواية: «**فأعط كل ذي حق حقه**».

عن ابن مسعود رضي الله عنه، قال: قال رسول ﷺ: «**هلك المتنطِّعون**» قالها ثلاثا. رواه مسلم.

عن بريدة الأسلمي رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قال: «**عليكم هديًا قاصدًا ـ ثلاث مرات ـ فإنه مَن يشادَّ الدين يغلبه**». رواه أحمد وابن خزيمة والحاكم والطبراني.

عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «**إن الدين يسر، ولن يشادَّ الدين أحد إلا غلبه، فسدّدوا وقاربوا**». رواه البخاري.

عن حنظلة الأسيدي رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «**يا حنظلة ساعة وساعة**». رواه مسلم.

غير مخصصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

عن أنس رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «**قيِّدها وتوكل**». رواه الترمذي وابن حبان.

عن أنس، أن رسول الله ﷺ قال: «**أما والله أني لأخشاكم لله وأتقاكم له، لكني أصوم وأفطر، وأصلي وأرقد، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني**». متفق عليه.

عن أبي موسى الأشعري قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن من إجلال الله إكرام ذي الشيبة المسلم، وحامل القرآن غير الغالي فيه والجافي عنه، وإكرام ذي السلطان المقسط**». رواه أبو داود.

عن عبد الرحمن بن شبل قال: قال رسول الله ﷺ: «**اقرؤوا القرآن واعملوا به، ولا تغلوا فيه، ولا تجفوا عنه، ولا تأكلوا به، ولا تستكثروا به**». رواه أحمد والطبراني وأبو يعلى والبيهقي.

عن أبي هريرة، أن رسول الله ﷺ قال: «**إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة مَن يجدِّد لها دينها**». رواه أبو داود والحاكم.

عن أبي هريرة، قال رسول الله ﷺ: «**إن الإيمان ليَخْلَق في جَوْف أحدكم، كما يَخْلَق الثوب الخَلق، فاسألوا الله أن يجدد الإيمان في قلوبكم**». رواه أحمد والحاكم.

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

من هدي الصحابة والتابعين

قال علي بن أبي طالب: خير هذه الأمة النمط الأوسـط، يلحق بهم التالي، ويرجع إليهم الغالي. رواه ابن أبي شيبة.

والنمط: الطريقة أو الصنف أو الجماعة من الناس طريقهم واحد.

قال علي بن أبي طالـب: ألا أنبئكم بالفقيـه كلِّ الفقيه؟ مَن لم يؤيس عباد الله من رَوْح الله، ولم يُؤمنهم من مكره. رواه أبو داود.

قال عبد الله بن عمرو بـن العاص: اعمل لدنيـاك كأنك تعيش أبدا. واعمل لآخرتك كأنك تموت غدا. رواه الحارث في مسنده.

قال رجل لأبـي الدرداء: إنَّ إخوانك من أهـل الكوفة من أهل الذكر يقرئونك السـلام! فقال: «وعليهم السـلام. ومرهم فليعطوا القرآن خزائمـه ـ يعني حقه ـ فإنه يحملهم على القصد والسـهولة، ويجنِّبهم الجَوْر والحُزُونة. رواه ابن أبي شيبة والدارمي.

الحزونة: هي الخشن من الأرض، والمقصد: الأمر الشاق.

قال الحسن البصري: اطلبوا العلم طلبًا لا يضرُّ بالعبادة، واطلبوا العبادة طلبًا لا يضـرُّ بالعلم، فإنَّ العامل بغير علم يُفسـد أكثر ممَّا يُصلح، وإن قومًا طلبوا العبادة قبل العلم، فخرجوا بأسـيافهم على أمة محمد ﷺ. رواه ابن عبد البر في جامع بيان العلم.

قال مطرِّف بن عبد الله بن الشِّـخِّير: خير الأمور أوساطها. رواه ابن أبي شيبة.

QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله الذي بنعمته تتمُّ الصالحات، وبتوفيقه تتحقَّق المقاصد والغايات، وبفضله تتنزَّل الخيرات والرحمات، الذي هدانا لهذا، وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله.

وأزكى صلوات الله وتسليماته على صَفْوة خلقه، وخاتم رسله، محمد بن عبد الله، الذي أرسله رحمة للعالمين، وحجَّة على الناس أجمعين، ونعمة على المؤمنين، كما قال تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [آل عمران: ١٦٤].

ورضي الله عن آله وأصحابه الذين ﴿ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٧]، ورضي الله عمَّن اتَّبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

(أما بعد)

فقد وفَّقني الله تعالى ـ منذ دخلتُ ميدان الدعوة والإفتاء والتعليم ـ بفضله ومنَّته، إلى الالتزام بالمنهج الوسطي المجدِّد المتوازن، الذي يمثِّل منهج الأمة الوسط، كما سمَّاها كتاب الله الكريم: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً

QaradawiBooks.com

وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ [البقرة: ١٤٣]. بعيدًا عن تحريف الغالين المتنطِّعين، وتزييف المتسيِّبين المفرِّطين. وهو منهج النبيين والصديقين والشهداء والصالحين(١)، الذي أشار إليه القرآن في قوله تعالى: ﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴾ [الفاتحة: ٦، ٧]، وهو الدعاء القرآني الذي يجب على كلِّ مسلم أن يكرِّره في صلواته كلَّ يوم سبع عشرة مرَّة على الأقل إذا اقتصر على الفرائض.

كما أشار إليه القرآن مرة أخرى، في حديثه تعالى عن «الميزان العام» الذي غرسه الله في الفِطر والعقول، وقرنه تارة بإنزال الكتاب، وتارة برفع السماء. فقال تعالى: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ وَٱلْمِيزَانَ ﴾ [الشورى: ١٧]، ﴿ وَٱلسَّمَآءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ ٱلْمِيزَانَ ۝ أَلَّا تَطْغَوْا۟ فِى ٱلْمِيزَانِ ۝ وَأَقِيمُوا۟ ٱلْوَزْنَ بِٱلْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا۟ ٱلْمِيزَانَ ﴾ [الرحمٰن: ٧ ـ ٩]. فهنا نبَّه القرآن إلى المنهج الذي لا طغيان فيه ولا إخسار في الميزان. أي لا غُلوَّ ولا تقصير، لا إفراط ولا تفريط. وهو المنهج الوسط الذي ندعو إليه.

وهو منهج تلاءم مع فطرتي وعقلي، وانسجم مع فَهمي للإسلام من ينابيعه الصافية، كما تواءم مع منطق العصر، وحاجات الأمة فيه، وعلاقتها بغيرها من الأمم في عصر تقارب الناس فيه حتى غدا العالم قرية واحدة.

وقد نذرتُ لهذا المنهج نفسي وعمري، وأعطيتُه فكري ووجداني، ودعوتُ إليه بلساني وقلمي: إذا حاضرتُ أو خطبتُ، وإذا فقَّهتُ أو

(١) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُو۟لَٰٓئِكَ رَفِيقًا﴾ [النساء: ٦٩]، ففسَّرت هذه المراد بقوله تعالى: ﴿ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ ﴾ [الفاتحة: ٧].

QaradawiBooks.com

أفتيتُ، وإذا علَّمتُ أو ربَّيتُ، في كلِّ آليات اتِّصالي بالناس: على المنبر في المسجد، أو في قاعة المحاضرة، أو في حلبة التأليف، أو على شاشات الفضائيات، أو على الإنترنت.

وقد كنتُ من عدَّة سنين كتبت مشروعًا تحت عنوان «الأمة الوسط» يُعنى بهذا المنهج، على أن تُنشأ له مؤسسة تقوم عليه، قدَّمته لسمو الشيخة موزة بنت ناصر المسند حرم سمو أمير قطر الشيخ حمد بن خليفة آل ثاني حفظهما الله، بيَّنت فيه مَدَى الحاجة إلى هذا المنهج، ولماذا طلبتُ من قطر أن تتبنَّاه؟ واخترتُ الشيخة موزة بالذات لما أعلم من شجاعتها في تبنِّي المشروعات الكبيرة، وقدرتها على التنفيذ. وقد ساعدتني من قبل في مشروع «إسلام أون لاين نت» في الفترة الحرجة في بداية تأسيسه، ولا غرو أن تتبنَّى هذا المشروع.

وبعد مشاورات معها، انتهينا إلى أنَّ من الخير البدء بمشروع كلية الدراسات الإسلامية، التي طالبتني بوضع فلسفتها، وبيان أهدافها واتجاهها، وتأسيس لجنة عليا للتخطيط لها، والإشراف عليها، وأكَّدت لي أن من خلال هذه الكلية يمكن أن يقوم مشروعك الطموح، باعتباره جزءًا فعَّالًا في مؤسسة قطر للتربية والعلوم وتنمية المجتمع.

والحمد لله، قامت الكلية المنشودة، بعد دراسات واجتماعات، وتحضيرات، استمرت فترة غير قصيرة، قامت بها اللجنة الاستشارية العليا، التي أتشرف برئاستها(١)، وأثبتت الكلية وجودها على الساحة بحمد الله.

---

(١) كانت هذه اللجنة تضم مع الرئيس: أ. د. عز الدين إبراهيم من الإمارات، أ. د. فتحي سعود من قطر، أ. د. عبد الحافظ حلمي من مصر، أ. د. هيثم الخياط من سورية، أ. د. عبد الحكيم جاكسون من أمريكا، أ. د. عائشة المناعي من قطر، أ. د. عبد الحكيم وينتر من المملكة المتحدة.

QaradawiBooks.com

وفي العام الماضي «٢٠٠٨م» في احتفال المؤسسة بتخريج أول دفعة لها، أمرت الشيخة موزة بالإعلان عن «مركز القرضاوي للوسطية الإسلامية والتجديد»، فأعلن ذلك عميد كلية الدراسات الإسلامية الأستاذ الدكتور حاتم القرنشاوي حفظه الله، وسط ترحيب الحضور، وعلى رأسهم سمو الأمير الشيخ حمد وحرمه، اللذين وقفا مع الجماهير تحية للمشروع.

ومنذ ذلك الوقت بدأ العمل الجاد لإخراج المركز إلى عالم التنفيذ، وعُيِّن له مدير كفء ذو خبرة يعتدُّ بها، هو الأخ الأستاذ الدكتور محمد خليفة حسن من مصر، وعُيِّن معه الشاب الباحث المتفتح النابه الدكتور محمد المختار الشنقيطي من موريتانيا، ثم لحق بهما العالم الباحث الداعية النابه الشيخ مجد مكي من سورية، ثم عُيِّن اثنان آخران، من شباب العلماء الواعين.

هذا وقد كنتُ كتبتُ كلمات في مفهوم الوسطية ومعالمها المميِّزة لمنهجها، الذي أصبح اليوم يمثِّل تيارًا قويًّا يسنده جمهور الأمة، ويتبنَّى جملة من المفاهيم والمبادئ والقيم الأساسية، التي تقدِّم الإسلام الحيَّ المتوازن المنشود في خطوط عريضة، ولكنها واضحة التقاسيم، بيِّنة الملامح.

ذلك أن من أشدِّ الأمور خطرًا: ترك المصطلحات الكبيرة مثل الوسطية أو التجديد دون توضيح للمقصود منها، ودون شرح لمعناها وماهيتها، شرحًا يلقي الضوء الكاشف على مُقوِّماتها وخصائصها، وأهدافها ومناهجها، ويُزيح الغبار عن حقائقها، ويردُّ على أباطيل خصومها، ويُفنِّد شبهات معارضيها. وبذلك يتَّضح صراط المؤمنين،

QaradawiBooks.com

وتستبين سبيل المجرمين كذلك، كما قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ وَلِتَسۡتَبِينَ سَبِيلُ ٱلۡمُجۡرِمِينَ﴾ [الأنعام: ٥٥].

وبعبارة أخرى: يتبيَّن لنا صراط الله المستقيم، وتتبيَّن السبل العُوج الأخرى عن يمينه وعن شماله، كما قال تعالى: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦۚ ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٣]، وكما جاء في حديث عبد الله بن مسعود أنه قال: خطَّ لنا رسول الله ﷺ خطًّا، ثم قال: «**هذا سبيل الله**». ثم خطَّ خطوطًا عن يمينه وعن شماله، ثم قال: «**هذه سبل، على كلِّ سبيل منها شيطان يدعو إليه**». ثم تلا: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦۚ ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٣][(١)].

وقد نشر مركز الوسطية بالكويت هذه الكلمات في طبعتها الأولى، وقدم لها الأمين العام للمركز في ذلك الوقت أخونا العالم الداعية المعروف الدكتور عصام البشير حفظه الله.

والآن أعيد النظر فيها مرة أخرى - وخصوصًا بعد أن غدا مركز القرضاوي يحمل عنوان الوسطية والتجديد - لأضيف إليها معالم جديدة، رأيتُها غايةً في الأهمية، ودمجتُ بعض المعالم في بعض، وقمتُ بما يسَّر الله من إضافة وتحسين ومزيد من الشرح النسبي، مستفيدا مما كتبته من قديم في عدد من كتبي، إلى أن يُهيئ الله لي شرحها بإفاضة وتفصيل. كما أني رتَّبتها ترتيبًا جديدًا أقرب إلى المنطق من ترتيبها القديم، لتظهر

(١) رواه أحمد (٤١٤٢)، وقال مخرِّجوه: إسناده حسن. والنسائي في الكبرى في التفسير (١١١٧٤)، وابن حبان في المقدمة (٦)، وقال الأرناؤوط: إسناده حسن. والحاكم في التفسير (٢/٢٣٩)، وصحَّحه، ووافقه الذهبي.

QaradawiBooks.com

على الصورة المُثْلى، ما أمكن ذلك. والمؤمن يجتهد أن يرتقي أبدًا من حسن إلى أحسن، ومن أحسن إلى الأحسن، كما هو توجيه القرآن، الذي علَّمنا أن الله خلق السماوات والأرض، وخلق الموت والحياة: ليبلونا أيُّنا أحسن عملا!

وبهذا أصبحت كتابًا جديدًا، بعنوان جديد، أضعاف الأول في حجمه، يقوم بنشره مركز القرضاوي للوسطية الإسلامية والتجديد بالدوحة، لتكون المنشور الثاني للمركز بعد نشر كتابي الكبير «فقه الجهاد».

أسأل الله تعالى أن ينفع بهذه الدراسة، وبهذا المركز، وأن يجعله منارةَ هدى للحق، ومنبر دعوة إلى الخير، وقلعة دفاع عن الدين، ولسان صدق لرسالة الوسطية الإسلامية، والتجديد الإسلامي، على ضوء كتاب الله الكريم، وسنة رسوله ذي الخلق العظيم ﴿وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [آل عمران: ١٠١].

كما أسأله سبحانه أن يجعل ما يقدمه هذا المركز من خير للأمة في ميزان دولة قطر وأميرها وحرمه، بارك الله في جهودهما، وجزاهما الله خيرًا عن الإسلام ودعوته وأمته. إنه سميع مجيب.

الدوحة في: شوال ١٤٣٠هـ ـ أكتوبر ٢٠٠٩م

الفقير إلى عفو ربه

يوسف القرضاوي

غير مرخص للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

تمهيد

صلتي بالوسطية

تركيزي على الوسطية من قديم:

لقد أكرمني الله تعالى بتبنِّي تيار الوسطية، ومنهج الوسطية من قديم، ولم يكن ذلك اعتباطًا، ولا تقليدًا لأحد، أو اتباعًا لهوى، ولكن لما قام عندي من الدلائل الناصعة، والبراهين القاطعة، على أنَّ هذا المنهج هو الذي يُعبِّر عن حقيقة الإسلام. لا أعني إسلام بلد من البلدان، ولا فرقة من الفرق، ولا مذهب من المذاهب، ولا جماعة من الجماعات، ولا عصر من العصور. بل عَنَيْتُ به «الإسلام الأول» قبل أن تشوبه الشوائب، وتلحق به الزوائد والمبتدعات، وتُكدِّر صفاءه الخلافات المُفرِّقة للأمة، ويُصيبه رَذاذٌ من نِحَل الأمم التي دخلت فيه، والتصقت به أفكار دخيلة عليه، وثقافات غريبة عنه. وقبل أن تصنَّف أمَّته إلى فرق وجماعات شتَّى، تنتسب إلى زيد أو عمرو من الناس، فحسبنا أنها تنتمي إلى القرآن الحكيم، وإلى الرسول الكريم.

الإسلام الأول:

أعني بهذا الإسلام الأول: إسلام القرآن الكريم، والسنة النبَّوية الصحيحة، الإسلام الذي دَعَا إليه رسول الله ﷺ، بما أوحي إليه من ربِّه، وبما بيَّنه بقوله وفعله وتقريره وسيرته. إسلام أصحاب رسول الله، الذين

نسخة طباعية

QaradawiBooks.com

تتلمذوا على يديه، وشاهدوا أسباب نزول القرآن، وورود الأحاديث، وكان لديهم من صفاء الفطرة، وصدق الإيمان، وتذوُّق اللغة: ما أعانهم على حُسْن فَهم هذا الدين، الذي أخذوه بقوة من مُعلِّمه الأول، وطبَّقوه على حياتهم تطبيقًا دقيقًا.

هؤلاء الصحابة، الذين أثنى عليهم القرآن في أواخر سورة الأنفال، وفي أواسط سورة الفتح، وآخرها[1]، وفي سورة التوبة حين قال تعالى: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ﴾ [التوبة: ١٠٠]. فشمل الثناء مَن اتَّبعهم بإحسان، وشملهم قوله تعالى: ﴿رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ﴾.

كما أثنى عليهم رسوله في أحاديث مستفيضة: «**خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم**»[2].

هذا الإسلام النقيُّ من الإضافات والمُبْتَدَعات الذي أتمَّ الله به النعمة على الأمة، وامتنَّ عليها بإكماله، فقال: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣].

---

(١) قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَوا۟ وَّنَصَرُوٓا۟ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ۝ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنۢ بَعْدُ وَهَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ مَعَكُمْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مِنكُمْ ۚ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌۢ﴾ [الأنفال: ٧٤ ـ ٧٥].

وقوله: ﴿لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ [الفتح: ١٨].

وقوله ﷻ: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا﴾ [الفتح: ٢٩].

(٢) متفق عليه: رواه البخاري (٣٦٥١)، ومسلم (٣٥٩٤)، كلاهما في فضائل الصحابة، عن ابن مسعود.

QaradawiBooks.com

كتاب «الحلال والحرام في الإسلام» ومنهجي فيه:

لقد تَبَنَّيْتُ منهج الوسطيَّة منذ أكثر من نصف قرن، ولعل أول كتاب لي في هذا المجال هو كتاب «الحلال والحرام في الإسلام»، الذي وضح فيه هذا المنهج بجلاء في مقدمة طبعته الأولى التي ظهرت سنة ١٩٦٠م، وكان مما قلت فيها: «رأيت معظم الباحثين العصريين في الإسلام والمتحدِّثين عنه يكادون ينقسمون إلى فريقين:

فريق خطف أبصارهم بريق المدنية الغربية، وراعهم هذا الصنم الكبير، فتعبَّدوا له، وقدَّموا إليه القرابين، ووقفوا أمامه خاشعة أبصارهم ترهقهم ذلَّة، هؤلاء الذين اتَّخذوا مبادئ الغرب وتقاليده قضيةً مُسلَّمة، لا تُعارَض ولا تُناقَش، فإن وافقها الإسلام في شيء هلَّلوا وكبَّروا، وإن عارضها في شيء وقفوا يحاولون التوفيق والتقريب، أو الاعتذار والتسويغ، أو التأويل والتحريف، كأنَّ الإسلام مفروض عليه أن يخضع لمدنية الغرب وفلسفته وتقاليده. ذلك ما نلمسه في حديثهم عما حرَّم الإسلام من مثل: التماثيل، واليانصيب، والفوائد الربوية، والخلوة بالأجنبية، وتمرُّد المرأة على أنوثتها، وتحلِّي الرجل بالذهب والحرير، إلى آخر ما نعرف.

وفي حديثهم عمَّا أحل الإسلام من مثل: الطلاق، وتعُّدد الزوجات. كأن الحلال في نظرهم ما أحلَّه الغرب، والحرام ما حرَّمه الغرب. ونسُوا أن الإسلام كلمة الله، وكلمة الله هي العليا دائما، فهو يُتَّبع ولا يَتَّبع، ويَعلو ولا يُعلَى، وكيف يتَّبع الربُ العبدَ، أم كيف يخضع الخالق لأهواء المخلوقين؟ ﴿وَلَوِ ٱتَّبَعَ ٱلْحَقُّ أَهْوَآءَهُمْ لَفَسَدَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ﴾ [المؤمنون: ٧١]، ﴿قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ ۚ قُلِ ٱللَّهُ يَهْدِى لِلْحَقِّ ۗ أَفَمَن يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لَّا يَهِدِّىٓ إِلَّآ أَن يُهْدَىٰ ۖ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ [يونس: ٣٥]. هذا فريق.

QaradawiBooks.com

والفريق الثاني جمد على آراء معينة في مسائل الحلال والحرام، تبعًا لنصٍّ أو عبارة في كتاب، وظنَّ ذلك هو الإسلام، فلم يتزحزح عن رأيه قِيد شعرة، ولم يحاول أن يمتحن أدلَّة مذهبه أو رأيه، ويزنها بأدلَّة الآخرين، ويستخلص الحقَّ بعد الموازنة والتمحيص.

فإذا سُئل عن حكم الموسيقى، أو الغناء، أو الشطرنج، أو تعليم المرأة، أو إبداء وجهها وكفيها، أو نحو ذلك من المسائل، كان أقرب شيء إلى لسانه أو قلمه: كلمة «حرام». ونسي هذا الفريق أدب السلف الصالح في هذا، حيث لم يكونوا يطلقون الحرام إلا على ما عُلم تحريمه قطعًا. وما عدا ذلك قالوا فيه: نكره، أو لا نحبُّ. أو نحو هذه العبارات.

وقد حاولتُ ألا أكون واحدًا من الفريقين. فلم أرضَ لديني أن أتخذَ الغرب معبودًا لي، بعد أن رضيتُ بالله ربًا، وبالإسلام دينًا، وبمحمد رسولًا. ولم أرضَ لعقلي أن أقلِّد مذهبا معينًا في كل القضايا والمسائل أخطأ أو أصاب، فإن المقلِّد ـ كما قال ابن الجوزي ـ على غير ثقة فيما قلَّد فيه، وفي التقليد إبطال منفعة العقل، لأنه خُلق للتأمُّل والتدبُّر. وقبيح بمَن أُعطي شمعة يستضيء بها أن يطفئها ويمشي في الظلمة[1].

أجل، لم أحاول أن أُقيِّد نفسي بمذهب فقهيٍّ من المذاهب السائدة في العالم الإسلامي، ذلك أنَّ الحقَّ لا يشتمل عليه مذهب واحد. وأئمة هذه المذاهب المتبوعة لم يدَّعوا لأنفسهم العصمة، وإنما هم مجتهدون في تَعرُّف الحق، فإن أخطؤوا فلهم أجر، وإن أصابوا فلهم أجران. قال الإمام مالك: كلُّ أحد يُؤْخذ من كلامه ويترك إلا

(١) تلبيس إبليس صـ ٧٤، نشر دار الفكر، بيروت، ط ١، ١٤٢١هـ ـ ٢٠٠١م.

QaradawiBooks.com

النبي ﷺ[1]. وقال الإمام الشافعي: رأيي صواب يحتمل الخطأ، ورأي غيري خطأ يحتمل الصواب.

وغير لائق بعالم مسلم يملك وسائل الموازنة والترجيح: أن يكون أسير مذهب واحد، أو خاضعًا لرأي فقيه معيَّن، بل الواجب أن يكون أسير الحُجَّة والدليل، فما صحَّ دليله، وقويت حُجته، فهو أوْلى بالاتِّباع. وما ضعف سنده، وَوَهَت حُجَّته، فهو مرفوض، مهما يكن مَن قال به، وقديمًا قال الإمام علي رضي الله عنه: لا تعرف الحقَّ بالرجال، بل اعرَف الحق تعرف أهله[2]»[3].

تأكيدي على منهج الوسطية منذ طلوع فجر الصحوة الإسلامية المعاصرة:

هذا ما ذكرته من قديم في مقدمة الطبعة الأولى من كتابي «الحلال والحرام» سنة ١٩٥٩م. وزاد تأكيدي لهذا المنهج وتركيزي عليه ما لمستُه من الضرورة إليه، منذ طلع فجر الصحوة الإسلامية المعاصرة منذ أوائل السبعينيات من القرن العشرين، أي منذ ما يقرب من نصف قرن من الزمان. وما شاهدتُه من خلال رحلاتي في أنحاء العالم الإسلامي، ولقاء الأقليات الإسلامية في الشرق والغرب، من ضياع الأمة بين الغلاة والمتطرِّفين وخصومهم من المتحلِّلين والمتسيِّبين.

وكان من دلائل هذا الاتجاه: ما لاحظه بعضهم في عناوين عدد من كتبي: أنَّ فيها كلمة «بيْن» مثل: «الفقه الإسلامي بين الأصالة والتجديد»،

(١) سير أعلام النبلاء (٩٣/٨)، تحقيق مجموعة بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، نشر مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٣، ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م.

(٢) رواه البلاذري في أنساب الأشراف (٢٧٤/٢)، تحقيق سهيل زكار ورياض الزركلي، نشر دار الفكر، بيروت، ط١، ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٦م.

(٣) انظر كتابنا: الحلال والحرام في الإسلام صـ١٠ ـ ١٢، نشر مكتبة وهبة، القاهرة، ١٤٣٥هـ ـ ٢٠١٤م.

QaradawiBooks.com

«الصحوة الإسلامية بين الجحود والتطرُّف»، «الصحوة الإسلامية بين الاختلاف المشروع والتفرُّق المذموم»، «الفتوى بين الانضباط والتسيب»، «الاجتهاد بين الانضباط والانفراط»، «ثقافتنا بين الانفتاح والانغلاق»، «ثقافتنا العربية الإسلامية بين الأصالة والمعاصرة»، وغيرها. وكلُّها تدل على أن هناك موقفًا وسطًا بين طرفين.

حديثي في عدد من كتبي عن ملامح منهج الوسطية:

وقد تحدَّثت في عدد من كتبي عن ملامح هذا المنهج، أو عن بعضها بإيجاز، كما في كتبي: «الصحوة الإسلامية بين الجحود والتطرف»، و«الصحوة الإسلامية وهموم الوطن العربي والإسلامي»، و«أولويات الحركة الإسلامية في المرحلة القادمة»، و«الصحوة الإسلامية من المراهقة إلى الرشد»، و«خطابنا الإسلامي في عصر العولمة»، وغيرها. ولكن لم أُفصِّلها في كتاب مستقل. وحسبي هنا أن أذكر نموذجا لاهتمامي بالوسطية ما جاء في كتابي «أولويات الحركة الإسلامية» عن الفكر الذي ننشده للحركة الإسلامية في العالم، فهو فكر علميٌّ سلفيٌّ تجديديٌّ وسطيٌّ. وما قلته آنذاك في تجلية معاني هذه الوسطية هذه الفقرات: «ومن معالم الفكر الذي ننشده: أنه فكري وسطي الوجهة والنَّزعة، فهو فكر تتجلَّى فيه النظرة الوسطية المعتدلة المتكاملة للناس وللحياة، النظرة التي تمثِّل المنهج الوسط للأمة الوسط، بعيدًا عن الغُلوِّ والتقصير.

فهو وسط بين دعاة المذهبية الضيقة، ودعاة اللامذهبية المفرطة.

وسط بين أتباع التصوف وإن انحرف وابتدع، وأعداء التصوف وإن التزم واتبع.

QaradawiBooks.com
نسخة مجانية غير مخصصة للطباعة

وسط بين دعاة الانفتاح على العالم بلا ضوابط، ودعاة الانغلاق على النفس بلا مُسوِّغ.

وسط بين المحكِّمين للعقل وإن خالف النصَّ القاطع، والمغيِّبين للعقل ولو في فَهم النصِّ.

وسط بين المقدِّسين للتراث، وإن بدا فيه قصور البشر، والمُلْغين للتراث، وإن تجلَّت فيه روائع الهداية.

وسط بين المستغرقين في السياسة على حساب التربية، والمهملين للسياسة كليَّة بدعوى التربية.

وسط بين المستعجلين لقطف الثمرة قبل أوانها، والغافلين عنها حتى تسقط في أيدي غيرهم بعد نضجها.

وسط بين المستغرقين في الحاضر الغائبين عن المستقبل، والمبالغين في التنبؤ بالمستقبل كأنه كتاب يقرؤونه.

وسط بين المقدِّسين للأشكال التنظيمية كأنها أوثان تُعبد، والمتحلِّلين من أيِّ عمل منظَّم كأنهم حبَّات عقد منفرط.

وسط بين الغلاة في إطاعة الفرد للشيخ والقائد، كأنه الميت بين يدي الغاسل، والمسرفين في تحرُّره كأنه ليس عضوًا في جماعة.

وسط بين الدعاة إلى العالمية دون رعاية للظروف والملابسات المحلية، والدعاة إلى الإقليمية الضيقة دون أدنى ارتباط بالحركة العالمية.

وسط بين المسرفين في التفاؤل، متجاهلين العوائق والمخاطر، والمسرفين في التشاؤم، فلا يرون إلا الظلام، ولا يرقبون للظلام فجرًا.

QaradawiBooks.com

وسط بين المغالين في التحريم كأنه لا يوجد في الدنيا شيء حلال، والمبالغين في التحليل كأنه لا يوجد في الدين شيء حرام.

هذه هي الوسـطية التي يتبنَّاهـا هذا الفكـر، وإن كان الغالب على مجتمعاتنا اليوم السقوط بين طرفي الإفراط والتفريط، إلا مَن رحِم ربك، وقليل ما هم» اهـ.

رفض بعض المتدينين منهجنا الوسطي وعودتهم إليه وتبنيهم له:

وكان بعض المتدينين قبل عدَّة سنين يرفضون هذا المنهج، ويتهموننا ـ نحن دعاة الوسطية ـ بالتساهل في الدين، والتفريط في أحكام الشرع، على حين يتَّهمنا العِلمانيون والحداثيون والماركسيون وأمثالهم بالتشدُّد والتطرُّف! وهذا شأن «الوسط» دائمًا، يرفضه الطرفان: الغلاة والمقصِّرون.

واليوم، قد أصبـح الكثيرون ممن كانوا ينتقدوننـا بالأمس، ينادون بنفس منهجنا اليوم: الوسـطية. حتى إن كثيرا من الحُكام، باتوا يذكرون الوسطية وينوهوِّن بها؛ لأن هذا الاتجاه إنما يؤكِّده منطق العصر، ومنطق الأوضاع العالمية، والظـروف الإقليمية، ومنطق المحـن التي تمرُّ بها الأمة، وكلُّها تدل على ترجيح منهجنا، وضرورة التشبُّث به. وقد أُنشئت مراكز للوسـطية في أكثر من بلد، وغدا هناك تنافس على احتضان هذا المنهج. فلله الفضل والشكر، ولله الحمد والمنة.

* * *

QaradawiBooks.com

الفصل الأول

مفهوم «الوسطية» ودلالتها

مفهوم «الوسطية» في اللغة:

يجدر بنا هنا أن نمهِّد ببحث لغوي موثَّق عن مفهوم «الوسطية» في لغتنا العربية.

والمعروف أن لفظة الوسطية هي مصدر صناعي منسوب إلى كلمة «الوسَط». و«الوسط» اسم مشتق من: وسَط يسِط سِطة. على وزن: وَعَدَ يَعِد عِدَة.

والمادة «و. س. ط» قد وردت في القرآن: اسمًا وفعلًا، وصفة، قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ [البقرة: ١٤٣]، ﴿حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ﴾ [البقرة: ٢٣٨]، ﴿قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ﴾ [القلم: ٢٨]، ﴿فَوَسَطْنَ بِهِۦ جَمْعًا﴾ [العاديات: ٥]، ﴿مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ﴾ [المائدة: ٨٩].

في معجم ألفاظ القرآن:

وجاء في معجم ألفاظ القرآن الكريم، الذي أصدره مجمع اللغة العربية بالقاهرة: «وسَطَ الشيءَ يَسِطه وسْطًا وسِطَة: كان بين طرفيه. تقول: وسطت الطريق، ووسطت القوم.

وسَطْن: ﴿فَأَثَرْنَ بِهِۦ نَقْعًا ۝ فَوَسَطْنَ بِهِۦ جَمْعًا﴾ [العاديات: ٤، ٥].

QaradawiBooks.com

الأوسط اسم تفضيل من وَسَط. ومؤنثه الوُسْطَى. والأوسط يأتي في معنى الأقرب إلى الاعتدال والقصد والأبعد عن الغُلوِّ في الجودة والرداءة ونحوها. ويأتي في معنى الأفضل إذ كان أوسط الشيء محميًّا من العوارض التي تلحق الأطراف.

والوُسْطى تأتي في معنى الواقعة بين شيئين، وبمعنى الفُضْلى، كما قيل في الأوسط.

أوْسَط: ﴿فَكَفَّٰرَتُهُۥٓ إِطۡعَامُ عَشَرَةِ مَسَٰكِينَ مِنۡ أَوۡسَطِ مَا تُطۡعِمُونَ أَهۡلِيكُمۡ﴾ [المائدة: ٨٩]. المراد: أن يكون أقربَ إلى الاعتدال بين الإسراف والتقتير.

أوسطهم: ﴿قَالَ أَوۡسَطُهُمۡ أَلَمۡ أَقُل لَّكُمۡ لَوۡلَا تُسَبِّحُونَ﴾ [القلم: ٢٨]، أوسطهم: أفضلهم رأيا.

الوسطى: ﴿حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلۡوُسۡطَىٰ﴾ [البقرة: ٢٣٨]، الوسطى: المتوسطة، فقيل: هي صلاة العصر لتوسُّطها بين صلاتي النهار وصلاتي الليل، وقيل غيرها. أو الوسطى: الفضلى. وقد اختلف في تعيينها أيضًا.

الوسط للشيء: ما بين طرفيه. ويستعمل الوَسَط في الفضائل إذ كانت وسطًا بين الرذائل. فالشجاعة وسط بين الجُبن والتهور، وكذا سائر الفضائل. ثم جعل الوسط وصفًا للمتَّصف بالفضائل فصار معناه الخيِّر الفاضل. ومن شأن هذا أن يكون عدلًا في قضائه وشهادته. وهذا الوصف نظرًا إلى أصله يستوي في موصوفه فلا يتغير لتغيُّر موصوفه. يقال: رجل وسط وأمَّة وسط.

وسَطًا: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةٗ وَسَطٗا﴾ [البقرة: ١٤٣]»[(١)].

(١) معجم ألفاظ القرآن مادة (و. س. ط).

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

في مفردات القرآن:

وقال الراغب في «مفردات القرآن»: «وسطُ الشيء: ما له طرفان متساويا القدر. ويقال ذلك في الكميَّة المتَّصلة، كالجسم الواحد إذا قلتَ: وسطُه صَلْب، وضربتُ وسَط رأسه «بفتح السين».

ووَسْطُ «بالسكون» يقال في الكمية المنفصلة، كشيء يَفصِل بين جسمين، نحو: وسْطُ القوم كذا.

والوسَط تارة يقال فيما له طرفان مذمومان. فيستعمل استعمال القصد المَصُون عن الإفراط والتفريط، فيُمدح نحوُ السواء والعدل، نحو: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةٗ وَسَطٗا﴾ [البقرة: ١٤٣]، وعلى ذلك قوله تعالى: ﴿قَالَ أَوۡسَطُهُمۡ﴾ [القلم: ٢٨].

وتارة يقال فيما له طرف محمود وطرف مذموم كالخير والشر» إلخ[١].

كلام ابن الأثير:

وقال ابن الأثير في مادة «و. س. ط» في «النهاية في غريب الحديث والأثر»: «وفيه: «خير الأمور أوساطها»[٢]. كلُّ خصلة محمودة فلها طرفان مذمومان، فإن السخاء وسط بين البخل والتبذير، والشجاعة وسط بين الجبن والتهور. والإنسان مأمور أن يتجنَّب كل وصف مذموم، وتجنُّبه بالتعرِّي منه، والبعد عنه، فكلَّما ازداد منه بُعدًا ازداد منه تعرِّيًا. وأبعد

(١) المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني مادة (و. س. ط).

(٢) ذكره ابن الأثير على أنه حديث، ولم يثبت لدى أهل الشأن، والصواب: أنه من قول مطرِّف بن عبد الله بن الشِّخِّير من التابعين: رواه ابن أبي شيبة في الزهد (٣٦٢٧٦).

QaradawiBooks.com

الجهات والمقادير والمعاني من كلٍّ طرفين وسطهما، وهو غاية البعد عنهما، فإذا كان في الوسط فقد بعد عن الأطراف المذمومة بقدر الإمكان»[١] اهـ.

معاجم اللغة الكبرى:

وقد أطال العلامة الزبيدي النَّفَس في شرح المادة «وسط» من القاموس، بحيث استغرقت في كتابه «تاج العروس» ست عشرة صفحة بحسب طبعة الكويت[٢]، ونقل عن أئمة اللغة والشرَّاح نقولًا مهمَّة تُجَلِّي المفهوم وتزيده وضوحًا. قال رَحِمَهُ اللَّهُ نقلًا عن ابن برِّي: «اعلم أن الوسَط بالتحريك: اسم لما بين طرفي الشيء، وهو منه. كقولك: قبضتُ وسَط الحبل، وكسرتُ وسَط الرمح، وجلستُ وسَط الدار. ومنه المثل: «يرتقي وسَطًا ويربِض حَجْرَة». أي يرتعي أوسط المرعى وخياره ما دام القوم في خير، فإذا أصابهم شرٌّ اعتزلهم، وربض حَجرة، أي ناحية منعزلًا عنهم. وجاء الوسَط محرَّكًا أوسطه على وزان نقيضه في المعنى وهو الطَّرَف؛ لأن نقيض الشيء يتنزَّل منزلة نظيره في كثير من الأوزان، نحو: جوعان وشبعان وطويل وقصير».

قال: «واعلم أن الوسط قد يأتي صفة، وإن كان أصله أن يكون اسمًا من جهة أن أوسط الشيء أفضله وخياره، كوسط المرعى خير من طرفيه، وكوسط الدابة للركوب خير من طرفيها لتمكُّن الراكب. ومنه الحديث: «خيار الأمور أوساطها». وقول الراجز:

إذا ركبتُ فاجعلاني وسَطَا

(١) النهاية في غريب الحديث مادة (و. س. ط).

(٢) الطبعة المذكورة (٢٠/١٦٧-١٨٣).

نسخة مجانية غير معدة للطباعة

QaradawiBooks.com

فلما كان وسَط الشـيء أفضله وأعدله جاز أن يقع صفة، وذلك مثل قوله تعالـى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَـٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ [البقـرة: ١٤٣]، أي: عدلًا. فهذا تفسير الوسط وحقيقة معناه، وأنه اسم لما بين طرفي الشيء، وهو منه»(١).

قال الزَّجاج في قوله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَـٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ [البقرة: ١٤٣]: فيه قـولان: قال بعضهـم: أي عدلًا. وقـال بعضهم: خيـارًا. واللفظان مختلفان والمعنى واحد؛ لأن العدل خير والخير عدل.

قال في القاموس: وسَط الشيء «محرَّكة»: ما بين طرفيه. قال:

إذا رحلـتُ فاجعلونـي وسـطًا   إنـي كبيـرٌ لا أطيـق العُنَّـدا

أي: اجعلوني وسطًا لكم ترفقون بي وتحفظونني، فإني أخاف ـ إذا كنتُ وحـدي، أو متقدِّما عليكم، أو متأخرا عنكـم ـ أن تفرُط دابَّتي أو ناقتي، فتصْرَعَني.

وفيه: الوسيط: المتوسِّط بين المتخاصمين. وفي العباب: بين القوم.

وُسُوط الشمس: توسُّطها في السماء.

وواسطة القلادة: الدرة التي في وسطها، وهي أنفس خرزها.

ودين وَسُوط كصَبُور: متوسط بين الغالي والتالي.

و«واسـط» بلد بناه الحجاج بن يوسف الثقفي بين الكوفة والبصرة، ولذلك سميت «واسطا» لأنها متوسـطة بينهما؛ لأن منها إلى كل منهما خمسين فرسخا(٢).

وفي «لسان العرب» نحو ما في «تاج العروس».

---

(١) تاج العروس مادة (و. س. ط).

(٢) المصدر السابق نفسه.

QaradawiBooks.com

وقال الزمخشري في «أساس البلاغة» خلاصة ما ذكرناه هنا: «وسَط، جلس وسَطَ الدار، وضرب وسَطه وأوساطهم، وهو أوسط أولاده، وهي وُسْطى بناته.

ووسَط القومَ، وتوسَّطهم: حصل في وَسَطِهم. وتوسَّطت الشمسُ السماءَ. ووسَّطته القوم، وتوسَّط بين الخصوم، ووسَّطتُه. وهي واسطة القلادة، ووسائط القلائد.

ثم قال: ومن المجاز: هو وسَطٌ في قومه، وسِطَةٌ ووسِيط فيهم. وقد وُسِط وساطة، وهم وسَطٌ ووساط: خيار. ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ [البقرة: ١٤٣]. وقال زهير:

همُو وسطٌ يرضى الأنامُ بحكمهم إذا نزلت إحدى الليالي بمُعظَمِ!»(١)

وقال أعرابي للحسن: علِّمني دينًا وسُوطًا، لا ذاهبًا فروطًا، ولا ساقطًا سقوطًا(٢)!

ومن المعاني التي وردت في كتب اللغة عن الوسط والتوسُّط، قولهم: توسَّط فلان: أي أخذ الوسط بين الجيد والرَّديء. وهذا المعنى يستخدم عرفًا. وهذا بعيد عن الوسطية التي نريدها؛ لأن وسطيتنا تعني خيار الشيء وأمثله وأفضله. فهي أشبه بالنجاح بدرجة ممتاز أو جيِّد جدًّا، بخلاف الوسط بالمعنى الذي أشرنا إليه، فإنه أشبه بدرجة «مقبول».

ومن خلال ما سجَّلنا هنا من كلام اللغويين، وشعر الشعراء، وتعليقات الأدباء والعلماء: يتبيَّن لنا: أن معنى «الوسط» ـ ومنه:

---

(١) أساس البلاغة للزمخشري مادة (و. س. ط).

(٢) لسان العرب مادة (و. س. ط).

QaradawiBooks.com

الوسطية ـ في الأساس، هو الوجود في المكان الوسَط، بعيدًا عن الطرفين أو الأطراف، لأن الوسط محمي ومحروس ومحاط من الجانبين، ولا يتعرَّض لما يتعرَّض له الطرف باستمرار من خطر وآفة، وما عدا ذلك، مثل: العدل، والخيار، فهو ـ كما قال الزمخشري ـ مجاز، متفرِّع عنه، ومترتِّب عليه.

وهذا المعنى الذي تجلَّى لنا من خلال هذه الرؤية اللغوية البصيرة، هو لبُّ المعنى الشرعي الإسلامي للوسطية، الذي اخترناه، والذي تشهد له كلُّ الأدلَّة الشرعية المعتبرة من كتاب الله وسنة رسول الله، كما سيتَّضح لنا ذلك من خلال الفصل القادم.

غير مرخصة للطباعة

مفهوم الوسطية كما أدعو إليها:

بعد أن اتَّضح لنا مفهوم الوسطية من الناحية اللغوية، يجب علينا أن نبيِّن ما نريده بالوسطية في المفهوم الشرعي أو الإسلامي.

ومن قديم قد تعرَّضت لبيان مفهوم «الوسطية» وخصائصها ومظاهر تجلِّيها، وذلك في كتابي «الخصائص العامة للإسلام»، باعتبار «الوسطية» من أبرز خصائص الإسلام، ويُعبَّر عنها أيضا بـ «التوازن» أو «الاعتدال»، ونعني بها: التوسط أو التعادل بين طرفين متقابلين، بحيث لا ينفرد أحدهما بالتأثير، ويطرد الطرف المقابل، وبحيث لا يأخذ أحد الطرفين أكثر من حقِّه، ويطغى على مقابله ويحيف عليه.

مثال الأطراف المتقابلة: الربانية والإنسانية، الروحية والمادية، الأخروية والدنيوية، الوحي والعقل، الماضوية والمستقبلية، الفردية والجماعية، الواقعية والمثالية، الحقوق والواجبات، الثبات والتغيُّر، النص والاجتهاد، الظاهرية والمقاصدية، الأثر والرأي، وما شابهها.

نسخة مجانية

QaradawiBooks.com

ومعنى التوسط أو التوازن بينها: أن يُفسَح لكلِّ طرف منها مجاله، ويُعطى حقَّه ﴿بِٱلْقِسْطِ﴾، أو ﴿بِٱلْقِسْطَاسِ ٱلْمُسْتَقِيمِ﴾، بلا وَكْس ولا شَطَط، ولا غُلُوٍّ ولا تقصير، ولا طغيان ولا إخسار. كما أشار إلى ذلك كتاب الله بقوله: ﴿وَٱلسَّمَآءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ ٱلْمِيزَانَ ۝ أَلَّا تَطْغَوْاْ فِى ٱلْمِيزَانِ ۝ وَأَقِيمُواْ ٱلْوَزْنَ بِٱلْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُواْ ٱلْمِيزَانَ﴾ [الرحمٰن: ٧ ـ ٩]. فالوسطية هي التي تقيم الوزن بالقسط بين المتقابلات، بلا طغيان ولا إخسار. بحيث يمكن الجمع بينها، دون أن يطغى أحد المتقابلين على الآخر، كالذي يجمع بين حَسَنتي الدارين؛ الدنيا والآخرة، والذي يجمع بين النورين؛ الوحي والعقل، ﴿نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ﴾ [النور: ٣٥].

عجز الإنسان عن إنشاء نظام متوازن:

وهذا التوازن العادل في الحقيقة أكبر من أن يَقْدر عليه الإنسان؛ بعقله المحدود، وعلمه القاصر، فضلًا عن تأثير ميوله وأهوائه، ونزعاته الشخصية، والأُسْرية والحزبية، والإقليمية والعنصرية، وغلبتها عليه من حيث يشعر أو لا يشعر. ولهذا لا يخلو منهج أو نظام يضعه بشر ـ فرد أو جماعة ـ من الإفراط أو التفريط، كما يدل على ذلك استقراء الواقع وقراءة التاريخ.

إن القادر على إعطاء كلِّ شيء في الوجود ـ ماديًّا كان أو معنويًّا ـ حقَّه بحساب وميزان، هو الله؛ الذي خلق كلَّ شيء فقدَّره تقديرًا، وأحاط بكلِّ شيء خبرًا، وأحصى كلَّ شيء عددًا، ووسع كلَّ شيء رحمة وعلمًا. ولا عجب أن نرى هذا التوازن الدقيق في خلق الله، وفي أمر الله جميعًا، فهو صاحب الخلق والأمر، فظاهرة التوازن، تبدو فيما أمر الله به وشرعه من الهُدى ودين الحق، أي: في رسالة الإسلام ومنهجه للحياة، كما تبدو في هذا الكون الذي أبدعته يد الله فأتقنت فيه كلَّ شيء.

QaradawiBooks.com

ظاهرة التوازن في الكون كلِّه:

ننظر في هذا العالم من حولنا من أصغر ما نعرفه في الكون، وهو الذرَّة، إلى أكبر ما نعرفه، وهو المجرّة، فنجد كلَّ شيء فيه بمقدار وميزان، لا يتعدى مداره، ولا يجاوز مقداره، ولا يخبط خبط عشواء، بل هو كما قال تعالى: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا﴾ [الفرقان: ٢]، ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ عِندَهُۥ بِمِقْدَارٍ﴾ [الرعد: ٨]. فنجد الليل والنهار، والظلام والنور، والحرارة والبرودة، والماء واليابس، والغازات المختلفة، والأفلاك الدوارة، والكواكب السيارة، والجمادات والنباتات، والحيوان والإنسان، والزواحف والطيور والحشرات، والأحياء المائية، وغيرها، كلُّها تسير بقَدَر وميزان وحساب، لا يطغى شيءٌ منها على مقابله، ولا يخرج عن حدِّه المُقدَّر له[1]. وكذلك الشمس والقمر والنجوم والمجموعات الكونية في فضاء الله الفسيح، إنَّ كلًّا منها يسبح في مداره، ويدور في فلكه، دون أن يصدم غيره، أو يخرج عن دائرته. وصدق الله العظيم إذ يقول: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر: ٤٩]، ﴿مَّا تَرَىٰ فِى خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍ﴾ [الملك: ٣]، ﴿ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ﴾ [الرحمٰن: ٥]، ﴿لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِى لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ ۚ وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ [يس: ٤٠].

الوسطية الخصيصة البارزة لهذه الأمة:

والإسلام يريد من الأمة المسلمة: أن تعكس ظاهرة التوازن الكونيَّة في حياتها وفكرها وسلوكها، فتتميَّز بذلك عن سائر الأمم. وإلى هذه الخصيصة

(١) تنبَّه إلى ذلك الأديب العربي الكبير توفيق الحكيم، وأقام عليه نظريته التي سمَّاها (التعادلية) وأسَّس عليها مذهبه في الأدب والفن والثقافة. وقد أشرنا إلى ذلك في حديثنا عن خصيصة الوسطية في كتابنا: الخصائص العامة للإسلام صـ ١٢٦، ١٢٧، نشر مكتبة وهبة، القاهرة، ط٧، ١٤٣٤هـ ـ ٢٠١٣م.

QaradawiBooks.com

البارزة يشير قوله تعالى مخاطبًا أمة الإسلام: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [البقرة: ١٤٣].

ووسطية الأمة الإسلامية إنما هي مُستمدَّة من وسطية دينها ورسالتها، أو وسطية منهجها ونظامها، فهو منهج وسط لأمة وسط. منهج الاعتدال والتوازن الذي سَلِم ـ كما ذكرنا ـ من الإفراط والتفريط، أو من الغُلوّ والتقصير، في عقائده وأحكامه، في شعائره وشرائعه، في قِيَمه وأخلاقه، في مفاهيمه ومعاييره، في آدابه وتقاليده، في مشاعره وعواطفه، في روابطه وعلاقاته.

ولقد كان من حكمة الله تعالى أن اختار الوسطية شعارًا مميزًا لهذه الأمة التي هي آخر الأمم، ولهذه الرسالة التي ختم بها الرسالات الإلهية، وبعث بها خاتم أنبيائه، رسولًا للناس جميعًا، ورحمة للعالمين.

الوسطية أليق بالرسالة الخالدة:

فقد يجوز في رسالة مرحلية محدودة الزمان والإطار: أن تعالج التطرُّف في قضية ما بتطرُّف مضاد، فإذا كان هناك مبالغة في الدعوة إلى الواقعية قوِّمت بمبالغة مقابلة في الدعوة إلى المثالية، وإذا كان هناك غُلُوٌّ في النزعة المادية، رُدَّ عليها بغلو معاكس في النزعة إلى الروحيَّة، كما رأينا ذلك في الديانة المسيحية وموقفها من النزعة المادية الواقعية عند اليهود والرومان، فإذا أدَّت الدعوة المرحلية دورها الموقوت، وحَدَّتْ من الغُلوّ ـ ولو بغلوٍّ مثله ـ كان لا بد من العودة إلى الحدِّ الوسط، وإلى الصراط السوي، فتعتدل كفتا الميزان. وهذا ما جاءت به رسالة الإسلام بوصفها رسالة عالمية خالدة. إذ ليس بعد محمد رسول ولا نبي، ولا بعد القرآن كتاب سماوي، ولا بعد الإسلام دين أو شريعة إلهية، ولا بعد أمَّة الإسلام أمَّة أخرى تحمل رسالة ربانية للناس.

QaradawiBooks.com

دلالة الوسطية على معانٍ أخرى:

على أن في الوسطية معاني ودلالات أخرى، يلحظها أولو العلم والبصيرة، تميِّز منهج الإسلام، ورسالة الإسلام، وأمَّة الإسلام، وتجعلها أهلًا للسيادة والخلود.

أ ـ **الوسطية تعني العدل**: فمن معاني الوسطية التي وُصفت بها هذه الأمة في الآية الكريمة، ورُتبت عليها شهادتها على البشرية كلِّها: العدل، الذي هو ضرورة لقَبول شهادة الشاهد، فما لم يكن عدلًا، فإنَّ شهادته مرفوضة مردودة، أما الشاهد العدل، والحكم العدل فهو المرضيُّ بين الناس كافة.

وتفسير الوسط في الآية بالعدل ثابت عن النبي ﷺ، فقد روى الإمام أحمد والبخاري، عن أبي سعيد الخدري، أن النبي ﷺ فسَّر الوسط هنا بالعدل(١). والعدل والتوسُّط والتوازن عبارات متقاربة المعنى، فالعدل في الحقيقة توسُّط بين الطرفين المتنازعين، أو الأطراف المتنازعة بدون ميل أو تحيُّز إلى أحدهما أو أحدها. وهو بعبارة أخرى: موازنة بين هذه الأطراف بحيث يعطَى كلٌّ منها حقَّه دون بخس ولا جَوْر عليه. ولا محاباة له، ومن ثم قال زهير في المدح:

همُو وسطٌ يرضى الأنامُ بحكمهم إذا نزلت إحدى الليالي بمُعظَمِ(٢)

يصفهم بالعدل والقسط وعدم التحيُّز.

وقال المفسرون في قوله تعالى: ﴿قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ﴾ [القلم: ٢٨]، أي: أعدلهم(٣). يؤكِّد هذا الإمام الرازي في تفسيره بقوله:

---

(١) رواه البخاري في أحاديث الأنبياء (٣٣٣٩)، وأحمد (١١٢٧١)، والترمذي في التفسير (٢٩٦١)، عن أبي سعيد الخدري.

(٢) أساس البلاغة مادة (و. س. ط).

(٣) انظر: تفسير الطبري (٢٣/٥٥٠)، تحقيق أحمد محمد شاكر، نشر مؤسسة الرسالة، ط١، =

QaradawiBooks.com

إن أعدل بقاع الشيء وسطه، لأن حكمه مع سائر أطرافه على سواء، وعلى اعتدال[١].

ويقول المفسِّر أبو السعود: الوسط في الأصل اسم لما تستوي نسبة الجوانب إليه كمركز الدائرة، ثم استعير للخصال البشرية المحمودة، لكون تلك الخصال أوساطا للخصال الذميمة المكتنفة بها من طرفَيْ الإفراط والتفريط[٢].

فالوسط يعني إذن العدل والاعتدال. وبعبارة أخرى: يعني التعادل والتوازن، بلا جُنُوح إلى الغُلوِّ ولا إلى التقصير.

ب ـ **الوسطية تعني الاستقامة**: والوسطية تعني كذلك: استقامة المنهج، والبعد عن الميل والانحراف. فالمنهج المستقيم، وبتعبير القرآن: ﴿ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾ هو ـ كما عبَّر أحد المفسرين ـ الطريق السوي الواقع وسط الطرق الجائرة عن القصد إلى الجوانب، فإذا فرضنا خطوطًا كثيرة واصلة بين نقطتين متقابلتين، فالخط المستقيم إنما هو الخط الواقع في وسط تلك الخطوط المنحنية، ومن ضرورة كونه وسطًا بين الطرق الجائرة: أن تكون الأمة المهدية إليه وسطًا بين الأمم السالكة إلى تلك الطرق الزائغة[٣].

ومن هنا علَّم الإسلام المسلم أن يسأل الله الهداية للصراط المستقيم كلَّ يوم ما لا يقلُّ عن سبع عشرة مرَّة، هي عدد ركعات الصلوات

= ١٤٢٠هـ ـ ٢٠٠٠م، وتفسير ابن كثير (٨/ ١٩٦)، تحقيق سامي بن محمد سلامة، نشر دار طيبة للنشر والتوزيع، ط٢، ١٤٢٠هـ ـ ١٩٩٩م. وتفسير القرطبي (١٨/ ٢٤٤)، تحقيق أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، نشر دار الكتب المصرية، القاهرة، ط٢، ١٣٨٤هـ ـ ١٩٦٤م.

(١) انظر: تفسير الفخر الرازي (٨٤/٤)، نشر دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٣، ١٤٢٠هـ.

(٢) تفسير أبي السعود (١/ ١٧٢)، نشر دار إحياء التراث العربي، بيروت.

(٣) المصدر نفسه.

QaradawiBooks.com

الخمس المفروضة في اليوم والليلة. وذلك حين يقرأ فاتحة الكتاب في صلاته فيقول داعيا ربَّـه: ﴿ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ۝ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴾ [الفاتحة: ٦، ٧].

والإسـلام وحده ينفرد بهذه المزيَّة «الوسطية» دون غيره من الملل. التي حُرِّفَت وبُدِّلَت عن أصلها المنزّل، والتي وضعها البشر أو مسخوها بتصورهم الذاتي.

جاء في التفسير المأثور التمثيل للمغضوب عليهم باليهود، وللضالِّين بالنصارى[1]. والمعنـى في ذلك: أن كُلًّا من اليهـود والنصارى يمثِّلون الإفراط والتفريط في كثير من القضايا، فاليهود قتلوا الأنبياء، والنصارى ألَّهُوهم. اليهود أسرفوا في التحريم، والنصارى أسرفوا في التحليل، حتى قالوا: كلُّ شـيء طيـب للطيبيـن. اليهود غلَـوا في الجانـب المادي، والنصارى قصَّـروا فيه. اليهود تطرَّفوا في اعتبار الرسـوم والطقوس في الشعائر والتعبدات، والنصارى تطرَّفوا في إلغائها.

وإنما اعتبر اليهود مغضوبًا عليهم لما اقترفوا من مُوبقات، حتى إنهم تطاولوا علـى الله، وقالوا: يد الله مغلولة. واعتدوا علـى الأنبياء، فكذَّبوا منهم مَن كذبـوا، وقتلوا منهم مَن قتلوا. وأما النصـارى فإنهم تاهوا عن الحقِّ، وشردوا عنه فيما اقتبسوه من وثنية الرومان وغيرها، فلهذا اعتبرهم ضالِّين. والإسلام يُعلِّم المسـلم أن يحذر من تطرُّف كلا الفريقين، وأن يلتزم المنهج الوسط، أو الصراط المستقيم، الذي سار عليه كلُّ مَنْ رضي الله عنهم، وأنعم عليهم من النبيِّين، والصدِّيقين، والشهداء، والصالحين.

(١) رواه أحمـد (٢٠٧٣٦)، وقال مخرِّجوه: إسـناده صحيح. وصحَّحه الألبانـي في الصحيحة (٣٢٦٣)، عمن سمع النبي ﷺ.

QaradawiBooks.com

ولشيخ الإسلام ابن تيمية هنا كلام جيِّد متين في وسطية الأمة المسلمة بعيدًا عن غلوِّ مَنْ قبلها وتقصيرهم، قاله في كتابه «الجواب الصحيح لمن بدّل دين المسيح»: «وقد خصَّ الله تبارك وتعالى محمدًا ﷺ بخصائص ميَّزه بها على جميع الأنبياء والمرسلين، وجعل له شِرْعة ومنهاجًا، أفضل شِرْعة وأكمل منهاج مبين.

كما جعل أمَّته خير أمَّة أُخرجت للناس، هداهم الله بكتابه ورسوله لما اختلفوا فيه من الحقِّ قبلهم، وجعلهم وسطًا عدلًا خيارًا.

فهم وسط في توحيد الله وأسمائه وصفاته، وفي الإيمان برسله وكتبه وشرائع دينه، من الأمر والنهي والحلال والحرام، فأمرهم بالمعروف ونهاهم عن المنكر، وأحلَّ لهم الطيّبات وحرَّم عليهم الخبائث.

لم يحرِّم عليهم شيئًا من الطيبات كما حرَّم على اليهود، ولم يحلّ لهم شيئا من الخبائث كما استحلتها النصارى.

ولم يضيِّق عليهم باب الطهارة والنجاسة كما ضيَّق على اليهود، ولم يرفع عنهم طهارة الحدث والخبث كما رفعته النصارى، فلا يوجبون الطهارة من الجنابة، ولا الوضوء للصلاة، ولا اجتناب النجاسة في الصلاة. بل يعُدُّ كثير من عُبَّادهم مباشرة النجاسات من أنواع القُرَب والطاعات، حتى يقال في فضائل الراهب: «له أربعون سنة ما مسَّ الماء»(١). ولهذا تركوا الختان مع أنه شرع إبراهيم الخليل عليه الصلاة السلام، وأتباعه.

(١) ذكر العلامة أبو الحسن الندوي في كتابه: ماذا خسر العالم من انحطاط المسلمين صـ ١٥١ ـ ١٥٢، نشر مكتبة الإيمان، المنصورة. من عجائب الرهبان وقسوتهم على أنفسهم ومن حولهم، وخصوصًا في باب البعد عن النظافة والطهارة ما تقشعرُّ منه الأبدان.

QaradawiBooks.com

واليهود عندهم إذا حاضت المرأة، لا يؤاكلونها ولا يشاربونها، ولا يقعدون معها في بيت واحد، والنصارى لا يحرِّمون وطء الحائض.

وكان اليهود لا يرون إزالة النجاسة. بل إذا أصاب ثوب أحد منهم قرضه بالمقراض، والنصارى ليس عندهم شيء نجس يحرم أكله، أو تحرم الصلاة معه[1].

وكذلك المسلمون وسط في الشريعة، فلم يجحدوا شرعه الناسخ لأجل شرعه المنسوخ، كما فعلت اليهود، ولا غيَّروا شيئًا من شرعه المحكم، ولا ابتدعوا شرعًا لم يأذن به الله، كما فعلت النصارى، ولا غلَوا في الأنبياء والصالحين كغلوِّ النصارى، ولا بخسوهم حقوقهم كفعل اليهود، ولا جعلوا الخالق سبحانه متَّصفًا بخصائص المخلوق ونقائضه ومعايبه ـ من الفقر والبخل والعجز ـ كفعل اليهود، ولا المخلوق متَّصفًا بخصائص الخالق سبحانه، التي ليس كمثله فيها شيء كفعل النصارى. ولم يستكبروا عن عبادته كفعل اليهود، ولا أشركوا بعبادته أحدا كفعل النصارى»[2] اهـ.

جـ ـ الوسطية دليل الخيريَّة:

والوسطية كذلك دليل الخيريَّة، ومظهر الفضل والتميُّز، في الماديات والمعنويات. ففي الأمور المادية نرى أفضل حبات العِقْد واسطته، ونرى رئيس القوم في الوسط، والأتباع من حوله. وفي الأمور المعنوية نجد التوسُّط دائمًا خيرا من التطرُّف.

ولهذا قال العرب في حِكَمهم: «خير الأمور الوسط». وقال أرسطو: «الفضيلة وسط بين رذيلتين». ومن هنا قال ابن كثير في قوله تعالى: ﴿أُمَّةً

---

(١) كذلك مما خالف فيه النصارى: تذكية الحيوان، وإباحة أكل لحم الخنزير.

(٢) الجواب الصحيح (١/٦٩ ـ ٧١)، نشر دار العاصمة، السعودية، ط٢، ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٩م.

QaradawiBooks.com

وَسَطًا﴾ [البقرة: ١٤٣]: «الوسط ههنا: الخيار والأجود. كما يقال: قريش أوسط العرب نسبًا ودارًا، أي: خيرها. وكان رسول الله ﷺ وسطًا في قومه، أي: أشرفهم نسبًا. ومنه: الصلاة الوسطى، التي هي أفضل الصلوات»[1]. ولا غرو أن يمدح الله أمَّة الإسلام بالوسطية، ومدحها كذلك بالخيريَّة، فقال مخاطبا لها في خاتمة كتبه: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ﴾ [آل عمران: ١١٠]. فوصفها الله تعالى بالخيريّة، لأنها أمَّة أُخرجت، لم تنبت بنفسها، بل أنبتها مُنبت، وأخرجها مُخرج، وهو الله، وهي لم تخرج لنفسها، بل أُخرجت للناس، كل الناس، لا للغرب، ولا لأهل الشرق. لهداية الناس، ونفع الناس، وإصلاح الناس، وإسعاد الناس.

د ـ الوسطية تمثِّل الأمان: كما أن الوسطية تُمثِّل منطقة الأمان، والبعد عن الخطر، فالأطراف عادة تتعرَّض للخطر والفساد أكثر من غيرها، بخلاف الوسط، فهو محميٌّ ومحروس بما حوله، وفي هذا قال الشاعر:

كانت هي الوسط المحمي فاكتنفت ... بها الحوادث حتى أصبحت طرَفًا

وكذلك شأن النظام الوسط، والمنهج الوسط، والأمة الوسط.

ولذلك نجد الحكم والامثال تحذِّر من التطرُّف؛ لأنه سبب الضياع، وتوصي بالتوسط؛ لأنه سبب الحفظ والبقاء! فقالوا: لا تكن رطبًا فتُعصر، ولا جامدًا فتُكسر! لا تكن حلوًا فتبلع، ولا مرًّا فتُلفظ!

هـ ـ الوسطية دليل القوة: والوسطية أيضًا دليل القوة، فالوسط هو مركز القوَّة، ألا ترى الشباب الذي يمثِّل مرحلة القوَّة وسطًا بين

(١) تفسير ابن كثير (٤٥٤/١).

QaradawiBooks.com

ضعفين: ضعف الطفولة وضعف الشيخوخة؟! وإليه الإشارة بقوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً﴾ [الروم: ٥٤]، والشمس في وسط النهار أقوى منها في أول النهار وآخره؟!

و ـ **الوسطية مركز الوحدة**: والوسطية تمثِّل مركز الوحدة ونقطة التلاقي، فعلى حين تتعدَّد الأطراف تعدُّدًا قد لا يتناهى، يبقى الوسط واحدًا، يمكن لكلِّ الأطراف أن تلتقي عنده، فهو المنتصف، وهو المركز. وهذا واضح في الجانب المادي والجانب الفكري والمعنوي على سواء.

ومركز الدائرة في وسطها يمكن لكل الخطوط الآتية من المحيط أن تلتقي عنده، والفكرة الوسط يمكن أن تلتقي بها الأفكار المتطرفة في نقطة ما، هي نقطة التوازن والاعتدال. كما أن التعدد والاختلاف الفكري يكون حتميًّا كلما وجد التطرف، وتكون حدَّته وشدَّته بقدر حدَّة هذا التطرُّف. أما التوسُّط والاعتدال فهو طريق الوحدة الفكرية ومركزها ومنبعها. ولهذا تثير المذاهب والأفكار المتطرِّفة من الفرقة والخلاف بين أبناء الأمة الواحدة ما لا تثيره المذاهب المعتدلة في العادة.

لهذه المزايا والفوائد التي ذكرناها للوسطية: كانت الوسطية إحدى الخصائص العامة للإسلام، تتجلَّى في كلِّ مقوِّماته بوضوح(١)، كما يتبيَّن لنا ذلك في الصفحات التالية.

* * *

(١) انظر كتابنا: الخصائص العامة للإسلام، صـ١٢٥ ـ ١٥٤.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية

الفصل الثاني

مظاهر الوسطية في الإسلام

وإذا كان للوسطية كلُّ هذه المزايا، فلا عجب أن تتجلَّى واضحة في كلِّ جوانب الإسلام، نظرية وعملية، تربوية وتشريعية. كما بيَّنتُ ذلك في كتابي «الخصائص العامة للإسلام». فالإسلام وسط في الاعتقاد والتصوُّر، وسط في التعبُّد والتنسُّك، وسط في الأخلاق والآداب، وسط في التشريع والنظام.

أولًا: وسطيَّة الإسلام في الاعتقاد والتصوُّر:

١ ـ فهو وسط في الاعتقاد: بين الخرافيين الذين يسرفون في الاعتقاد، فيصدقون بكلِّ شيء، ويؤمنون بغير برهان، وبين الماديين الذين ينكرون كلَّ ما وراء الحس، ولا يستمعون لصوت الفطرة، ولا نداء العقل، ولا دلالة المعجزة. فالإسلام يدعو إلى الاعتقاد والإيمان، ولكن بما قام عليه الدليل القطعي، والبرهان اليقيني، وما عدا ذلك يرفضه، ويعدُّه من الأوهام والظنون التي وصف القرآن بها عقائد المشركين حين قال: ﴿وَمَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ ۖ وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا﴾ [النجم: ٢٨]، نداؤه دائمًا لكل مخالفيه: ﴿قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَـٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ﴾ [البقرة: ١١١].

٢ ـ وهو وسط بين الملاحدة الذين لا يؤمنون بإله قط، خانقين صوت الفطرة في صدورهم، مُتحدِّين منطق العقل في رؤوسهم، وبين

QaradawiBooks.com

الذين يُعدِّدون الآلهة، حتى عَبَدوا الشموس والأقمار، بل عَبَدوا العجول والأبقار، وقدَّسوا الجبال والأنهار، وعبدوا النبات والأشجار، وألَّهُوا الأوثان والأحجار! فالإسلام يدعو إلى الإيمان بإله واحد لا شريك له، ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾ [الإخلاص: ٣، ٤]، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورى: ١١]، ولا يعجزه شيء، وهو خالق كلِّ شيء، وكلُّ مَن عداه وما عداه: مخلوقات لا تملك ضرًّا ولا نفعًا، ولا موتًا ولا حياة ولا نشورًا، لا لنفسها ولا لغيرها. فتأليهها شرك وظلم وضلال مبين: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَٰفِلُونَ﴾ [الأحقاف: ٥]، ﴿وَٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً لَّا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَوٰةً وَلَا نُشُورًا﴾ [الفرقان: ٣].

٣ ـ وهو وسط بين الذين يعتبرون الكون هو الوجود الحق وحده، وما عداه ـ مما لا تراه العين ولا تلمسه اليد ـ خرافة ووهم، وهم الماديون الذين ينكرون كلَّ ما وراء الحسِّ، وبين الذين يعتبرون الكون بكلِّ من فيه وما فيه وهمًا لا حقيقة له، وسرابًا بقيعة يحسبه الظمآن ماء، حتى إذا جاءه لم يجده شيئًا. فليس هناك إلا وجود واحد هو الله، ولا شيء غيره. وهم القائلون بوحدة الوجود.

فالإسلام يعتبر وجود الكون حقيقة لا ريب فيها، ولكنه يَعبُر من هذه الحقيقة إلى حقيقة أكبر منها، وهي مَن كوَّنه ونظَّمه ودبَّر أمره، وهو الله تعالى، فهو الدليل على وجود الله، وإلا كان مخلوقا من دون خالق: ﴿إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ۝ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا﴾ [آل عمران: ١٩٠، ١٩١].

QaradawiBooks.com

٤ ـ وهو وسط بين الذين يُؤَلِّهون الإنسان، ويُضْفُون عليه خصائص الربوبية، ويعتبرونه إله نفسه، يفعل ما يشاء، ويحكم ما يريد، وبين الذين جعلوه أسير جبرية اقتصادية أو اجتماعية أو دينية، فهو كريشة في مهب الريح، أو دُمية يحرك خيوطها المجتمع، أو الاقتصاد أو القدر.

فالإنسان في نظر الإسلام مخلوق مُكلَّف مسؤول، سيد في الكون، عبد لله، استخلفه في الأرض، ليعبده فيها، ويعمُرها ويُجمِّلها، ويقيم فيها الحقَّ والعدل. وهو الذي يصنع مصير نفسه بيده، وبما أودع الله فيه من طاقات، وما منحه من مواهب: ﴿مَّنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا﴾ [الإسراء: ١٥]، وقادر على تغيير ما حوله بقدر ما يُغيِّر ما بنفسه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ [الرعد: ١١].

٥ ـ وهو وسط بين الذين يُقدِّسون الأنبياء حتى رفعوهم إلى مرتبة الألوهية أو البنوة للإله، وبين الذين كذَّبوهم واتَّهموهم، وصبُّوا عليهم كؤوس العذاب. فالأنبياء بشرٌ مثلنا، يأكلون الطعام، ويمشون في الأسواق، ولكثير منهم أزواج وذريَّة، وكلُّ ما بينهم وبين غيرهم من فرق: أن الله مَنَّ عليهم بالوحي، وأيَّدهم بالمعجزات: ﴿قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِن نَّحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ وَمَا كَانَ لَنَآ أَن نَّأْتِيَكُم بِسُلْطَٰنٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ [إبراهيم: ١١].

٦ ـ وهو وسط بين الذين يؤمنون بالعقل وحده مصدرًا لمعرفة حقائق الوجود، وإثبات القيم، ومعايير الحقِّ والخير، وبين الذين لا يؤمنون إلا بالوحي والإلهام، أو النصِّ الديني، ولا يعترفون للعقل بدور في نفي أو إثبات.

QaradawiBooks.com

فالإسلام يؤمن بالعقل، ويدعوه للنظر والتفكُّر، وينكر عليه الجمود والتقليد، ويخاطبه بالأوامر والنواهي، ويكلِّفه فَهمها والاستنباط منها، ويعتمد عليه في إثبات أعظم حقيقتين في الوجود، وهما: وجود الله تعالى[1]، وصدق دعوى النبوة، ولكنه يؤمن بالوحي مكمِّلًا للعقل ومُعينًا له، فيما تضلُّ فيه العقول وتختلف، وما تغلب عليه الأهواء، وهاديًا له إلى ما ليس من اختصاصه ولا هو في مقدوره، من الغيبيَّات والسمعيَّات وطرائق التعبُّد لله، بما يحبُّه ويرضاه. كما حثَّ الإسلام العقل على أن يصول ويجول في الكون كلِّه، علويه وسفليه، باحثا مكتشفا لا يمنعه شيء، فكل ما في الكون مسخَّر للإنسان.

ثانيًا: وسطية الإسلام في العبادات والشعائر:

والإسلام وسط في عباداته، وشعائره: بين الأديان والنِّحل التي ألغت الجانب «الرباني» ـ جانب العبادة والتنسُّك والتأله ـ من فلسفتها وواجباتها، كالبوذية التي اقتصرت فروضها على الجانب الأخلاقي الإنساني وحده حتى قالوا: إن بوذا سئل عن حكمة الإله، وأمر الإله فقال: أنا لا أعرف كثيرًا عن حكمة الإله، ولكن أعرف كثيرًا عن بؤس الإنسان! وبين الأديان والنِّحل التي طلبت من صفوة أتباعها التفرُّغ للعبادة والانقطاع عن الحياة والإنتاج، كالرهبانية النصرانية، التي حرَّمت على أتباعها الزواج، والتمتُّع بزينة الله التي أخرج لعباده، والطيِّبات من الرزق.

(١) هذه الحقيقة الأولى والكبرى لم تثبت بطريق الوحي إلى رسول، فإن الوحي والرسالة فرع عن ثبوت المُوحِي والمُرسِل وهو الله، وإنما ثبتت هذه الحقيقة بضرورة العقل، وغريزة الفطرة معا. ولكن في مواجهة المنكرين لا تثبت إلا بالعقل.

QaradawiBooks.com

فالإسلام يطلب من المسلم أداء شعائر محدودة في اليوم كالصلوات الخمس، أو في الأسبوع كصلاة الجمعة، أو في السنة كالصوم، أو في العمر مرة كالحج، فلا يُرهقه من أمره عُسرًا بالتكاليف الشاقَّة المجهدة، ولا يَدَعه فارغًا من الصلة بالله، بل يجعله سائر يومه على موعد مع ربِّه، ليظلَّ دائمًا موصولا بالله، غير مقطوع عن رضاه، ثم يطلقه بعد ذلك ساعيًا منتجًا، يمشي في مناكب الأرض، ويأكل من رزق الله، زارعًا، أو صانعًا، أو محترفًا، أو تاجرًا، أو عاملًا في أي مجال، حتى تلفظ الحياة آخر أنفاسها. وحسبنا هذا الحديث النبوي: «**إن قامت الساعة وفي يد أحدكم فسيلة - نخلة صغير - فإن استطاع ألا يقوم حتى يغرسها فليغرسها**»[1]. فلِمَ يغرسُها ولن يأكل منها أحد؟ للإشارة إلى التعبُّد بالعمل لذات العمل.

ولعل أوضح دليل نذكره هنا: الآيات الآمرة بصلاة الجمعة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوۡمِ ٱلۡجُمُعَةِ فَٱسۡعَوۡاْ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلۡبَيۡعَۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ۝ فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَٱبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرٗا لَّعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾ [الجمعة: ٩، ١٠]. فهذا هو شأن المسلم مع الدين والحياة، حتى في يوم الجمعة: بيع وعمل للدنيا قبل الصلاة، ثم سعيٌ إلى ذكر الله وإلى الصلاة، وتركٌ للبيع والشراء وما أشبهه من مشاغل الحياة، ثم انتشار في الأرض وابتغاء الرزق من جديد بعد انقضاء الصلاة، مع عدم الغفلة عن ذكر الله كثيرًا في كلِّ حال، فهو أساس الفلاح والنجاح.

(١) رواه أحمد (١٢٩٨١)، وقال مخرِّجوه: إسناده صحيح على شرط مسلم. والبخاري في الأدب المفرد (٤٧٩)، والضياء في المختارة (٢٧١٥)، وصحَّحه الألباني في الصحيحة (٩)، عن أنس.

QaradawiBooks.com

ثالثًا: وسطية الإسلام في الأخلاق والمُثُل:

١ ـ والإسلام وسط في الأخلاق: بين غُلاة المثاليين الذين تخيَّلوا الإنسان ملاكًا أو شبه ملاك، فوضعوا له من القيم والآداب ما لا يمكن له، وبين غُلاة الواقعيين الذين حسبوه حيوانًا أو كالحيوان، حتى قال بعض الفلاسفة: إنه ذئب مقنَّع! فأرادوا له من السلوك ما لا يليق به، فأولئك أحسنوا الظن بالفطرة الإنسانية فاعتبروها خيرًا محضًا، وهؤلاء أساؤوا بها الظنَّ، فعدُّوها شرًّا خالصًا، وكانت نظرة الإسلام وسطًا بين أولئك وهؤلاء.

فالإنسانُ في نظر الإسلام مخلوقٌ مُركَّب: فيه العقل، وفيه الشهوة. فيه غريزة الحيوان، وروحانية الملاك. قد هُدي للنجدين، وتهيَّأ بفطرته لسلوك السبيلين، إما شاكرًا وإما كفورًا. فيه استعداد للفجور، استعدادَه للتقوى. ومهمَّته جهاد نفسه ورياضتها حتى تتزكَّى: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ۝ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا﴾ [الشمس: ٧ ـ ١٠].

٢ ـ وهو كذلك وسط في نظرته إلى حقيقة الإنسان: بين النِّحل والمذاهب التي تقوم على اعتباره روحًا علويًّا سجن في جسد أرضي، ولا يصفو هذا الروح ولا يسمو إلا بتعذيب هذا الجسد وحرمانه، كالبرهمية والمانوية والرواقية والرهبانية وغيرها، وبين المذاهب المادية التي تعتبر الإنسان جسدًا محضًا، وكيانًا ماديًّا صِرْفًا، لا يسكنه روح علوي، ولا يختص بأيِّ نفحة سماوية.

أما الإنسان في الإسلام، فهو كيان روحيٌّ وماديٌّ، كما يشير إلى ذلك خلق الإنسان الأول آدم عليه السلام، فقد خلقه الله من تراب أو طين أو صلصال، وكلها تومئ إلى الأصل المادي لبدن الإنسان، ثم أودع الله في هذه المادة

QaradawiBooks.com

شيئًا آخر، هو سرُّ تميُّز الإنسان، ومنبع كرامته، ومصدر تكريمه. وفيه يقول للملائكة: ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ﴾ [الحجر: ٢٩].

وما دام الإنسان مُؤلَّفا من قبضة الطين ونفخة الروح، أو بلفظ أخصر: من الروح والبدن، فإن لروحه عليه حقًّا، ولبدنه عليه حقًّا، وعليه أن يُعطي كل ذي حقٍّ حقَّه، فلا يجوز أن يغفل عن جانبه الروحي حتى يصدأ ويظلم، ولا جانبه البدني حتى يضعف ويسقم. وبهذا يرفض الإسلام موقف عبّاد البدن، الذين ليس لهم هدف إلا إشباع غرائزهم، ويرفض موقف الذين اعتبروا الجسد عدو الروح، ولا ترقى الروح وتصفو إلا بتعذيب البدن وتجويعه وإتعابه، وقد قامت على ذلك ديانات وفلسفات. ومن هنا كانت نصيحة الرسول لمَن غلا في تعبُّده: «**إن لبدنك عليك حقًّا، وإن لعينك عليك حقًّا، وإن لأهلك عليك حقًّا، وإن لزَورِك عليك حقًّا**»(١).

٣ ـ والإسلام وسط في النظرة إلى الحياة بين الذين أنكروا الآخرة، واعتبروا هذه الحياة الدنيا هي كلُّ شيء، هي البداية والنهاية: ﴿وَقَالُوٓا۟ إِنْ هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ﴾ [الأنعام: ٢٩]، وبهذا غرقوا في الشهوات، وعبَّدوا أنفسهم للماديات، ولم يعرفوا لهم هدفًا يركضون وراءه غير المنافع الفردية الدنيوية العاجلة، وهذا شأن الماديين في كل زمان ومكان. وبين الذين رفضوا هذا الحياة، وألغوا اعتبارها من وجودهم، واعتبروها شرًّا يجب مقاومته، والفرار منه، فحرَّموا على أنفسهم طيِّباتها وزينتها، وفرضوا على أنفسهم العزلة عن أهلها، والانقطاع عن عمارتها والإنتاج لها.

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري (١٩٧٥) ومسلم (١١٥٩)، كلاهما في الصوم، عن عبد الله بن عمرو.

QaradawiBooks.com

فالإسـلام يعتبر الحياتين، ويجمع بين الحَسَـنَتَيْن، ويجعل الدنيا مزرعة للآخـرة، ويرى العمـل في عمارتهـا عبادة لله، وأداء لرسـالة الإنسان، وينكر على غُلاة المتدينين تحريم الزينة والطيِّبات، كما ينكر على الآخرين انهماكهم في الترف والشهوات، يقول الله تعالى في كتابه: ﴿**وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَتَمَتَّعُونَ وَيَأۡكُلُونَ كَمَا تَأۡكُلُ ٱلۡأَنۡعَٰمُ وَٱلنَّارُ مَثۡوًى لَّهُمۡ**﴾ [محمد: ١٢]، ويقول تعالى: ﴿**يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ۝ قُلۡ مَنۡ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخۡرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزۡقِ**﴾ [الأعراف: ٣١، ٣٢].

ويذكـر القرآن: أن السـعادة والحياة الطيبة في الدنيـا من مثوبة الله لعباده المؤمنين فيقول: ﴿**فَـَٔاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ ثَوَابَ ٱلدُّنۡيَا وَحُسۡنَ ثَوَابِ ٱلۡأٓخِرَةِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ**﴾ [آل عمران: ١٤٨]، ويُعَلِّـم المؤمنين هذا الدعـاء القرآني الجامع لِحَسَنتي الدارين: ﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِي ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٗ وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ حَسَنَةٗ وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾ [البقرة: ٢٠١]. وكذلك الدعاء النبوي: «**اللهم أصلح لي ديني الذي هو عصمة أمري، وأصلح لي دنياي التي فيها معاشي، وأصلح لي آخرتي التي إليها معادي، واجعل الحياة زيادة لي في كلِّ خير، والموت راحة لي من كلِّ شرٍّ**»[(١)].

رابعًا: وسطية الإسلام في التشريع والنظم:

والإسلام وسـط كذلك في تشـريعه ونظامه القانوني والاجتماعي. ومَن تأمَّل فيه وقارن بيـن الأمم المختلفة في ذلك وجده أبدًا وسـطًا. وسنضرب لذلك بعض الأمثلة:

(١) رواه مسلم في الذكر والدعاء (٢٧٢٠)، عن أبي هريرة.

QaradawiBooks.com

وسط في التحليل والتحريم:

فهو وسط في التحليل والتحريم بين اليهودية التي أسرفت في التحريم، وكثُرت فيها المُحرَّمات، مما حرَّمه إسرائيل على نفسه، وممَّا حرَّمه الله على اليهود، جزاءَ بغيهم وظلمهم، كما قال الله تعالى: ﴿فَبِظُلْمٍ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَٰتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ كَثِيرًا ۝ وَأَخْذِهِمُ ٱلرِّبَوٰا۟ وَقَدْ نُهُوا۟ عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَٰطِلِ﴾ [النساء: ١٦٠، ١٦١]. وبين النصرانية التي أسرفت في الإباحة، حتى أحلَّت الأشياء المنصوص على تحريمها في التوراة، مع أن الإنجيل يعلن أن المسيح لم يجئ لينقض ناموس التوراة، بل ليكمله[(١)]. ومع هذا أعلن رجال المسيحية أنَّ كل شيء طاهر للطاهرين[(٢)].

فالإسلام قد أحلَّ وحرَّم، ولكنه لم يجعل التحليل ولا التحريم من حقِّ بشر، بل من حقِّ الله وحده، ولم يُحرم إلا الخبيث الضار، كما لم يُحل إلا الطيب النافع، ولهذا كان من أوصاف الرسول عند أهل الكتاب أنه: ﴿يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾ [الأعراف: ١٥٧].

وقد وسَّع دائرة الحلال، وضيَّق دائرة الحرام، وشدَّد النكير على الذين حرَّموا ما أحلَّ الله، فقال تعالى: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ لَكُم مِّن رِّزْقٍ فَجَعَلْتُم مِّنْهُ حَرَامًا وَحَلَٰلًا قُلْ ءَآللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى ٱللَّهِ تَفْتَرُونَ﴾ [يونس: ٥٩]، وعاب على العرب ما تعبَّدوا به في جاهليتهم من تحريم بعض الأنعام،

(١) إنجيل متَّى (١٧/٥).

(٢) رسالة بولس إلى تيطس (١٥/١).

QaradawiBooks.com

في حين استحلُّوا قتل أولادهم بغير حقٍّ، قال تعالى: ﴿قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ قَتَلُوٓاْ أَوْلَٰدَهُمْ سَفَهًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُواْ مَا رَزَقَهُمُ ٱللَّهُ ٱفْتِرَآءً عَلَى ٱللَّهِۚ قَدْ ضَلُّواْ وَمَا كَانُواْ مُهْتَدِينَ﴾ [الأنعام: ١٤٠].

وسط في شؤون الأسرة:

والتشريع الإسلامي وسط في شؤون الأسرة، كما هو وسط في شؤونه كلِّها، وسط بين الذين شرعوا تعدُّد الزوجات بغير عدد ولا قيْد، وبين الذين رفضوه وأنكروه ولو اقْتضته المصلحة وفرضته الضرورة والحاجة، ناهيك عن الذين رفضوا الزواج كلَّه من أصله.

فقد شرع الإسلام: الزواج بامرأةٍ أخرى بشرط القدرة على الإحصان والإنفاق، والثقة بالعدل بين الزوجتين، فإن خاف ألا يعدل، لزمه الاقتصار على واحدة، كما قال تعالى: ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُواْ فَوَٰحِدَةً﴾ [النساء: ٣]. وقد كان التعدُّد في الجاهلية بلا قَيْد ولا شرط، فوضع الإسلام له شرطًا وهو العدل، ووضع له قيدًا، وهو ألا يزيد على أربع بحال، على خلاف ما في «العهد القديم» من أن داود كان له ثلاثمائة امرأة، وسليمان كان له أكثر.

وهو وسط في الطلاق بين الذين حرَّموا الطلاق، لأيِّ سبب كان، ولو استحالت الحياة الزوجية إلى جحيم لا يطاق، كالكاثوليك، وقريب منهم الذين حرَّموه إلا لعلة الزنى والخيانة الزوجية كالأرثوذكس، وبين الذين أَرْخَوا العِنان في أمر الطلاق، فلم يقيِّدوه بقَيْد، أو شرط، فمَن طلب الطلاق من امرأة أو رجل، كان أمره بيده، وبذلك سهل هدم الحياة الزوجية بأوهى سبب، وأصبح هذا الميثاق الغليظ أوهى من بيت العنكبوت.

QaradawiBooks.com

إنما شرع الإسلام الطلاق، عندما تخفق كلُّ وسائل العلاج الأخرى، ولا يُجْدي تحكيم ولا إصلاح، ومع هذا فهو أبغض الحلال إلى الله، ويستطيع المُطلِّق مرة ومرة أن يراجع مطلَّقته ويعيدها إلى حظيرة الزوجية من جديد، كما قال تعالى: ﴿ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِۖ فَإِمۡسَاكُۢ بِمَعۡرُوفٍ أَوۡ تَسۡرِيحُۢ بِإِحۡسَٰنٖ﴾ [البقرة: ٢٢٩].

وسط في السِّلم والحرب:

وهو وسط في قضية السلام والحرب: بين النصرانية التي تدعو إلى السلام، ولو مع مَن اعتدى عليك في نفسك أو مالك، فليس المطلوب منك أن تمنعه وتدافع عن نفسك وأهلك وحقِّك ومالك، بل الذي يأمر به المسيح هنا بصريح عبارته ألا تقاوم الشرَّ بالشرِّ، ولا السيئة بالسيئة.

وهذا ما صرَّح به الإنجيل حيث يقول: «لا تقاوموا الشرَّ بالشرِّ، باركوا لاعنكم، وأحبُّوا أعداءَكم. مَنْ ضربك على خدِّك الأيمن فأدِرْ له خدَّك الأيسر، ومَن أخذ قميصك، فأعطِه إزارك، ومن سخَّرك لتمشي معه ميلًا، فامش معه ميلين»(١).

وبين اليهودية التي شعارها القوَّة والعنف في مقابلة الخصوم والأعداء، بل إن التوراة لتدعو إلى إبادة الأعداء واستئصالهم، حتى لا يبقى لهم من باقية!

فالتوراة تقول بالنسبة للبلاد البعيدة: ادعهم إلى الصلح، فإن هم استجابوا لدعوتك فإنهم يصبحون عبيدًا لك، رجالهم ونساؤهم، وصغارهم وكبارهم، وأما ديارهم وأرضهم وممتلكاتهم فكلها تصبح غنيمة لك، أعطاها لك الربُّ الملك.

---

(١) لوقا (٦/٢٨، ٢٩).

نسخة مجانية غير مرخص بطباعتها
QaradawiBooks.com

وأما البلاد القريبة ـ ويسمُّونها أرض الموعد ـ ويعنون بها أرض فلسطين ومن سكنها من أقوام، فإن التوراة تأمر أن تباد على بكرة أبيها، ولا تستبقي بها نسمة حيّة. هكذا أمر الرب الملك!

أما الإسلام فقد وقف هنا موقفًا وسطًا بين سماحة النصرانية ومسالمتها المفرطة، وقسوة اليهودية وعنفها المتجبِّر الذي لا يرحم. فأجاز المعاملة بالمثل، ومقابلة العدوان بالعدوان، وهي مرتبة «العدل»، وشرع العفو والمسامحة عند التمكُّن والقدرة وهي مرتبة «الفضل» أو «الإحسان».

وفي هذا يقول القرآن: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنْتَصِرُونَ ۞ وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾ [الشورى: ٣٩، ٤٠].

ويعود لذلك مرّة أخرى فيقول: ﴿وَلَمَنِ انْتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ ۞ إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۞ وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ [الشورى: ٤١ ـ ٤٣].

وإذا دخل الإسلام الحرب، فإنما يدخلها مُضْطرًّا للدفاع عن الحُرُمات والمُقدَّسات والدماء والأموال والأعراض، كما قال تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَكُمْ﴾ [البقرة: ٢١٦]. وإذا انتهت المعركة بغير دماء وقتال علّق القرآن بقوله: ﴿وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ﴾ [الأحزاب: ٢٥].

على أن الحرب لها أحكامها الشرعية وأصولها الأخلاقية، التي لا تسمح بقتل مَن لا يقاتِل، ولهذا يحرم قتل النساء والأطفال والشيوخ والأجراء والرهبان في الصوامع وقتالهم.

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

ولا يجوز قطع شجر مثمر، ولا تخريب عامر، ولا فساد في الأرض، إلى آخر آداب الحرب وأخلاقياتها التي عُرفت عند المسلمين دون غيرهم من الأمم(١).

وسط في النظام الاجتماعي:

والإسلام وسط في تشريعه ونظامه الاجتماعي بين «الليبراليين» أو «الرأسماليين» الذين يُدلِّلون الفرد على حساب المجتمع، بكثرة ما يُعطَى له من حقوق يطالب بها، وقلَّة ما يفرض عليه من واجبات يُسأل عنها، فهو دائما يقول: لي. وقلما يقول: عليَّ. وبين الماركسيين والجماعيين الذين يُضَخِّمون دور المجتمع، بالضغط على الفرد، والتقليل من حقوقه، والحَجْر على حُريته، ومصادرة نوازعه الذاتية. فالأوَّلون أعطوه حقَّ التملك المطلق بلا قيود ولا ضوابط ولا تكاليف تذكر، تحدُّ من طغيان التملك، ولا سيما إذا اتسع، والآخرون يحرمونه من التملك، ويدعونه كأنما هو أجير لدى الدولة أو كأنهم يعتبرونه كما قال القرآن: ﴿عَبۡدٗا مَّمۡلُوكٗا لَّا يَقۡدِرُ عَلَىٰ شَيۡءٖ﴾ [النحل: ٧٥]، ولماذا لا يقدر على شيء؟ لأنه لا يملك أي شيء.

التوازن بين الفرديَّة والجماعيَّة:

وفي النظام الإسلامي تلتقي الفرديَّة والجماعيَّة في صورة مُتَّزنة رائعة، تتوازن فيها حريَّة الفرد ومصلحة الجماعة، وتتكافأ فيها الحقوق والواجبات، وتتوزَّع فيها المغانم والتَّبِعات بالقسطاس المستقيم.

---

(١) انظر كتابنا: فقه الجهاد (٧٤٣/١ ـ ٧٨١)، فصل: الدستور الأخلاقي للحرب في الإسلام، نشر مكتبة وهبة، القاهرة، ط٣، ١٤٣١هـ ـ ٢٠١٠م. والإسلام والعنف، نشر دار الشروق، القاهرة.

QaradawiBooks.com

تخبط الفلسفات القديمة وتناقضها في القضية:

لقد تخبَّطت الفلسفات والمذاهب من قديم، في قضية الفرد والمجتمع والعلاقة بينهما: هل الفرد هو الأصل والمجتمع طارئ مفروض عليه، لأن المجتمع إنما يتكوَّن من الأفراد؟ والفرد له كيانه المستقل وشخصيته المتفردة، ومواهبه وملكاته وحوافزه. أو المجتمع هو الأساس والفرد نافلة، لأن الفرد بدون المجتمع مادة غفل «خام»، والمجتمع هو الذي يشكِّلها ويعطيها صورتها، فالمجتمع هو الذي يورِّث الفرد ثقافته وآدابه وعاداته وغير ذلك؟ وبغير المجتمع لا يملك الفرد أن يبيع أو يشتري أو ينتج أو يربح؟

من الناس مَن جَنَح إلى هذا، ومنهم مَن مال إلى ذلك، واحتدَّ الخلاف بين الفلاسفة والمشَرِّعين والاجتماعيين والاقتصاديين والسياسيين في هذه القضية من قديم، فلم يصلوا إلى نتيجة.

موقف الفلسفة الإغريقية:

كان «أرسطو» يؤمن بفردية الإنسان، ويُحبِّذ النظام الذي يقوم على الفرديَّة، وكان أستاذه «أفلاطون» يؤمن بالجماعية ـ الاشتراكية ـ كما يتَّضح ذلك في كتابه «الجمهورية».

وبهذا لم تستطع الفلسفة الإغريقية ـ أشهر الفلسفات البشرية القديمة ـ أن تَحُلَّ هذه العقدة، وأن تخرج الناس من هذه الحَيْرة، كشأن الفلسفة دائمًا في كلِّ القضايا الكبيرة، تُعطي الرأي وضدَّه، ولا يكاد أقطابها يتَّفقون على حقيقة، حتى قال أحد أساتذتها: الفلسفة لا رأي لها! لأنها تقول الشيء ونقيضه(١)!

(١) هو أستاذنا الدكتور عبد الحليم محمود أستاذ الفلسفة بكلية أصول الدين، وشيخ الأزهر بعد =

QaradawiBooks.com

مذهبان متناقضان في فارس القديمة:

وفي فارس ـ أو في إيران القديمة ـ ظهر مذهبان متناقضان: أحدهما فردي ويدعو إلى التقشُّف والزهد، والامتناع عن الزواج، ليعجِّل الإنسان بفناء العالم، الذي يعُجُّ بالشرور والآثام، وهذا هو مذهب «ماني» ويمثل أقصى الفردية. وقام في مقابله مذهب آخر يمثل أقصى «الجماعية» هو مذهب «مزدك» الذي دعا إلى شيوعية الأموال والنساء، وتبعه كثير من الغوغاء، الذين عاثوا في الأرض فسادًا، وضجَّت منهم البلاد والعباد.

تناقض اليهودية والنصرانية في القضية:

وقد جاءت الأديان السماوية ـ منها اليهودية والنصرانية ـ لتقيم التوازن في الحياة، والقسط بين الناس، كما قرَّر ذلك القرآن الكريم، ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾ [الحديد: ٢٥]، ولكن أتباعها سرعان ما حرَّفوها وبدَّلوا كلمات الله، وغيَّروا شرائع الله، وشرعوا من الدين ما لم يأذن به الله. ففقدت هذه الأديان بذلك كثيرًا من وظيفتها في الحياة، حين فقدت ميزتها الأولى وهي: ربَّانية المصدر. وتركت رجال كهنوتها يُحلُّون لها ويُحرّمون عليها دون إذن من الله تعالى: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَٰهًا وَاحِدًا ۖ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [التوبة: ٣١].

لهذا، لم تُقدِّم الأديان السابقة قبل الإسلام حلًّا لهذه المشكلة، فقد كان اليهود الذين تفرَّقوا في الأرض يؤيدون الفردية، بل الفردية الطاغية،

= ذلك. في مقال بعنوان: الفلسفة، مجلة البحوث (١٤١/٥)، العدد الخامس، محرم إلى جمادى الثانية، ١٤٠٠هـ.

QaradawiBooks.com

بتفكيرهم وسلوكهم القائم على الأنانية والعزلة عن المجتمعات: ﴿وَأَخْذِهِمُ ٱلرِّبَوٰاْ وَقَدْ نُهُواْ عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَٰطِلِ﴾ [النساء: ١٦١]، كما سجَّل عليهم القرآن العزيز. وأجازت لهم توراتهم أن يبيحوا لأنفسهم من المعاملات ما لا يباح لغيرهم، مثل أن يعاملوا غيرهم بالربا، على حين لا يعامل بعضهم بعضا بالربا، كما في سفر «التثنية»(١)، بناء على فلسفتهم الخبيثة في استحلال ما عند غيرهم من أموال وحرمات، كما نقله القرآن عنهم بقوله: ﴿وَمِنْهُم مَّنْ إِن تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لَّا يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَآئِمًاۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُواْ لَيْسَ عَلَيْنَا فِى ٱلْأُمِّيِّۦنَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [آل عمران: ٧٥]. فهم وحدهم أصحاب الكتاب وحملة التوراة، وكل الأمم الأخرى أميون لا يستحقون الاحترام، بل لا يستحقون الحياة، إلا ليخدموا «شعب الله المختار».

وجاءت المسيحية أيضًا تهتمُّ بنجاة الفرد وتخليصه من الخطيئة الموروثة عن أبيه آدم، قبل كلِّ شيء، تاركة شأن المجتمع لقيصر، ودولة قيصر(٢). أو على الأقل، هذا ما يُفهم من ظاهر ما يحكيه الإنجيل عن المسيح، حين قال: أعطِ ما لقيصر لقيصر، وما لله لله(٣)! فقسَّم الحياة بين الله وقيصر، وجعل قيصر شريكًا لله الواحد القهار.

تناقض المذاهب المعاصرة وصراعها حول القضية:

وإذا طوينا كتاب التاريخ وتأمَّلنا صفحات الواقع، فماذا نرى؟

إنَّ عالمنا اليوم يقوم فيه صراع ضخم بين المذهب الفردي، والمذهب

(١) سفر التثنية (١٩/٢٣، ٢٠).
(٢) انظر: محاضرة د. صلاح الدين السلجوقي، سفير أفغانستان في القاهرة: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ [البقرة: ١٤٣]، ضمن الموسم الثقافي الأول للإدارة العامة للثقافة الإسلامية بالأزهر.
(٣) إنجيل لوقا (٢٥/٢٠)، ومتَّى (٢١/٢٢).

QaradawiBooks.com

الجماعي. فالرأسمالية تقوم على تقديس الفردية، واعتبار الفرد هو المحور الأساسي، فهي تُدَلِّلُه بإعطاء الحقوق الكثيرة، التي تكاد تكون مطلقة، فله حرية التملك، وحرية العمل، وحرية القول، وحرية التصرف، وحرية التمتُّع، ولو أدَّت هذه الحريات إلى إضرار نفسه، وإضرار غيره، ما دام يستعمل حقَّه في «الحرية الشخصية»، فهو يتملَّك المال بالاحتكار والحيل والربا، وينفقه في اللهو والخمر والفجور، ويمسكه عن الفقراء والمساكين والمُعْوِزين، ولا سلطان لأحد عليه؛ لأنه «حرٌّ فيما يملك»، أشبه بما حكى القرآن عن قوم شعيب الذين أنكروا عليه أن ينهاهم عن تطفيف الكيل والميزان، وأن يبخسوا الناس أشياءهم، وأن يعثَوا في الأرض مفسدين: ﴿قَالُواْ يَـٰشُعَيْبُ أَصَلَوٰتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَآ أَوْ أَن نَّفْعَلَ فِىٓ أَمْوَٰلِنَا مَا نَشَـٰٓؤُاْ﴾ [هود: ٨٧]، فهم يرون أن المالك صاحب الحقِّ المطلق في ماله، يتصرَّف فيه كيف يشاء، ولا يطالَب بشيء.

والمذاهب الاشتراكية ـ وبخاصة المتطرِّفة منها كالماركسية ـ تقوم على الحَطِّ من قيمة الفرد، والتقليل من حقوقه، والإكثار من واجباته، واعتبار المجتمع هو الغاية، وهو الأصل. وما الأفراد إلا أجزاء أو تروس صغيرة في تلك «الآلة» الجبارة، التي هي المجتمع، والمجتمع في الحقيقة هو الدولة، والدولة في الحقيقة هي الحزب الحاكم، وإن شئتَ قلتَ: هي اللجنة العليا للحزب، وربما تركَّزت في النهاية ـ في حقيقة الأمر ـ في شخص واحد، هو زعيم الحزب فحسب، أو هو الدكتاتور!

إن الفرد ليس له حقُّ التملك إلا في بعض الأمتعة، والمنقولات، وليس له حق المعارضة، ولا حق التوجيه لسياسة بلده وأمته، وإذا حدَّثتْه نفسه بالنقد العلني أو الخفي، فإن السجون والمنافي وحبال المشانق له بالمرصاد!

QaradawiBooks.com

موقف الإسلام الفريد بين الطرفين:

ذلك هو شأن فلسفات البشر، ومذاهب البشر، والديانات التي حرَّفها البشر، وموقفها من الفردية والجماعية، فماذا كان موقف الإسلام؟

لقد كان موقفه فريدًا حقًّا، لم يَمِل مع هؤلاء ولا هؤلاء، ولم يتطرَّف إلى اليمين ولا إلى اليسار.

إن شارع هذا الإسلام هو خالق هذا الإنسان، فمن المحال أن يشرع هذا الخالق من الأحكام والنُّظُم ما يُعطِّل فطرة الإنسان أو يصادمها. وقد خلقه سبحانه على طبيعة مزدوجة: فردية واجتماعية في آن واحد. فالفردية جزء أصيل في كيانه، ولهذا يحبُّ ذاته، ويميل إلى إثباتها وإبرازها، ويرغب في الاستقلال بشؤونه الخاصة.

ومع هذا نرى فيه نزعة فطرية إلى الاجتماع بغيره، ولهذا عُدَّ السجن الانفرادي عقوبة قاسية للإنسان، ولو كان يتمتَّع داخله بما لذَّ وطاب من الطعام والشراب. ولهذا قال الحكماء من قديم: الإنسان مدني بطبعه. وقال فلاسفة الاجتماع المُحدَثون: الإنسان حيوان اجتماعي.

والنظام الصالح هو الذي يراعي هذين الجانبين في حياة البشر: الفردية والجماعية، ولا يُطغي أحدهما على الآخر. فلا عجب أن جاء الإسلام - وهو دين الفطرة - نظامًا وسطًا عدلًا، لا يجور على الفرد لحساب المجتمع، ولا يحيف على المجتمع من أجل الفرد، لا يُدلِّل الفرد بكثرة الحقوق التي تُمنح له، ولا يُرهقه بكثرة الواجبات التي تُلقى عليه، وإنما يكلِّفه من الواجبات في حدود وُسْعه، دون حَرَج ولا إعنات، ويُقرِّر له من الحقوق ما يكافئ واجباته، ويُلبِّي حاجته، ويحفظ كرامته، ويصون إنسانيته، ولا يجور على غيره.

QaradawiBooks.com

ولذلك تطبيقات كثيرة، وأحكام شـتَّى، تُمثِّل هذا التوازن، أو هذه الوسطية: في حياة الفرد، وفي حياة الأسـرة، وفي حياة المجتمع، وفي حياة الأمة، وفي حياة الدولة، وفي العلاقات الدولية والإنسـانية بصفة عامة. لا يتَّسع المجال لإيرادها هنا. فلتراجع في مظانِّها(١).

* * *

غير مرخصة للطباعة

(١) انظر كتابنا: الخصائص العامة للإسلام صـ ١٢٥ وما بعدها.

نسخة مجانية

QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

نسخة مجانية

QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

الفصل الثالث

منزلة الوسطية في الإسلام

١ ـ القرآن يشيد بالوسطية ويهدي إليها:

لا شكَّ في أن المصدر الأول للوسطية هو المصدر الأول لمعرفة الإسلام كلِّه، أصوله وفروعه، كلياته وجزئياته، عقائده وأعماله. وذلك هو القرآن الكريم.

ومَن قرأ القرآن العظيم وجد هذه الوسطية واضحة بيِّنة في كثير من آياته في القرآن المكي والمدني.

وقد ذكر الحافظ السيوطي في كتابه الشهير «الإتقان في علوم القرآن»: أن أحد العلماء كان يستخرج أمثال العرب والعجم من القرآن، فقيل له: هل تجد في كتاب الله المثل القائل: خير الأمور أوسطها؟ قال: نعم في أربع مواضع:

١ ـ في سورة البقرة، في قوله تعالى في وصف البقرة المطلوبة: ﴿قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌۢ بَيْنَ ذَٰلِكَ﴾ [البقرة: ٦٨].

٢ ـ وفي سورة الإسراء: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا﴾ [الإسراء: ٢٩].

٣ ـ وفي نفس السورة: ﴿وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَٱبْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا﴾ [الإسراء: ١١٠].

نسخة إلكترونية

٤ ـ وفي سورة الفرقان: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمۡ يُسۡرِفُواْ وَلَمۡ يَقۡتُرُواْ وَكَانَ بَيۡنَ ذَٰلِكَ قَوَامٗا﴾ [الفرقان: ٦٧].

وأستطيع أن أضيف إلى ذلك آيات أخر:

٥ ـ وفي سورة الفاتحة: ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ۝ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ [الفاتحة: ٦، ٧].

٦ ـ وفي سورة البقرة: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةٗ وَسَطٗا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيۡكُمۡ شَهِيدٗا﴾ [البقرة: ١٤٣].

٧ ـ وفي السورة نفسها: ﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِي ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٗ وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ حَسَنَةٗ وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾ [البقرة: ٢٠١].

٨ ـ وفي سورة الأنعام: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦ﴾ [الأنعام: ١٥٣].

٩ ـ وفي سورة الأعراف: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ۝ قُلۡ مَنۡ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخۡرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزۡقِ﴾ إلى أن قال: ﴿قُلۡ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلۡفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنۡهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلۡإِثۡمَ وَٱلۡبَغۡيَ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ وَأَن تُشۡرِكُواْ بِٱللَّهِ مَا لَمۡ يُنَزِّلۡ بِهِۦ سُلۡطَٰنٗا وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ﴾ [الأعراف: ٣١ ـ ٣٣].

١٠ ـ وفي سورة الكهف: ﴿وَلَا تُطِعۡ مَنۡ أَغۡفَلۡنَا قَلۡبَهُۥ عَن ذِكۡرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمۡرُهُۥ فُرُطٗا﴾ [الكهف: ٢٨].

١١ ـ وفي سورة القصص: ﴿وَٱبۡتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنۡيَاۖ وَأَحۡسِن كَمَآ أَحۡسَنَ ٱللَّهُ إِلَيۡكَ﴾ [القصص: ٧٧].

QaradawiBooks.com

١٢ ـ وفي سورة الرحمٰن: ﴿وَٱلسَّمَآءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ ٱلۡمِيزَانَ ۝ أَلَّا تَطۡغَوۡاْ فِي ٱلۡمِيزَانِ ۝ وَأَقِيمُواْ ٱلۡوَزۡنَ بِٱلۡقِسۡطِ وَلَا تُخۡسِرُواْ ٱلۡمِيزَانَ﴾ [الرحمٰن: ٧ ـ ٩].

فأثبتت هذه الآيات وسطية الإسلام بين الديانات، ووسطية الأمة الإسلامية بين الأمم، ووسطية المسلم في حياته وسلوكه، ووسطية الشريعة في التحليل والتحريم، خلافا لليهود الذين أسرفوا في التحريم، كما عاقبهم الله بتحريم طيّبات أحلّت لهم. وللنصارى الذين أسرفوا في التحليل، وإن دخلوا في التحريم أيضا بابتداع الرهبانية التي حرّمت الطيبات وحرّمت الزواج.

كما ينكر القرآن طريق الغُلوّ والتجاوز، سواء كان في العقائد أم الأعمال، كما قال في خطاب أهل الكتاب: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّۚ إِنَّمَا ٱلۡمَسِيحُ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلۡقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرۡيَمَ وَرُوحٞ مِّنۡهُۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۖ وَلَا تَقُولُواْ ثَلَٰثَةٌۚ ٱنتَهُواْ خَيۡرٗا لَّكُمۡۚ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ سُبۡحَٰنَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٞ﴾ [النساء: ١٧١]. وهذا غلو في العقائد، وفي سورة أخرى يقول: ﴿مَّا ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ مَرۡيَمَ إِلَّا رَسُولٞ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٞۖ كَانَا يَأۡكُلَانِ ٱلطَّعَامَ﴾ [المائدة: ٧٥]. ثم يقول: ﴿قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ غَيۡرَ ٱلۡحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوٓاْ أَهۡوَآءَ قَوۡمٖ قَدۡ ضَلُّواْ مِن قَبۡلُ وَأَضَلُّواْ كَثِيرٗا وَضَلُّواْ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ﴾ [المائدة: ٧٧]. وهذا غلوّ يشمل العقائد والأعمال.

مجيء الرسل بالوسطية:

وبيّن القرآن أن الرسل جميعًا جاؤوا بهذه الوسطية؛ لأنهم جاؤوا بالقسط، أي: العدل الذي قامت به السماوات والأرض: ﴿لَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا رُسُلَنَا بِٱلۡبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلۡنَا مَعَهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلۡقِسۡطِ﴾ [الحديد: ٢٥].

QaradawiBooks.com

ومنه: التوحيد؛ لأنه قمَّة العدل، فإن الشرك ظلم عظيم. ولهذا كان النداء الأول لكلِّ رسول إلى قومه، أن ﴿ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓ﴾ [الأعراف: ٥٩]. كما جاؤوا جميعا برسالة الإصلاح وعمارة الأرض، قال صالح لقومه: ﴿هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ وَٱسۡتَعۡمَرَكُمۡ فِيهَا فَٱسۡتَغۡفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِ﴾ [هود: ٦١]، وقال لقومه: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ۞ وَلَا تُطِيعُوٓاْ أَمۡرَ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ۞ ٱلَّذِينَ يُفۡسِدُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا يُصۡلِحُونَ﴾ [الشعراء: ١٥٠ ـ ١٥٢].

وقال شعيب: ﴿إِنۡ أُرِيدُ إِلَّا ٱلۡإِصۡلَٰحَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُۚ﴾ [هود: ٨٨]، بعد أن نهاهم عن التطفيف والإفساد.

وقال موسى لقومه: ﴿كُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ مِن رِّزۡقِ ٱللَّهِ وَلَا تَعۡثَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُفۡسِدِينَ﴾ [البقرة: ٦٠].

وقال موسى لأخيه هارون: ﴿ٱخۡلُفۡنِي فِي قَوۡمِي وَأَصۡلِحۡ وَلَا تَتَّبِعۡ سَبِيلَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ﴾ [الأعراف: ١٤٢].

وقال الله تعالى لأمة محمد: ﴿وَلَا تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ بَعۡدَ إِصۡلَٰحِهَا وَٱدۡعُوهُ خَوۡفٗا وَطَمَعًاۚ إِنَّ رَحۡمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٞ مِّنَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ [الأعراف: ٥٦].

فكلُّ رسالات السماء دعت إلى الإصلاح، ونهت عن الإفساد، واعتبرته من «الإسراف» وهو البعد عن الوسط المحمود.

٢ ـ السنَّة تؤكد الدعوة إلى الوسطية وتثبّتها:

ومن تدبَّر السنة النبوية الصحيحة، والسيرة النبوية الثابتة، تبيَّن له أنها على منهج القرآن نفسه في تبنِّي الوسطية المتوازنة، وتأكيد مكانتها، وتثبيت ركائزها في الحياة الإسلامية كلِّها، خاصَّة وعامَّة، فرديَّة وأسْريَّة، واجتماعية وسياسية.

QaradawiBooks.com

مظاهر الوسطية في السنة:

ونرى وسطية السنة تتجلَّى في مظاهر شتَّى:

رفض مظاهر الرهبانية وغلوِّها:

أ ـ في رفض مظاهر الرهبانية وما تمثِّل من غُلُوٍّ وتشديد على النفس، في الحرمان من طيبات الحياة، ومن الزواج، ومن العمل لعمارة الأرض. وقد روى الطبراني، عن عثمان بن مظعون أنه قال: يا رسول الله، ائذن لي في الاختصاء. ليقطع الشهوة الجنسية. فقال له: «**يا عثمان، إن الله قد أبدلنا بالرهبانية الحنيفية السمحة**»(١)، وروى البيهقي، عن أبي أمامة: «**تزوجوا، فإني مكاثر بكم الأمم يوم القيامة، ولا تكونوا كرهبانية النصارى**»(٢). وفي الصحيح، أن سعد بن أبي وقاص قال: ردَّ رسول الله ﷺ على عثمان بن مظعون التبتل، ولو أذن له لاختصينا(٣). وكذلك لم يأذن لابن مسعود ولا لأبي هريرة بالاختصاء.

وقاوم بشدَّة النزعة إلى الغُلوِّ والامتناع عن الطيبات، مثل أكل اللحم ونحوه، فأبى عليهم، وأنزل الله تعالى: ﴿**يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحَرِّمُواْ طَيِّبَٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمۡ وَلَا تَعۡتَدُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ**﴾ [المائدة: ٨٧].

---

(١) رواه الطبراني (٦٢/٦)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٧٣٠٨): رواه الطبراني وفيه إبراهيم بن زكريا وهو ضعيف. عن سعيد بن العاص.

(٢) رواه البيهقي في النكاح (٧٨/٧)، وقال ابن الملقن في البدر المنير (٤٢٤/٧): في إسناده محمد بن ثابت العبدي، وقد وثقه لوين وضعفه غيره، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٢٩٤١).

(٣) متفق عليه: رواه البخاري (٥٠٧٣)، ومسلم (١٤٠٢)، كلاهما في النكاح.

QaradawiBooks.com

شرعية اللهو والضحك والمزاح ولا سيما في الأعراس ونحوها:

ب ـ كما رفض التزمُّت في الموقف من اللهو والترويح والضحك والمزاح ونحوها، فكان عليه السلام، يمزح ولا يقول إلا حقًّا، ورويت عنه مزحات في غاية من اللطف، وكان أصحابه يتمازحون ويتضاحكون، فإذا جدَّ الجدُّ كانوا كآساد الشرى[١].

جـ ـ وأذن في الأعراس والأعياد والمناسبات السارة أن يروِّحوا عن أنفسهم ببعض الألحان والأغاني والرقصات، حتى إنه سمح للحبشة أن يرقصوا بحرابهم يوم العيد في مسجده الشريف، وقال: «**حتى يعلم يهود أن في ديننا فسحة، وإني بُعثت بحنيفيّة سَمْحة**»[٢]، فهي حنيفية في العقيدة، سَمْحة في الأحكام.

وأنكر عليهم أن يزُفُّوا عروسًا إلى زوجها دون أن يكون معها لهو[٣].

الحث على التجمُّل وإظهار آثار النعمة:

د ـ وأَحلَّ لهم أن يتجمَّلوا مما يحبُّون من الملابس والطيب وغيرها، قائلا: «**إن الله جميل يحبُّ الجمال**»[٤]. وأنكر على بعض أصحابه مِمَّن آتاه الله المال ألَّا تُرى آثار النعمة عليه في ملبسه ومظهره، وقال: «**إن الله يحبُّ أن يرى أثر نعمته على عبده**»[٥].

---

(١) انظر كتابنا: فقه اللهو والترويح، نشر مكتبة وهبة، القاهرة.

(٢) رواه أحمد (٢٤٨٥٥)، وقال مخرِّجوه: حديث قوي. وحسَّن إسناده الحافظ ابن حجر في تغليق التعليق (٢/٤٣)، وصححه الألباني في الصحيحة (١٨٢٩)، عن عائشة.

(٣) إشارة إلى حديث «يا عائشة، ما كان معكم لهو؟ فإن الأنصار يعجبهم اللهو». رواه البخاري في النكاح (٥١٦٢)، عن عائشة.

(٤) رواه مسلم في الإيمان (٩١)، وأحمد (٣٧٨٩)، عن ابن مسعود.

(٥) رواه الترمذي في الأدب (٢٨١٩)، وحسنه، والطيالسي (٢٣٧٥)، والحاكم في الأطعمة =

QaradawiBooks.com

التوسط بين حقِّ الرب وحظ النفس وحقوق الخلق:

هـ ـ وكان ﷺ يقاوم نزعة التشديد على النفس في التعبُّد صيامًا وقيامًا وذكرًا وتلاوةً، بحيث يجور على حقِّ نفسه، وحقِّ أهله، وحقّ مجتمعه. ويرى أن العدل أن يُعطَى كل ذي حق حقه، بلا طغيان ولا إخسار في الميزان، كما فعل ذلك مع عبد الله بن عمرو حين بالغ في التعبد فقال له: «**إن لبدنك عليك حقًّا، وإن لعينك عليك حقًّا، وإن لأهلك عليك حقًّا، وإن لـزَوْرِك عليك حقًّا**»[1]. وفي حديث آخر: «**فأعطِ كلَّ ذي حقٍّ حقَّه**»[2].

كما ينكر على مَن يرفض رخصة الله له إذا كان مسافرًا أو مريضًا، ومَنْ حقّه أن يفطر، ويقضي عدة من أيام أخر.

السنة تدعو إلى القصد في كل شيء:

و ـ ولا تكاد توجد كلمة «وسط» في السنّة[3]، ولكن توجد كلمة بديلة عنها، وهي كلمة «القصد» ومعناها: الاعتدال والتوسط، كما في القرآن في وصايا لقمان لابنه: ﴿وَٱقْصِدْ فِى مَشْيِكَ﴾ [لقمان: ١٩]. أي: امشِ مشـيًا معتدلًا بين الهرولة والبطء. من ذلك الحديث الصحيح: «**فسدِّدوا وقاربوا وأبشروا، واغْدوا وروحوا، وشيء من الدُّلجة والقصدَ القصدَ تبلغوا**»[4].

= (١٣٥/٤)، وصحح إسناده، ووافقه الذهبي، وحسنه الألباني في صحيح الترمذي (٢٢٦٠)، عن عبد الله بن عمرو.

(١) سبق تخريجه صـ٤٩.

(٢) رواه البخاري في الصوم (١٩٦٨)، عن أبي جحيفة السوائي.

(٣) إنما قلنا: لا تكاد توجد؛ لأنه وجد بالفعل بعض أحاديث، مثل حديث أبي سعيد الخدري، عن النبي ﷺ: «الوسط العدل». والحديث سبق تخريجه صـ ٣٥.

(٤) رواه البخاري في الرقاق (٦٤٦٣)، عن أبي هريرة.

QaradawiBooks.com

وقال رسول الله ﷺ حين رأى بعض الناس يطيل في العبادة: «**عليكم هديًا قاصدًا - ثلاث مرات - فإنه مَن يُشادّ الدين يَغلبه**»[(١)]. ومعنى «قاصدًا» أي وسطًا معتدلًا.

وعن جابر بن سَمُرة قال: كنتُ أصلِّي مع النبي ﷺ الصلوات، فكانت صلاته قصدًا وخطبته قصدًا[(٢)]. أي: ليست بالطويلة المُمِلّة، ولا بالقصيرة المُخِلّة.

وجاءت عدة أحاديث ما بين صحيح وحسن، تثني على القصد في الفقر والغنى، أي: التوسط والاعتدال فيه، كما في حديث عمار بن ياسر: «**وأسألك القصد في الفقر والغنى**»[(٣)].

وعن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «**ثلاث مهلكات: شحّ مطاع، وهوى مُتّبع، وإعجاب المرء بنفسه. وثلاث منجيات: خشية الله في السر والعلانية، والقصد في الغنى والفقر، وكلمة الحق في الرضا والغضب**»[(٤)].

وعن حذيفة قال: قال رسول ﷺ: «**ما أحسن القصد في الغنى، وأحسن القصد في الفقر، وأحسن القصد في العبادة**»[(٥)].

---

(١) رواه أحمد (١٩٧٨٦)، وقال مخرِّجوه: إسناده صحيح. وابن أبي عاصم في السنة (٩٧)، عن أبي برزة الأسلمي.

(٢) رواه مسلم في الجمعة (٨٦٦)، وأحمد (٢٠٨٨٥).

(٣) رواه أحمد (١٨٣٢٥)، وقال مخرِّجوه: صحيح. والنسائي في السهو (١٣٠٥).

(٤) رواه البزار (٦٤٩١)، والطبراني في الأوسط (٥٤٥٢)، وحسَّنه الألباني في صحيح الجامع الصغير (٣٠٣٩).

(٥) رواه البزار (٢٩٤٦)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٧٨٥٠): رواه البزار من رواية سعيد بن حكيم، عن مسلم بن حبيب، ومسلم هذا لم أجد من ذكره إلا ابن حبان في ترجمة سعيد الراوي عنه، وبقية رجاله ثقات. وضعفه الألباني في ضعيف الجامع (٤٩٨٤).

QaradawiBooks.com

بين الغُلوّ والجفاء:

ز ـ وعن عبد الرحمٰن بن شبل قال: قال رسول الله ﷺ: «**اقرؤوا القرآن واعملوا به، ولا تغلوا فيه، ولا تجفوا عنه، ولا تأكلوا به، ولا تستكثروا به**»(١).

وعن أبي موسى الأشعري قال: قال رسـول الله ﷺ: «**إن من إجلال الله: إكرام ذي الشيبة المسلم، وحامل القرآن غير الغالي فيه والجافي عنه، وإكرام ذي السلطان المقسط**»(٢).

وهذان الحديثان أصل مهم في مدح الوسـطية وتفسيرها، وأنها بين الغُلوّ والجفاء كما جاء في القرآن، ومثله في السنة.

التيسير مراعاة للطاقة الإنسانية:

ح ـ وكانت التوجيهات النبوية كلها تحـثُّ على القصد والاعتدال، مراعاة للطاقة الإنسانية، وحتى لا يمَلّ المكلّف وينقطع نهائيا في وسط الطريق، فإن المنبتَّ لا أرضا قطع ولا ظهرا أبقى.

وقال ﷺ: «**إن الدين يُسر، ولن يُشادّ الدين أحد إلا غلبه، فسدّدوا وقاربوا**»(٣)، وقال: «**عليكم من العمل ما تطيقونه، فوالله لا يملّ الله حتى**

(١) رواه أحمد (١٥٥٢٩)، وقال مخرِّجوه: صحيح. وأبو يعلى (١٥١٨)، والطبراني في الأوسط (٢٥٧٤)، ووثق رجاله الهيثمي في مجمع الزوائد (٦٤٤٥)، عن عبد الرحمٰن بن شبل.

(٢) رواه أبو داود في الأدب (٤٨٤٣)، والبخاري في الأدب المفرد (٣٥٧)، وحسّن إسناده النووي في رياض الصالحين (٣٥٤)، والعراقي في تخريج الإحياء (١٨٧٦)، وابن حجر في التلخيص الحبير (٢/٢٤٠)، وحسَّنه الألباني في صحيح الأدب المفرد (٢٧٤).

(٣) رواه البخاري في الإيمان (٣٩)، عن أبي هريرة.

QaradawiBooks.com

تملّوا»(١)، وقال لمعاذ حين أطال بالناس الصلاة: «**أفتّان أنت يا معاذ؟**»(٢) كرّرها ثلاثا، وقال: «**هلك المتنطّعون**»(٣) كرّرها ثلاثا.

وعن أنس قال: جاء ثلاث رهط إلى بيوت أزواج النبي ﷺ يسألون عن عبادته، فلما أخبروا كأنهم تقالُّوها، فقالوا: أين نحن من النبي ﷺ؟ قد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، قال أحدهم: أما أنا فإني أصلي الليل أبدا، وقال آخر: أنا أصوم الدهر ولا أفطر. وقال آخر: أنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبدا، فجاء رسول الله ﷺ فقال: «**أنتم الذين قلتم كذا وكذا؟ أما والله أني لأخشاكم لله وأتقاكم له، لكني أصوم وأفطر، وأصلي وأرقد، وأتزوَّج النساء، فمن رغب عن سُنَّتي فليس مني**»(٤).

ساعة وساعة:

ويدخل في ذلك ما قاله ﷺ لحنظلة، حين جاءه يعدو، وهو يقول: نافق حنظلة! نافق حنظلة! وذلك لأنه في بيته ومع أولاده يكون في حالة غير الحالة من السمو الروحي التي يكون عليها مع رسول الله. فقال له النبي ﷺ: «**والذي نفسي بيده، لو تدومون على ما تكونون عندي، وفي الذكر، لصافحتكم الملائكة على فرشكم وفي طرقكم، ولكن يا حنظلة ساعة وساعة**»(٥) كرَّرها ثلاث مرات. أو كما يقول المثل: ساعة لقلبك، وساعة لربك. على نحو ما حكى الأصمعي: أنه رأى فتاة في البادية

(١) متفق عليه: رواه البخاري في الإيمان (٤٣)، ومسلم في صلاة المسافرين (٧٨٥)، عن عائشة.

(٢) متفق عليه: رواه البخاري في الأذان (٧٠١)، ومسلم في الصلاة (٤٦٥)، عن جابر بن عبد الله.

(٣) رواه مسلم في العلم (٢٦٧٠)، وأحمد (٣٦٥٥)، عن ابن مسعود.

(٤) متفق عليه: رواه البخاري (٥٠٦٣)، ومسلم (١٤٠١)، كلاهما في النكاح، عن أنس.

(٥) رواه مسلم في التوبة (٢٧٥٠)، وأحمد (١٩٠٤٥)، عن حنظلة الأسيدي.

QaradawiBooks.com

تصلي في خشـوع على سـجادتها، فلمّا فرغت من الصلاة، قامت إلى مرآتها تتجمّل وتتعطّر. فقلت لها: أين هذا من هذا؟ فأنشدت:

ولله منّي جانب لا أضيّعه وللهو مني والبطالة جانب!

قال: فعرفت أنها امرأة صالحة لها زوج تتجمّل له[1].

قيّدها وتوكل:

ط ـ كما حرص الرسول الكريم أن يعلم المؤمنين برسالته: الجمع بين الأخذ بالأسباب والتوكل على الله تعالى، فإن الله قد أقام هذا العالم على شبكة مترابطة من الأسباب والمسببات، قائمة على مراعاة سنن الله في خلقه. ومن ذلك ما قاله ﷺ للأعرابي في شأن ناقته حين قال له: أعقلها وأتوكل، أو أطلقها وأتوكل؟ قال: «**اعقلها وتوكل**»[2] فجمع بين الأسباب المادية، وهي ربطها وتقييدها. والأسباب الروحية، وهي التوكل على الله تبارك وتعالى.

الرسول هو المثل الأعلى المجسّد للحياة الوسطية المتوازنة

وممّا تميّز به الإسلام: أنّ ما دعا إليه من قيم وفضائل، لم يدَعْه محض معانٍ تجريدية، ومُثُل نظرية، يسرح فيها الفكر، ولا تتجسّد في الواقع، بل جسّدها في مثال بشري حيّ، تراه الأعين، وتسمعه الآذان، وذلك هو محمد رسول الله الذي جعله الله أسوة مثلى للمؤمنين، ومثلًا بشريًا أعلى للعالمين، قال تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْـَٔاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: ٢١].

---

(١) إحياء علوم الدين (٢/٥٩)، نشر دار المعرفة، بيروت.

(٢) رواه الترمذي في صفة القيامة (٢٥١٧)، وقال: حديث غريب. وأبو نعيم في حلية الأولياء (٨/٣٩٠)، وحسنه الألباني في تخريج مشكلة الفقر (٢٢)، عن أنس.

QaradawiBooks.com

ويسرّني أن أنقل هنا من كتابي «الحياة الربانية والعلم» ما يجلِّي هذه الحقيقة بالأدلة الناصعة. قلت: والحق أن المثل التطبيقي الأعلى للتكامل وللتوازن بين المثال والواقع، بين القلب والعقل، بين الإيمان والعلم، بين الروح والمادة، بين الفردية والجماعية، بين حق الرب وحظ النفس. وإعطاء كلٍّ منها حقه بلا طُغيان ولا إخسار هو رسول الله ﷺ، الذي أرسله الله رحمة للعالمين، وأنزل عليه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان.

الرسول العابد الزاهد:

فنراه في مجال العبادة لربه، العابد الأول، الذي كانت قرة عينه في الصلاة، وكان يقوم الليل حتى تتفطّر قدماه، ويَبكي حتى تُبلِّل دموعُه لِحْيتَه، وتعجب زوجه عائشة من شدة تعبُّده وبكائه، وقد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، فيقول لها: «**أفلا أكون عبدًا شكورا**»(١).

وكان يصوم الاثنين والخميس من كل أسبوع غالبًا، وأحيانا يديم الصيام حتى يظن من حوله أنه يصوم الدهر كله، وأحيانا يواصل الليل بالنهار في الصيام، فيمضي يومين أو أكثر لا يتناول طعاما، بعد الغروب، وهو ما نهى عنه أصحابه، ولهذا قالوا له: أتنهانا عن الوصال وتواصل؟ فقال: «**وأيكم مثلي؟ إني أبيت يطعمني ربي ويسقيني**»(٢)، فكانت من خصوصياته ﷺ.

وكان دائم الذكر لله تعالى في كلّ أحواله: وعلى كلّ أحيانه، بقلبه ولسانه. وأذكاره وأدعيته ومناجاته لربه، يتجلّى فيها أغنى قيم الصدق

(١) متفق عليه: رواه البخاري في التفسير (٤٨٣٧)، ومسلم في صفة القيامة (٢٨٢٠)، عن عائشة.
(٢) متفق عليه: رواه البخاري (١٩٦٥)، ومسلم (١١٠٣)، كلاهما في الصيام، عن أبي هريرة.

QaradawiBooks.com

والإخلاص لله تعالـى، والعبودية المتجرّدة لربها، كمـا أنها تمثل أروع المعاني، وأوضح الطموحات التي ينبغي أن ينشـدها الإنسـان الرباني لنفسـه، ولمن يحـب، مصوغة في أحلـى القوالب البلاغيـة، وأعذب الأسـاليب البيانية، التي تهز الكينونة البشرية من أعماقها، وهي وحدها مدرسة روحية فذة.

وقد حفلت بها كتب الحديث والسـيرة، وأُلِّفـت فيها كتب خاصة، قديمًا وحديثًا، لعلّ أحدثها كتاب شيخنا الشيخ محمد الغزالي «فن الذكر والدعاء عند خاتم الأنبياء».

وكان ﷺ، برغم تعبده لربه، واشـتغاله بذكره، وقيامه الدائم بالدعوة إلى دينه، والجهاد في سبيله، دائم الخشية له سبحانه، كثير الاستغفار، كثير التوبة، وهذا من كمال عبوديتـه، وعِظَم مقام الألوهية عنده، وفي هذا كان يقول: «**إنه ليُغانُ على قلبي، وإنّي لاستغفر الله في اليوم مائة مرة**»[1]، «**يا أيها الناس، توبوا إلى ربكم، فإني أتوب إلى الله ﷻ في اليوم مائة مرة**»[2].

وكان ﷺ أزهد الناس في الدنيا، وأرضاهم باليسير منها، مع ما فتح الله له من الفتوح، وأفاء عليه من الغنائم، وبعد أن أصبح سـيد الجزيرة. ولكنه لقي ربه ولم يشبع من خبر الشعير ثلاثة أيام متوالية، وكان الشهر يمر تلو الشـهر ولا يوقد في بيته نار، إنما عيشـه على الأسودين: التمر والمـاء. وكان ينام على الحصيـر حتى يؤثر في جنبيـه.. ورآه عمر بن الخطاب يوما كذلك، فبكى توجعًا له وإشفاقًا عليه، واقترح عليه بعضهم أن يهيئوا له فراشًا ألين من هذا، فقال لهم: «**ما لي وللدنيا؟ ما مثلي ومثل**

(١) رواه مسلم في الذكر (٢٧٠٢) (٤١)، عن الأغر المزني.
(٢) رواه مسلم في الذكر (٢٧٠٢) (٤٢)، عن ابن عمر.

QaradawiBooks.com

الدنيا إلا كراكب سار في يوم صائف، فاستظل تحت شجرة ساعة من نهار، ثم راح وتركها»(١)!

الرسول الإنسان:

ولكنه ﷺ، مع هذه الروحانية العالية، في ذكره وشكره وحسن عبادته لربه، وفي زهادته في دنيا الناس، وعيشه فيها بشعور الغريب، وعابر السبيل؛ لم يغفل الجوانب الأخرى بما تفرضه من أعباء، وما تمثله من مطالب. لم ينس أنه إنسان وزوج وأب وجد، وقريب، وجار، وصديق، ورئيس، وقائد. وأن كل علاقة من هذه لها حقوقها.

ولهذا رأيناه إنسانا يرضى كما يرضى البشر، ويغضب كما يغضب البشر، ويفرح كما يفرحون، ويحزن كما يحزنون.

ولكنه إذا رضي لم يُدخِله رضاه في باطل، وإذا غضب لم يُخْرِجْه غضبه عن الحق، وإذا فرح لم يفرح بغير الحق، وإذا حزن لم يخرجه حزنه عن الصبر والرضا، ويشارك أصحابه في مسراتهم، ولا يخرجه ذلك عن الوقار.

ويضحكه بعض أصحابه فيضحك، ويمزح أحيانا، ولكن لا يقول إلا حقًّا، ويأذن للحبشة أن يرقصوا بحرابهم في مسجده، ويعرف طبيعة الأنصار، فيقول في عرس لأحدهم: «**أما كان معهم لهو؟ فإن الأنصار يعجبهم اللهو**»(٢)، ويسمح لجاريتين أن تغنيا في بيته في يوم عيد قائلًا: «**حتى يعلم اليهود أن في ديننا فسحة، وأني بُعِثْتُ بحنيفية سمحة**»(٣).

---

(١) رواه أحمد (٢٧٤٤)، وقال مخرجوه: إسناده صحيح. وابن حبان في التاريخ (٦٣٥٢)، والحاكم في الرقاق (٣٠٩/٤)، وصححه على شرط البخاري، ووافقه الذهبي، عن ابن عباس.

(٢) سبق تخريجه صـ٦٨.

(٣) سبق تخريجه صـ٦٨.

QaradawiBooks.com

الزوج المثالي:

رأيناه زوجًا يحسن عِشرة أزواجه، ويعدل بينهن فيما يقدر عليه، ويطيب أنفسهن، ويصالح بينهن، ويقدر الظروف الخاصة لكل منهن، ويستمع أحيانا إلى قصصهن وإن طالت، كما في حديث أم زرع المشهور، وبرغم همومه ومشاغله التي تنوء بها الجبال، يداعب ويمازح، كما رأيناه يسابق عائشة، فتسبقه مرة، ويسبقها مرة، ويسبقها أخرى، فيقول لها: «**هذه بتلك**»(١).

الأب والجد:

رأيناه أبًا يحب أبناءه وبناتِه، ويحرص على كل خير لهم في الدنيا والآخرة، مات ابنه إبراهيم، فحزن عليه، ودمعت عيناه، ولم يجد في ذلك ما ينافي الصبر والرضا، بل قال: «**تدمع العين، ويحزن القلب، ولا نقول إلا ما يرضي الرب، والله إنا بفراقك يا إبراهيم لمحزونون**»(٢).

وحين أراد علي بن أبي طالب رضي الله عنه، أن يتزوج على فاطمة الزهراء رضي الله عنها، ابنة أبي جهل لعنه الله، غضب صلى الله عليه وسلم وقال: «**إن فاطمة بَضعَة - قطعة - مني، وأنا أتخوف أن تفتن في دينها، وإني لست أحرم حلالا، ولا أحل حرامًا، ولكن والله لا تجتمع بنت رسول الله وبنت عدو الله تحت رجل واحد أبدا**»(٣).

---

(١) رواه أحمد (٢٤١١٨)، وقال مخرجوه: إسناده صحيح على شرط الشيخين. وأبو داود في الجهاد (٢٥٧٨)، وابن ماجه في النكاح (١٩٧٩)، وابن حبان في السير (٤٦٩١)، وصححه الألباني في الصحيحة (١٣١)، عن عائشة.

(٢) متفق عليه: رواه البخاري في الجنائز (١٣٠٣)، ومسلم في الفضائل (٢٣١٥)، عن أنس.

(٣) متفق عليه: رواه البخاري في فرض الخمس (٣١١٠)، ومسلم في فضائل الصحابة (٢٤٤٩)، عن المسور بن مخرمة.

QaradawiBooks.com

رأيناه جَدًّا يلاعب سبطيه الحسن والحسين، ويوطئ لهما ظهره ليركباه، بأبي هو وأمي، ويركب أحدهما على ظهره الشريف مرة وهو يصلي فيطيل الصلاة، حتى ظن الصحابة الظنون، فلما فرغ وسلم، سألوه عن سر إطالة سجوده، فقال: «**إن ابني ارتحلني** ـ أي اتخذني راحلة وركوبة ـ **فكرهت أن أعجله**»(١). أي أنه لم يشأ أن يقطع على الصبي لذته في امتطاء ظهر جده.

ويقول عن الحسن والحسين: «**إن ابنيَّ هذين ريحانتاي من الدنيا**»(٢).

راعي حقوق الرحم والجوار والصداقة:

رأيناه يرعى حق الرحم والقرابة، ولو كان أهلها مشركين، ويقول عن قريش: «**لكن لهم رحم أبُلُّها ببِلالها**»(٣). وحين تمكن منهم يوم الفتح بعد طول ما جرعوه الصاب والعلقم، قال لهم في تسامح القوي: «**اذهبوا فأنتم الطلقاء**»(٤). بل كان يكرم أقارب أبيه من بني النجار، وأقارب أمه من بني زهرة، مثل سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه، الذي عرف بأنه خال رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولم يكن أخًا لأمه، ولكن من بني عمومتها.

رأيناه يرعى حق الجار، وإن ظلم وجار، وإن كان يهوديا من أهل الكتاب. ويقول في ذلك: «**ما زال جبريل يوصيني بالجار، حتى ظننت أنه سيورثه**»(٥).

---

(١) رواه أحمد (١٦٠٣٣)، وقال مخرجوه: إسناده صحيح. والنسائي في التطبيق (١١٤١)، والحاكم في معرفة الصحابة (١٦٥/٣)، وصححه على شرطهما، ووافقه الذهبي، عن شداد بن الهادِ.

(٢) رواه البخاري في أصحاب النبي (٣٧٥٣)، عن ابن عمر.

(٣) رواه البخاري في الأدب (٥٩٩٠)، عن عمرو بن العاص.

(٤) رواه البيهقي في السِيَر (١١٨/٩)، عن أبي هريرة.

(٥) متفق عليه: رواه البخاري في الأدب (٦٠١٤)، ومسلم في البر والصلة (٢٦٢٤)، عن عائشة.

QaradawiBooks.com

رأيناه صديقًا، يرعى حقوق الصداقة والصحبة، ولهذا غضب حين أغضب بعضهم أبا بكر، فقال: «**اتركوا لي صاحبي**»[(١)]. وقال: «**لو كنتُ متخذًا من أمتي خليلًا دون ربي، لاتخذت أبا بكر خليلًا، ولكنه أخي وصاحبي**»[(٢)].

وكان أوفى الناس لأصحابه، ولكل مَن تربطه بـه أو بأهل بيته صِلة، حتى كان يكرم بعض العجائز، ويبش لهن، ويهدي إليهن، فسئل في ذلك، فقال: «**إن هذه كانت صديقة خديجة، وإن حسن العهد من الإيمان**»[(٣)]!

رئيس الدولة:

رأيناه رئيسًـا لدولة جديدة، تحيط بها العداوات من كل جانب: وثنية ويهودية ونصرانية، فلم يشـغله هم الجهاد والإعداد لمقاومة أعدائها، عن العناية بالشـؤون الداخلية لأهلها، من بناء المسـجد للصـلاة، إلى إقامة السـوق للتجارة.. ومن إقامة العلاقات السياسية بين الطوائف التي تسكن المدينة وضواحيها، وهي دار الإسلام في ذلك الوقت، على أساس واضح مكتوب في وثيقة دستورية معروفة، إلى العناية بأمر هرة حبستها امرأة حتى ماتت جوعًا، فلا هي أطعمتها، ولا هي تركتها تأكل من خشاش الأرض[(٤)]. ومن لقاء الوفود من أنحاء الجزيرة، وإرسـال الرسـل إلى ملوك الأرض المعروفين، إلى الاهتمام بأمر أَمَة تأخذ بيده، وتمضي في طرقات المدينة، فلا يدع يده من يدها ـ تواضعًا وحياءً منه ـ حتى تقضي حاجتها[(٥)].

---

(١) رواه البخاري في التفسير (٤٦٤٠)، عن أبي الدرداء.

(٢) رواه البخاري في أصحاب النبي (٣٦٥٦)، عن ابن عباس.

(٣) رواه الحاكم في الإيمان (١٥/١)، وصححه على شرطهما، ووافقه الذهبي.

(٤) متفق عليه: رواه البخاري في المساقاة (٢٣٦٥)، ومسلم في السلام (٢٢٤٢)، عن ابن عمر.

(٥) رواه البخاري في الأدب (٦٠٧٢)، عن أنس.

QaradawiBooks.com

الرسول القائد العسكري:

رأيناه قائدًا يخطط للمعارك قبل وقوعها، ويبعث الطلائع والعيون لاستطلاع أخبار العدو، ويقوم بعمل أول إحصاء للقوة الضاربة عنده، حتى يكون تخطيطه على أساس علمي مكين، ويحث على التدريب واستمراره، فهو دعامة القوة العسكرية: «**ألا إن القوة الرمي**»(١)، «**مَن تعلَّم الرمي ثم نسيه فليس منا**»، أو «**فقد عصى**»(٢).

وهو ـ مع قوة توكله على الله تعالى ـ يلبس للحرب لبوسها، حتى إنه في إحدى المعارك ظاهر بين درعين، ويعلِّم أصحابَه أن الحرب خدعة، وأن للعوامل النفسية أثرها في كسب المعارك، فلا بد من العمل على تخذيل الأعداء، وتفريق كلمتهم.

وهو يعتمد ـ بعد الله تعالى ـ على حسن التخطيط، والتنظيم، والإعداد، و«التكتيك» حتى إنه ليفاجئ أعداءه بخطط لم يعهدوها، فيربكهم، ويعرف قدرات أصحابه، فيضع كُلًّا في موضعه المناسب.

ولا غرو أنه القائد الذي رأينا كبار القواد ـ مثل أبي عبيدة وسعد وخالد وعمرو وغيرهم ـ تلاميذ بين يديه.

العامل المتوكل:

رأيناه يراعي سنن الله ويأخذ بالأسباب، ويعد العدة، ويتوقى الخطر، ويأمر بأخذ الحذر، ويعمل بالإحصاء، ويخطط للمستقبل، ويرتب ويفكر قدر ما يستطيع البشر، ولكنه لا يغفل أبدا عن التوكل

---

(١) رواه مسلم في الإمارة (١٩١٧)، وأحمد (١٧٤٣٢)، عن عقبة بن عامر.

(٢) رواه مسلم في الإمارة (١٩١٩)، عن عقبة بن عامر.

QaradawiBooks.com

على الله تعالى، ولا ينسى أن الأمر كله بيده، وخصوصا ساعة الشدائد، وحصار الأزمات، فهنا تـراه أقوى ما يكون ثقة بـالله، واعتصامًا به، وفرارًا إليه.

فقد رأيناه خطط ورتب ونظم كل ما يتعلق بهجرته إلى المدينة، فلما وقف المشـركون الذين يطاردونه على باب الغار الذي يختبئ فيه، قال في ثقة ويقين: «**يا أبا بكر، ما ظنك باثنين الله ثالثهما؟**»[1]، ﴿لَا تَحْـزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَـا﴾ [التوبة: ٤٠].

القائم بعمارة الأرض المستمتع بطيباتها:

ومن ناحية أخرى نجده ﷺ، مع إقباله بكليته على الآخرة، وإعراضه عن الدنيا وزينتها، وتصويره الدنيا بالنسـبة للآخرة، كما يجعل الإنسان إصبعه في اليـم: «**فلينظر بماذا يرجـع؟**»[2]: لم يعش في الدنيا عيشـة الرهبان الرافضين لهـا، المعادين لكل ما فيها، بـل كان يعلم أن الدنيا مزرعة الآخرة، وأن الإنسان مسـتخلف فيها، وأن له فيها مستقرا ومتاعا إلى حين، وأن عمـارة الأرض من مقاصد التكليـف، وأن هذه العمارة ـ المتمثلة فـي الزراعة، والغـرس، والصناعة، والاحتـراف، والتجارة وغيرهـا ـ تعتبر عبـادة لله، إذا صحت فيهـا النية، وأديـت على الوجه المطلوب، بلا خيانة ولا غش ولا إهمال، ولهذا أبقى أصحابه عليه الصلاة والسلام، في حرفهم، ولم يخرج واحدا منهم عن حرفته، ليتفـرغ للعبادة أو لغيرها،

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٣٦٥٣)، ومسـلم (٢٣٨١)، كلاهما في فضائل الصحابة، عن أبي بكر الصديق.

(٢) رواه مسـلم في صفة الجنة (٢٨٥٨)، والترمذي في الزهد (٢٣٢٣)، عن المستورد بن شداد الفهري.

QaradawiBooks.com

إنما دعاهم أن يتقربوا إلى الله بإحســان أعمالهم: «**إن الله كتب الإحسان على كل شيء**»[(١)]، «**إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملًا أن يتقنه**»[(٢)].

غير مرخصة للطباعة

كما أنه ﷺ لم يكن يرفض طيبات الدنيا إذا تيسرت له، بل إذا وجدها تناولها وحمد الله تعالى، وإذا لم يجدها لم يتكلفها، ولم يحزن على فقدها.

كان يعجبه من الطعام اللحـم، ويعجبه منه لحم الذراع، ويعجبه من الشراب اللبن، ويقول: «**من سقاه الله لبنا فليقل: اللهم بارك لنا فيه وزدنا منه**»[(٣)]، وكان يُســتَعذَب له الماء، ويوضع فيه بعض التمرات للتخفيف من ملوحته.

وكان يلبس من الثياب ما تيسر، لا يلتزم زيا أو هيئة معينة، ويختص بعض الحلل للجمعة وللعيدين، وكذلك للقاء الوفود، وكان يرجِّل شعره، ويتطيب، ويحب الطيب، وينظر في المرآة، ويقول: «**اللهم كما حَسَّـنْتَ خَلقي فحَسِّنْ خُلُقي**»[(٤)]. ويوصي أصحابه بالنظافة والتجمل، حتى يكون أحدهم حســن المظهر، طيب الرائحة، ولا يحب أن يدخل عليه أحدهم ثائر الرأس كأنه شــيطان، ويقول: «**من كان له شعرٌ فليكرمه**»[(٥)]، ويوصي

(١) رواه مسلم في الصيد والذبائح (١٩٥٥)، وأحمد (١٧١٣٩)، عن شداد بن أوس

(٢) رواه أبو يعلى (٤٣٨٦)، والطبراني في الأوسط (٨٩٧)، والبيهقي في شعب الإيمان (٥٣١٢)، وحسَّنه الألباني في صحيح الجامع (١٨٨٠)، عن عائشة.

(٣) رواه أبو داود في الأشـربة (٣٧٣٠)، والترمذي في الدعوات (٣٤٥٥)، وقال: حديث حسن. وابن ماجه في الأطعمة (٣٣٢٢)، وحسنه الألباني في الصحيحة (٢٣٢٠)، عن ابن عباس.

(٤) رواه أحمـد (٢٤٣٩٢)، وقال: حديث صحيـح رجاله ثقات رجال الشـيخين. والبيهقي في الشعب (٨١٨٤)، عن عائشة.

(٥) رواه أبو داود في الترجل (٤١٦٣)، والطحاوي في مشـكل الآثـار (٤٣٤/٨)، والطبراني في الأوسط (٨٤٨٥)، وحسـن إسـناده ابن حجر في فتح الباري (٣٦٨/١٠)، نشر دار المعرفة، بيروت، ١٣٧٩هـ. وصححه الألباني في الصحيحة (٥٠٠)، عن أبي هريرة.

نسخة مبدئية

QaradawiBooks.com

بنظافة أشياء معينة في الجسم مثل الأســنان، ولهذا حض على السواك: «**السواك مطهرة للفم، مرضاة للرب**»[(١)]. كما أكد العناية بالجسم كله: «**حق لله على كل مســلم في كل سبعة أيام يوم يغســل فيه رأسه وجسده**»[(٢)]، وضرب لأصحابه المثل في ذلك كله، وكان نعم الأسوة لهم، وعلمهم أن الدين لا يضيق بالتجمل، «**إن الله جميل يحب الجمال**»[(٣)].

رأيناه يتداوى، ويأمر أصحابــه بالتداوي، ويعلمهم: «**ما أنزل الله ﷻ داء إلا أنزل له دواء، علمه من علمه، وجهله من جهله**»[(٤)]. ويصف بعض الأدوية لبعض الأمراض، حسبما تعلمه من البيئة غالبا، ولكنه بجوار هذا استخدم الأدوية الروحية من الرقى والدعاء، فرقى نفسه وغيره، وعلمهم كيف تكون الرقية، محذرا من الرقى الشركية.

والواقع أن ســيرته ﷺ ـ كما أشرنا إلى ذلك ـ ســيرة جامعة شاملة، متوازنة، يجد فيها كل طالب أسوة مكانا للائتساء بها، والاقتداء بهُدَاها.

فالفقير يجــد فيها مجالا للاقتــداء، والاهتداء، يوم كان عليه السلام يشــد الحجر على بطنه من الجوع، والغني يجد فيها قُدْوَته يوم وسع الله عليه، ووضع بين يديه الأموال، منها ما هو للدولة، وما هو خاص له.

والحاكم والمحكوم، والمحارب والمسالم، والعزب والمتزوج، وذو الزوجة الواحــدة، وذو الزوجات المتعددات، والأب والجد، والشــاب

---

(١) رواه أحمد (٢٤٢٠٣)، وقال مخرِّجــوه: صحيح لغيره. والنســائي (٥)، وابن حبان (١٠٦٧)، كلاهما في الطهارة، وصحَّحه الألباني في الصحيحة (٢٥١٧)، عن عائشة.

(٢) متفق عليه: رواه البخاري (٨٩٧)، ومسلم (٨٤٩)، كلاهما في الجمعة، عن أبي هريرة.

(٣) سبق تخريجه صـ٦٨.

(٤) رواه أحمد (٣٩٢٢)، وقال مخرجوه: صحيح لغيره. وابن ماجه في الطب (٣٤٣٨)، وصححه الألباني في الصحيحة (٤٥١)، عن ابن مسعود.

QaradawiBooks.com

والشيخ، والسليم والسقيم، والمقيم والمسافر، والمعافى والمبتلى، وغير هؤلاء وهــؤلاء، كلهم يجدون في حياته الخصبة، وفي ســيرته الحافلة، وفي سنته الهادية، متسعًا لهم، ليقتدوا منها، ويهتدوا بنورها. في حالات الرخاء واليسر، وفي حالات الشــدة والعسر، في حالات الانتصار، وفي حال الانكسار.

وعيب كثير من الفرق والطوائف من أهل الكلام والتصوف والفقه: أنهم يأخذون بجانب من ســيرته أو سنته ﷺ، ويغفلون جوانب أخرى، أو يضخمون ناحية على حســاب نــواح أخرى، ولو تأملــوا وأنصفوا، وجمعوا الأمــور بعضها إلى بعــض، لوجدوا في هديه عليه الصلاة والسلام الشــمول والتوازن، والاعتدال والتكامل، الذي يسع كثيرًا مما يظن أنه متعارض، وما هو بمتعارض، وإنما أراد الله لرسوله أن يكون الأسوة العليا في كل أمر من الأمور.

كلمة بليغة لابن القيم:

ويســرني أن أســجل هنا ما ذكره الإمام ابن القيم فــي كتابه «عدة الصابرين وذخيرة الشــاكرين» حول هذا المعنى الكبير، فأفاض فيه على طريقته، وضرب الأمثلة، وذكر الأدلة، وأشــبع القول بمناســبة احتجاج طائفة بسيرته وسنته عليه الصلاة والسلام، على فضل الفقير الصابر، واحتجاج معارضيهم بهما أيضا على فضل الغني الشاكر.

يقول ابن القيم: «ومما ينبغي أن يعلم أن كل خصلة من خصال الفضل قد أحل الله رســوله ﷺ في أعلاها، وخصه بذروه ســنامها، فإذا احتجت بحاله فرقة من فرق الأمــة، التي تعرف تلك الخصال وتقاســمتها، على فضلها على غيرها، أمكن للفرقة الأخرى أن تحتج به على فضلها أيضا.

QaradawiBooks.com

فإذا احتج به الغزاة والمجاهدون على أنهم أفضل الطوائف، احتج به العلماء على مثل ما احتج به أولئك.

وإذا احتج به الزهاد والمتخلفون عن الدنيــا على فضلهم، احتج به الداخلون في الدنيا والولاية، وسياسة الرعية، لإقامة دين الله، وتنفيذ أمره.

وإذا احتج به الفقير الصابر، احتج به الغني الشاكر.

وإذا احتج به أهل العبادة على فضل نوافل العبادة وترجيحها، احتج به العارفون على فضل المعرفة.

وإذا احتج به أرباب التواضع والحلــم، احتج به أرباب العز والقهر للمبطلين والغلظة عليهم والبطش بهم.

وإذا احتج به أرباب الوقــار والهيبة والرزانة، احتج به أرباب الخلق الحسن والمزاح المباح الذي لا يخرج عن الحق، وحسن العشرة للأهل والأصحاب.

وإذا احتــج بــه أصحاب الصــدع بالحــق والقول به في المشــهد والمغيب، احتج به أصحاب المداراة والحياء والكرم أن يبادروا الرجل بما يكرهه في وجهه.

وإذا احتج به المتورعون على الورع المحمود، احتج به الميســرون المسهلون الذين لا يخرجون عن سعة شريعته ويسرها وسهولتها.

وإذا احتج به من صرف عنايته إلى إصلاح دينه وقلبه، احتج به من راعى إصلاح بدنه ومعيشته ودنياه، فإنه ﷺ بعث لصلاح الدنيا والدين.

وإذا احتج به من لم يعلق قلبه بالأسباب ولا ركن إليها، احتج به من قام بالأسباب ووضعها مواضعها وأعطاها حقها.

QaradawiBooks.com

وإذا احتج به من جاع وصبر على الجوع، احتج به من شبع وشكر ربه على الشبع.

وإذا احتج به من أخذ بالعفو والصفح والاحتمال، احتج به من انتقم في مواضع الانتقام.

وإذا احتج به من أعطى لله ووالى لله، احتج به من منع لله وعادى لله.

وإذا احتج به من لم يدخر شيئا لغد، احتج به من يدخر لأهله قوت سنة.

وإذا احتج به من يأكل الخشن من القوت والأدم كخبز الشعير والخل، احتج به من يأكل اللذيذ الطيب كالشَّوِيّ والحلوى والفاكهة والبطيخ ونحوه.

وإذا احتج به من سرد الصوم، احتج به من سرد الفطر، فكان يصوم حتى يقال لا يفطر، ويفطر حتى يقال لا يصوم.

وإذا احتج به من رغب عن الطيبات والمشتهيات، احتج به من أحب أطيب ما في الدنيا، وهو النساء والطيب.

وإذا احتج به من ألان جانبه وخفض جناحه لنسائه، احتج به من أدبهن وآلمهن وطلق وهجر وخيَّرهن.

وإذا احتج به من ترك مباشرة أسباب المعيشة بنفسه، احتج به من باشرها بنفسه فآجر واستأجر، وباع واشترى، واستسلف وادَّان ورهن.

وإذا احتجَّ به مَن يجتنبُ النساء بالكلية في الحيض والصيام، احتجَّ به من يباشر امرأته وهي حائض بغير الوطء، ومن يقبل امرأته وهو صائم.

وإذا احتج به من رحم أهل المعاصي بالقدر، احتج به من أقام عليهم حدود الله فقطع السارق ورجم الزاني وجلد الشارب.

QaradawiBooks.com

وإذا احتج به من أرباب الحكم بالظاهر، احتج به من أرباب السياسة العادلة المبنية علـى القرائن الظاهرة، فإنه حبس فـي تهمة وعاقب في تهمة».

إلى أن قال: «والمقصود بهذا الفصل: أنـه ليس الفقراء والصابرون، بأحق به ﷺ مـن الأغنياء الشـاكرين، وأحق الناس به أعلمهم بسُـنَّته، وأتبعهم لها»(١).

٣ ـ الصحابة وتابعوهم بإحسان يدعون إلى الوسطية:

وإذا كان الرسول الكريم يدعو إلى الوسطية، فلا غرو أن نجد صحابته من بعده يدعـون إليهـا. وكيف لا، وهـم تلاميذ المدرسـة المحمدية المخلصون؟ وقد اتخذوا رسولهم أسـوة حسنة، كما قال الله لهم: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْأَخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: ٢١]، وقال تعالـى: ﴿وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٨]. فلم يكونوا يحبون أن يحيدوا عن سنّته قيد شعرة.

فيروى عن علي بن أبي طالب قوله: «خير هذه الأمة النمط الأوسط، يلحق به التالي، ويرجع إليه الغالي!»(٢)، ذكره الإمام أبو عبيد القاسم بن سلام في كتابه (غريب الحديث). ونقل عن أبي عبيدة (اللغوي الشهير): إن النمط الطريقة، يقال الزم هذا النمط. قال: والنمط أيضا: الضرب من الضروب، والنوع من الأنواع. يقـال: ليس هذا من ذلك النمط. أي: من ذلك النوع. قال: والمعنى الذي أراده عليّ رضي الله عنه: أنه كره الغُلوّ والتقصير.

(١) عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين لابن القيم صـ ٢٦٦ ـ ٢٦٨، نشر دار البيان، القاهرة، وانظر كتابنا: الحياة الربانية والعلم صـ٥٣-٦٥، نشر مكتبة وهبة، القاهرة، ط٦، ١٤٢٨هـ ـ ٢٠٠٧م.

(٢) رواه ابن أبي شيبة في الزهد (٣٥٦٣٩)، واللالكائي في شرح أصول اعتقاد (٢٦٧٩).

QaradawiBooks.com

كالحديث الآخر، حين ذكر حامل القرآن، فقال: «**غير الغالي فيه، ولا الجافي عنه**»(١). فالغالي فيه هو المتعمّق، حتى يخرجه إلى إكفار الناس، لنحو من مذهب الخوارج، وأهل البدع. والجافي عنه: التارك له وللعمل به، ولكنه القصد من ذلك.

وقال عليّ أيضا: ألا أنبّئكم بالفقيه كل الفقيه؟ من لم يؤيس عباد الله من رَوْح الله، ولم يُؤمّنهم من مكره(٢).

وعن عبد الله بن عمرو: اعمل لدنياك كأنك تعيش أبدا، واعمل لآخرتك كأنك تموت غدا(٣). وهذه الحكمة يجب أن تؤخذ بشقيها معًا، ولا يجوز أن نفرد شطرًا منها دون الآخر.

وعن ابن عباس: رحم الله من حفظ لسانه، وعرف زمانه، واستقامت طريقته. وقد روي مرفوعًا وفي سنده كذاب، وحسبه أنه يرقى إلى صحابي أو تابعي. وهو يعبّر عمّا يسمُّونه الجمع بين الأصالة والمعاصرة.

وكان عبد الله بن عباس يقول: القصد والتُّؤَدَة وحُسْنُ السَّمْت جزء من خمسة وعشرين جزءًا من النبوة(٤).

وعن أبي قلابة أنَّ رجلًا قال لأبي الدرداء: إنَّ إخوانك من أهل الكوفة من أهل الذكر يقرئونك السلام! فقال: وعليهم السلام. ومرهم فليعطوا القرآن خزائمه، فإنه يحملهم على القصد والسهولة، ويجنّبهم الجَوْر والحزونة(٥).

---

(١) سبق تخريجه صـ٧١.

(٢) رواه الدارمي في المقدمة (٣٠٥)، وأبو داود في الزهد (١٠٤).

(٣) رواه الحارث في مسنده (١٠٩٣) البغية.

(٤) رواه مالك في الموطأ بلاغا (٣٥٠٨)، تحقيق الأعظمي.

(٥) رواه ابن أبي شيبة (٣٠٧٨٨)، والدارمي (٣٣٧٣)، كلاهما في فضائل القرآن، وفيه: انقطاع أبو قلابة لم يدرك أبا الدرداء.

QaradawiBooks.com

وقال عبد الله بن مسعود: من كان مُستنًا فليستنّ بمن قد مات، فإن الحيّ لا تؤمن عليه الفتنة. أولئك أصحاب محمد ﷺ، أبرّ هذه الأمة قلوبًا، وأعمقها علمًا، وأقلّها تكلفًا، وأقومها هديًا، وأحسنها حالًا، قوم اختارهم الله لصحبة نبيه، وإقامة دينه، فاعرفوا لهم فضلهم، واتبعوهم في آثارهم، فإنهم كانوا على الهدى المستقيم[1].

وقال حذيفة بن اليمان: يا معشر القراء استقيموا، فقد سُبقتم سبقًا بعيدًا ـ أي بجمعكم بين العلم والعمل ـ فإن أخذتم يمينا وشمالا، فقد ضللتم ضلالًا بعيدًا[2].

ومن أقوال ابن مسعود أيضا: الاقتصاد ـ وفي رواية: القصد ـ في السنة خير من الاجتهاد في البدعة[3]. فالوسطية هنا تعني: اجتناب البدعة وتركها، ولو عملت قليلا، وليس الوقوف وسطا بين السنة والبدعة.

وعن أُبيِّ بن كعب قال: عليكم بالسبيل والسنة، فإنه ما على الأرض من عبد على السبيل والسنّة، ذكر الله في نفسه، ففاضت عيناه من خشية ربه، فيعذبه الله أبدا! وما على الأرض من عبد على السبيل والسّنة، ذكر الله في نفسه، فاقشعر جلده من خشية الله، إلّا كان مثله كمثل شجرة قد يبس ورقها، فهي كذلك إذا أصابتها ريح شديدة، فتحاتّ عنها ورقها، إلا حط الله خطاياه، كما تحات عن الشجرة ورقها. وإن اقتصادًا في سبيل وسنّة خير من اجتهاد في خلاف سبيل وسنة، وموافقة بدعة، فانظروا أن يكون عملكم، إن كان اجتهادًا واقتصادًا، أن يكون ذلك على منهاج الأنبياء وسنتهم[4].

(١) رواه ابن عبد البر في جامع بيان العلم (١٨١٠).
(٢) رواه البخاري في الاعتصام بالكتاب والسنة (٧٢٨٢).
(٣) رواه الحاكم في العلم (١٠٣/١)، وصحّح إسناده على شرطهما، ووافقه الذهبي.
(٤) رواه ابن أبي شيبة في الزهد (٣٦٦٧٥).

QaradawiBooks.com

وكان عمر بن عبد العزيز يخطب يقول: إن من أحب الأمور إلى الله القصدَ في الجِدة، والعفوَ في المَقدِرة، والرفقَ في الولاية، وما رَفَقَ عبدٌ بعبد في الدنيا إلا رفَقَ الله به يوم القيامة[1].

وعن الحسن قال: سنتكم ـ والله الذي لا إله إلا هو ـ بينهما: بين الغالي والجافي، فاصبروا عليها رحمكم الله، فإن أهل السنة كانوا أقل الناس فيما مضى، وهم أقل الناس فيما بقي، الذين لم يذهبوا مع أهل الإتراف في إترافهم، ولا مع أهل البدع في بدعهم، وصبروا على سنتهم حتى لقوا ربهم، فكذلك إن شاء الله فكونوا[2].

وقال أيضا: اطلبوا العلم طلبًا لا يضرّ بالعبادة، واطلبوا العبادة طلبًا لا يضرّ بالعلم، فإنّ العامل بغير علم يُفسد أكثر ممّا يُصلح. وإن قومًا طلبوا العبادة قبل العلم، فخرجوا بأسيافهم على أمة محمد[3]! يعني بهم: الخوارج الذين استحلّوا دماء المسلمين، نتيجة لخلل في فكرهم، ونقص في علمهم، لا لفساد في ضمائرهم.

وقال مُطرِّف بن عبد الله بن الشِّخِّير من كبار التابعين: «خير الأمور أوساطها»[4].

٤ ـ علماء الأمّة وأئمتها يشيدون بالوسطية:

كما رأينا الصحابة تلاميذ مدرسة النبوة، وتابعيهم بإحسان، كلهم يدعون إلى الوسطية، وينوّهون بها، نجد علماء الأمّة من المفسرين

(١) رواه ابن أبي شيبة في الزهد (٣٦٢٣٦).

(٢) رواه الدارمي في المقدمة (٢٢٢).

(٣) جامع بيان العلم (٥٤٥/١)، تحقيق أبي الأشبال الزهيري، نشر دار ابن الجوزي، السعودية، ط١، ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٤م.

(٤) سبق تخريجه صـ٢٧.

QaradawiBooks.com

والمحدّثين والفقهاء والأصوليين والمتكلمين، كلهم ـ أو على الأقل جلهم ـ يؤيدون المنهج الوسطي ولا يحبّون الغُلوّ ولا الجفاء.

أبو محمد بن قتيبة:

قال ابن قتيبة في «تفسير غريب القرآن»: في قوله تعالى: ﴿جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ [البقرة: ١٤٣]: «أي عدولًا خيارًا، ومنه قوله في موضع آخر: ﴿قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ﴾ [القلم: ٢٨]، أي خيرهم وأعدلهم... ومنه قيل للنبي ﷺ: هو أوسط قريش نسبًا.

وأصل هذا: أن خير الأشياء أوساطها. وأن الغُلوّ والتقصير مذمومان»[1]!

محمد بن جرير الطبري:

قال شيخ المفسّرين أبو جعفر الطبري في تأويل قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ [البقرة: ١٤٣]: «يعني جل ثناؤه بقوله: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾، كما هديناكم أيها المؤمنون بمحمد عليه السلام، وبما جاءكم به من عند الله، فخصصناكم بالتوفيق لقِبلة إبراهيم وملّته، وفضّلناكم بذلك على مَن سواكم من أهل الملل، كذلك خصّصناكم ففضّلناكم على غيركم من أهل الأديان، بأن جعلناكم أمّة وسطًا.

وقد بيّنا أن الأمّة هي القرن من الناس والصّنف منهم وغيرهم.

وأمّا «الوسط»، فإنه في كلام العرب الخيار. يقال منه: فلان وسَطُ الحسب في قومه، أي: متوسّط الحسب، إذا أرادوا بذلك الرفع في حسبه، وهو وسَطٌ في قومه، وواسط... قال أبو جعفر: وأنا أرى أن

(١) غريب القرآن لابن قتيبة صـ ٦٤، ٦٥، فقرة (١٤٣)، تحقيق أحمد صقر، نشر دار الكتب العلمية، ١٣٩٨هـ ـ ١٩٧٨م.

QaradawiBooks.com

«الوسط» في هذا الموضع هو الوسط الذي بمعنى: الجزء الذي هو بين الطرفين، مثل «وسط الدار»[(١)].

وأرى أن الله تعالى ذِكْره إنما وصفهم بأنهم «وسط»، لتوسّطهم في الدين، فلا هُم أهل غلوٍّ فيه، غلوَّ النصارى الذين غلَوْا بالترهب، وقيلهم في عيسى ما قالوا فيه، ولا هم أهل تقصير فيه، تقصيرَ اليهود الذين بدَّلوا كتاب الله، وقتلوا أنبياءهم، وكذَبوا على ربهم، وكفروا به، ولكنهم أهل توسط واعتدال فيه. فوَصَفهم الله بذلك، إذ كان أحبَّ الأمور إلى الله أوسطُها»[(٢)].

الفخر الرازي:

وقال الفخر الرازي: «اختلفوا في تفسير «الوسط» وذكروا أمورًا:

أحدها: أن الوسط هو «العدل» والدليل عليه: الآية والخبر والشعر والنقل والمعنى.

أما الآية فقوله تعالى: ﴿قَالَ أَوۡسَطُهُمۡ﴾ [القلم: ٢٨]، أي: أعدلهم.

وأما الخبر، فما روى القفال، عن الثوري[(٣)]، عن أبي سعيد الخدري، عن النبي ﷺ: «**أمة وسطًا**» قال: «**عدلًا**»[(٤)]. وقيل: كان النبي ﷺ أوسط قريش نسبًا.

(١) على خلاف ما ذهب إليه القاضي ابن العربي إذ قال: ليس للوسط ـ الذي هو بمعنى ملتقى الطرفين ـ ههنا دخول؛ لأن هذه الأمة آخر الأمم اهـ. انظر: أحكام القرآن (٦١/١)، تحقيق محمد عبد القادر عطا، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، ط٣، ١٤٢٤هـ ـ ٢٠٠٣م. وكون هذه الأمة آخر الأمم لا ينفي عنها أنها وسط في الأمور الأخرى، كالعقيدة والعبادة والأخلاق والتشريع.

(٢) تفسير الطبري (١٤١/٣، ١٤٢).

(٣) كذا في تفسير الرازي (٨٤/٤)، وهذا السند غير موجود في كتب الحديث، ولا شك أن به سقطًا.

(٤) سبق تخريجه صـ٣٥.

QaradawiBooks.com

وأمّا النقل فقال الجوهري في «الصحاح»: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾، أي: عدلًا. وهو الذي قاله الأخفش والخليل وقطرب.

وأما المعنى فمن وجوه:

أولها: أن الوسط حقيقة في البعد عن الطرفين، ولا شك أن طرفي الإفراط والتفريط رديئان، فالمتوسّط في الأخلاق يكون بعيدًا عن الطرفين، فكان معتدلًا فاضلًا.

وثانيها: إنما سُمي العدل وسطًا؛ لأنه لا يميل إلى أحد الخصمين، والعدل هو المعتدل الذي لا يميل إلى أحد الطرفين.

وثالثها: لا شك أن المراد بقوله: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾، طريقة المدح لهم؛ لأنه لا يجوز أن يذكر الله تعالى وصفًا ويجعله كالعلة في أن جعلهم شهودًا له، ثم يعطف على ذلك شهادة الرسول إلّا وذلك مدح، فثبت أن المراد بقوله: ﴿وَسَطًا﴾، ما يتعلّق بالمدح في باب الدين، ولا يجوز أن يمدح الله الشهود حال حكمه عليهم بكونهم شهودًا إلّا بكونهم عدولًا، فوجب أن يكون المراد في الوسط العدالة.

ورابعها: أنّ أعدل بقاع الشيء وسطه؛ لأن حكمه مع سائر أطرافه على سواء وعلى اعتدال، والأطراف يتسارع إليها الخلل والفساد، والأوساط محمية محوطة، فلمّا صحّ ذلك في الوسط، صار كأنه عبارة عن المعتدل الذي لا يميل إلى جهة دون جهة.

القول الثاني: أن الوسط من كل شيء خياره، قالوا: وهذا التفسير أولى؛ لأنه مطابق لقوله تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١١٠].

QaradawiBooks.com

القول الثالث: أن الرجل إذا قال: فلان أوسطنا نسبًا. فالمعنى أنه أكثر فضلًا، وهذا وسط فيهم كواسطة القلادة. وأصل هذا أن الأتباع يتحوَّشون الرئيس فهو في وسطهم وهم حوله، فقيل: وسط، لهذا المعنى.

القول الرابع: يجوز أن يكونوا وسطًا على معنى أنهم متوسطون في الدين بين المفْرط والمفَرّط، والغالي والمقصّر في الأشياء، لأنهم لم يغلوا كما غلت النصارى فجعلوا ابنًا وإلهًا، ولا قصَّروا كتقصير اليهود في قتل الأنبياء وتبديل الكتب وغير ذلك مما قصّروا فيه.

واعلم أن هذه الأقوال متقاربة غير متنافية، والله أعلم»[(١)].

أبو عبد الله محمد القرطبي:

وقال القرطبي: «المعنى: وكما أن الكعبة وسط الأرض، كذلك جعلناكم أمة وسطا، أي جعلناكم دون الأنبياء وفوق الأمم. والوسط: العدل. وأصل هذا أن أحمد الأشياء أوسطها.

وروى الترمذي، عن أبي سعيد بن الخدري، عن النبي ﷺ في قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾، أي: عدلًا. قال: هذا حديث حسن صحيح[(٢)]. وفي التنزيل: ﴿قَالَ أَوْسَطُهُمْ﴾، أي: أعدلهم وخيرهم. وقال زهير:

همُو وسطٌ يرضى الأنامُ بحكمهم   إذا نزلت إحدى الليالي بمُعظَمِ!

وقال آخر:

لا تذهبن في الأمور فرطًا   لا تسألنَّ إن سألت شططًا

وكن من الناس جميعًا وسطًا

(١) تفسير الرازي (٨٤/٤ ـ ٨٥)، نشر دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط ٣، ١٤٢٠هـ.

(٢) سبق تخريجه صـ٣٥.

QaradawiBooks.com

ووسـط الوادي: خير موضع فيه وأكثره ماء وكلأً. ولمّا كان الوسط مجانبًا للغُلو والتقصير، كان محمودًا. أي: هذه الأمة لم تغْلُ غلو النصارى في أنبيائهم، ولا قصّروا تقصير اليهود في أنبيائهم! قال: وفلان من أوسط قومه، وإنه لواسطة قومه، ووسط قومه، أي من خيارهم وأهل الحسب منهم»[١].

اهتمام الفقهاء المقاصديين بالوسطية:

ومن أهم ما أريد أن أنبّه عليه: أن الوسطية بالمعنى الذي بيَّناه من أهم مقاصد الشريعة الإسلامية؛ لأن الشريعة في كل تكاليفها ضد الغُلوِّ والشطط والإسراف في كل شيء، كما أنها ضد التفريط والانحلال والتسيُّب في كل شيء، وإنما تقوم على الاعتدال والعدل في كل أمر، بحيث تتجنب طرفي الإفراط والتفريط المذمومين.

ولهذا نجد الفقهاء الراسخين، الذين نسمِّيهم «المقاصديين» وهم الذين يعنون بمقاصد الشريعة في استنباطاتهم واجتهاداتهم، إذا علّموا أو ألّفوا أو أفتَوْا أو قضَوْا. نجدهم معنيين بمبدأ الوسطية، وتقريره، وبيانه والدعوة إليه، والنزول على حكمه ومقتضاه.

من هؤلاء الكبار: الإمام أبو الحسن الماوردي (ت ٤٥٠هـ) الذي لقّبوه «أقضى القضاة» في كتابه التوجيهي الشهير «أدب الدنيا والدين».

ومن هؤلاء: إمام الحرمين الجويني، الشافعي المؤسس الحقيقي لعلم مقاصد الشريعة (ت ٤٧٨هـ). في كتبه الأصولية والفقهية.

(١) تفسير القرطبي (١/١٥٣ ـ ١٥٤).

QaradawiBooks.com

ومن هؤلاء: الإمام المفسر اللغوي المربي الموجه، صاحب «مفردات القرآن» و«الذريعة إلى مكارم الشريعة» وغيرهما: الراغب الأصفهاني (ت ٥٠٢هـ).

ومن هؤلاء: الإمام الغزالي المؤسس الثاني لعلم المقاصد (ت ٥٠٥هـ)، وقد تحدث عن الوسطية في عدد من كتبه.

ومن هؤلاء: الإمام الحنبلي الشهير أبو الوفاء ابن عقيل (ت ٥١٣هـ).

ومن هؤلاء: إمام المالكية في عصره القاضي أبو بكر بن العربي (ت ٥٤٣هـ).

ومن هؤلاء: الإمام أبو الفرج ابن الجوزي الحنبلي (ت ٥٩٧هـ).

ومن هؤلاء: الإمام أبو محمد بن قدامة الحنبلي (ت ٦٢٠هـ).

ومن هؤلاء: سلطان العلماء الإمام عز الدين بن عبد السلام الشافعي (ت ٦٦٠هـ).

ومن هؤلاء: الإمام شهاب الدين القرافي المالكي (ت ٦٨٤هـ).

ومن هؤلاء: شيخ الإسلام ابن تيمية الحنبلي (ت ٧٢٨هـ) تحدث ابن تيمية عن الوسطية في عدد من كتبه ورسائله وفتاواه في أكثر من موضع.

ومن هؤلاء: الإمام المحقّق ابن القيم (ت ٧٥٨هـ) الذي أكّد منهج شيخه ابن تيمية في سائر مصنّفاته الأصولية والفقهية والتربوية.

ومن هؤلاء: الإمام الشاطبي (ت ٧٩٠هـ) صاحب الجهد الأكبر والأوفر في تثبيت مقاصد الشريعة، والعناية بشرحها وتأصيلها وتفصيلها، حتى أصبحت على يديه (علمًا) مستقلًا له أصوله ونظرياته، ومناهجه ومقولاته، فقد عني بالوسطية والحديث عنها في غير موضع من كتابه «الموافقات».

QaradawiBooks.com

ومن هؤلاء: حكيم المؤرخين، ومؤسس علم الاجتماع ابن خلدون (ت ٨٠٨هـ).

ومن هؤلاء: الإمام ابن الوزير اليمني (ت ٨٤٠هـ).

ومن هؤلاء: الإمام ولي الله الدّهلوي (ت ١١٧٦هـ).

ومنهم معاصره في اليمن الإمام الصنعاني (١١٨٢هـ).

ومنهم العلامة المجتهد في الأصول والفروع، الإمام محمد بن علي الشوكاني (ت ١٢٥٠هـ).

فهؤلاء «فقهاء المقاصد»، وهم كذلك «فقهاء الوسطية».

ولا يمكننا هنا النقل عن كل هؤلاء العلماء والأئمة، بحسبنا أن ننوِّه باتجاههم المقاصدي والوسطي، ونكتفي بالنقل عن بعض منهم. هم: ابن تيمية وابن القيم والشاطبي والغزالي وابن الجوزي.

كلام ابن تيمية في مجموع الفتاوى:

قال ابن تيمية ضمن كلام له: «وجعل أمته وسطًا، فلم يغلوا في الأنبياء كغُلُوّ من عدَّلهم بالله، وجعل فيهم شيئًا من الإلهية، وعبدهم، وجعلهم شفعاء. ولم يجفوا جفاء من آذاهم، واستخفَّ بحرماتهم، وأعرض عن طاعتهم، بل عزَّروا الأنبياء ـ أي عظَّموهم ـ ونصروهم وآمنوا بما جاؤوا به، واتَّبعوهم، وائتمُّوا بهم، وأحبُّوهم، وأجلُّوهم، ولم يعبدوا إلا الله، فلم يتَّكلوا إلا عليه، ولم يستعينوا إلا به، مخلصين له الدين، حنفاء.

وكذلك في الشرائع. قالوا: ما أمرنا الله به أطعناه، وما نهانا عنه انتهينا، وإذا نهانا عما كان أحلَّه ـ كما نهى بني إسرائيل عما كان أباحه

QaradawiBooks.com

ليعقوب ـ أو أباح لنا ما كان حراما ـ كما أباح المسيح بعض الذي حرَّم الله على بني إسرائيل ـ سمعنا وأطعنا.

وأما غير رُسُل الله وأنبيائه فليس لهم أن يبدّلوا دين الله، ولا يبتدعوا في الدين ما لم يَأذَن به الله. والرُّسل إنما قالوا تبليغًا عن الله؛ فإنه سبحانه له الخلق والأمر، فكما لا يخلق غيره، لا يأمر غيره، ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [يوسف: ٤٠].

وتوسّطت هذه الأمة في الطهارة والنجاسة، وفي الحلال والحرام، وفي الأخلاق. ولم يجرّدوا الشدة كما فعله الأوَّلون، ولم يجرّدوا الرأفة كما فعله الآخرون، بل عاملوا أعداء الله بالشدة، وعاملوا أولياء الله بالرأفة والرحمة، وقالوا في المسيح ما قاله سبحانه وتعالى، وما قاله المسيح والحواريون؛ لا ما ابتدعه الغالون والجافون»(١) اهـ.

كلام ابن القيم:

ومن الأئمة الذين أكَّدوا توجيههم، وكرّروا حديثهم عن لزوم القصد والوسط والاعتدال في أكثر من كتاب لهم: الإمام شمس الدين ابن القيم رحمه الله ، فقد كان بالغ الحرص على ذلك، ودائم التحذير من التفريط فيه. يقول داعيا إلى القصد والاقتصاد، محذرًا من الغُلوّ والتقصير، مبيِّنا الفرق بين الاقتصاد والتقصير: «إن الاقتصاد هو التوسط بين طرفي الإفراط والتفريط. وله طرفان هما ضدان له: تقصير ومجاوزة. بل الإسلام قصد بين الملل، والسنة قصد بين البدع، ودين الله بين الغالي فيه والجافي عنه. وكذلك الاجتهاد هو بذل الجهد في موافقة الأمر، والغُلوُّ

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٢٨/٦١٣ ـ ٦١٥)، تحقيق عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، نشر مجمع الملك فهد، المدينة المنورة، ١٤١٦هـ ـ ١٩٩٥م.

QaradawiBooks.com

مجاوزته وتعدِّيه. وما أمر الله بأمر إلا وللشيطان فيه نزغتان: فإما إلى غُلُوّ ومجاوزة، وإما إلى تفريط وتقصير.

وهما آفتان لا يخلص منهما في الاعتقاد والقصد والعمل إلا من مشى خلف رسول الله ﷺ، وترك أقوال الناس وآراءهم لما جاء به، لا من ترك ما جاء به لأقوالهم وآرائهم. وهذان المرضان الخَطِران قد استوليا على أكثر بني آدم، ولهذا حذّر السلف منهما أشد التحذير، وخوّفوا من بُلِي بأحدهما بالهلاك. وقد يجتمعان في الشخص الواحد، كما هو الحال أكثر الخلق يكون مقصّرًا مُفرّطًا في بعض دينه، غالبًا متجاوزًا في بعضه. والمهديُّ مَنْ هداه الله)[1].

وقال ابن القيم في «المدارج» يشرح قول صاحب المنازل رَحِمَهُ اللَّهُ في «منزلة التعظيم»: «التعظيم: معرفة العظمة، مع التذلل لها. وهو على ثلاث درجات. الأولى: تعظيم الأمر والنهي، وهو أن لا يُعارَضا بترخُّص جافٍ. ولا يُعَرَّضا لتشدُّد غال. ولا يُحملا على علة توهن الانقياد».

قال ابن القيم: «ههنا ثلاثة أشياء، تنافي تعظيم الأمر والنهي:

أحدها: الترخُّص الذي يجفو بصاحبه عن كمال الامتثال. **والثاني**: الغُلوُّ الذي يتجاوز بصاحبه حدود الأمر والنهي.

فالأول: تفريط. والثاني إفراط. وما أمر الله بأمر إلا وللشيطان فيه نزغتان: إما إلى تفريط وإضاعة، وإما إلى إفراط وغلو. ودين الله وسط بين الجافي عنه والغالي فيه. كالوادي بين جبلين، والهدى بين ضلالتين، والوسط بين طرفين ذميمين. فكما أن الجافي عن الأمر، مضيع له، فالغالي فيه: مضيع له. هذا بتقصيره عن الحد، وهذا بتجاوزه الحد.

(١) انظر: الروح لابن القيم صـ ٢٥٧، نشر دار الكتب العلمية، بيروت.

QaradawiBooks.com

وقد نهى الله عن الغُلوِّ بقوله: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ غَيْرَ ٱلْحَقِّ﴾ [المائدة: ٧٧]. و«الغُلوُّ» نوعان:

نوع يخرجه عن كونه مطيعًا؛ كمن زاد في الصلاة ركعة، أو صام الدهر مع أيام النهي، أو رمى الجمرات بالصخرات الكبار التي يرمى بها في المنجنيق، أو سعى بين الصفا والمروة عشرًا، أو نحو ذلك عمدًا.

وغلو يخاف منه الانقطاع والاستحسار؛ كقيام الليل كلِّه، وسَرْد الصيام الدهر أجمع، بدون صوم أيام النهي، والجور على النفوس في العبادات والأوراد، الذي قال فيه النبي ﷺ: «**إن هذا الدين يسر، ولن يشادّ الدين أحد إلا غلبه**»(١)، وقال ﷺ: «**ليُصَلِّ أحدكم نشاطَه، فإذا فَتَر فليرقد**»(٢)، وفي صحيح مسلم، عنه ﷺ أنه قال: «**هلك المتنطعون**» قالها ثلاثا(٣). وهم المتعمّقون المتشدِّدون.

وفي صحيح البخاري، عنه ﷺ: «**عليكم من الأعمال ما تطيقون، فوالله لا يملُّ الله حتى تملوا**»(٤)، وفي السنن، عنه ﷺ أنه قال: «**إن هذا الدين متين؛ فأوْغِلْ فيه برفق، ولا تُبغِّضنَّ إلى نفسك عبادةَ الله**»(٥). أو كما قال.

وقوله: ولا يُحملا على علة توهن الانقياد. يريد: ألا يتأوَّل في الأمر والنهي علَّة تعود عليهما بالإبطال، كما تأوَّل بعضهم تحريم الخمر بأنه

---

(١) سبق تخريجه صـ٧١.

(٢) متفق عليه: رواه البخاري في التهجد (١١٥٠)، ومسلم في صلاة المسافرين (٧٨٤)، عن أنس.

(٣) سبق تخريجه صـ٧٢.

(٤) سبق تخريجه صـ٧٢.

(٥) رواه عبد الله بن أحمد وجادة (١٣٠٥٢)، وقال مخرجوه: حسن بشواهده. والضياء في المختارة (٢١١٥)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٢١٦): رجاله موثقون، إلا أن خلف بن مهران لم يدرك أنسا.

QaradawiBooks.com

معلَّل بإيقـاع العداوة والبغضاء، والتعرُّض للفسـاد. فـإذا أمن من هذا المحذور منه جاز شربه. كما قيل:

أدِرْها، فما التحريـم فيها لذاتها ... ولكن لأسـباب تضمنها السكر
إذا لم يكن سُكْر يُضِلُّ عن الهدى ... فسيان ماءٌ في الزجاجة أو خمر!

وقد بلغ هذا بأقوام إلى الانسلاخ من الدين جملة.

ومن العلل التي توهن الانقياد: أن يعلِّل الحكم بعلة ضعيفة، لم تكن هي الباعثة عليه في نفس الأمر، فيضعف انقياد العبد إذا قام عنده أن هذه هي علة الحكم. ولهذا كانت طريقة القوم عدم التعرض لعلل التكاليف خشـية هذا المحذور. وفي بعـض الآثـار القديمة: يا بني إسـرائيل، لا تقولوا: لم أمرَ ربنا؟ ولكن قولوا: بم أمر ربنا؟

وأيضًا فإنه إذا لـم يمتثل الأمر حتى تظهر له علتـه، لم يكن منقادا للأمر، وأقلُّ درجاته: أن يضعف انقياده له.

وأيضًا فإنه إذا نظر إلى حِكَم العبادات والتكاليف مثلا، وجعل العلَّة فيها هي جمعية القلب، والإقبال به على الله. فقال: أنا أشتغل بالمقصود عن الوسيلة! فاشتغل بجمعيته وخلوته عن أوراد العبادات فعطَّلها، وترك الانقياد بحمله الأمر على العلة التي أذهبت انقياده.

وكلُّ هذا من تـرك تعظيم الأمر والنهي، وقد دخل من هذا الفسـاد على كثير من الطوائف ما لا يعلمه إلا الله. فمـا يدري ما أوهنت العلل الفاسـدة من الانقياد إلى الله؛ فكم عطلت لله من أمر، وأباحت من نهى، وحرَّمت من مباح! وهي التي اتَّفقت كلمة السلف على ذمِّها»[1] انتهى.

(١) مدارج السالكين لابن القيم (٢/٤٦٤ ـ ٤٦٧)، تحقيق محمد المعتصم بالله البغدادي، نشر دار الكتاب العربي، بيروت، ط٣، ١٤١٦هـ ـ ١٩٩٦م.

QaradawiBooks.com

كلام الهروي وشرح ابن القيم:

وقد قال العلامة إسماعيل الهروي في «منزلة الأدب» من رسالته الشهيرة «منازل السائرين إلى مقامات ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾»: «الأدب: حفظ الحد بين الغُلوّ والجفاء، بمعرفة ضرر العدوان»[(١)].

وشرح هذا ابن القيم في «المدارج»، فقال: «هذا من أحسن الحدود. فإن الانحراف إلى أحد طرفي الغُلوِّ والجفاء: هو قلة الأدب. والأدب: الوقوف في الوسط بين الطرفين، فلا يقصر بحدود الشرع عن تمامها، ولا يتجاوز بها ما جعلت حدودا له. فكلاهما عدوان. والله لا يحب المعتدين. والعدوان: هو سوء الأدب.

وقال بعض السلف: دين الله بين الغالي فيه والجافي عنه.

فإضاعة الأدب بالجفاء: كمن لم يكمل أعضاء الوضوء. ولم يوفَّ الصلاة آدابها التي سنَّها رسول الله ﷺ وفعلها. وهي قريب من مائة أدب: ما بين واجب ومستحب.

وإضاعته بالغُلوّ: كالوسوسة في عقد النية، ورفع الصوت بها، والجهر بالأذكار والدعوات التي شُرعت سرًا. وتطويل ما السنة تخفيفه وحذْفُه. كالتشهد الأول والسلام الذي حذْفُه سنة. وزيادة التطويل على ما فعله رسول الله ﷺ. لا على ما يظنه سُرَّاق الصلاة والنقَّارون لها ويشتهونه. فإن النبي ﷺ لم يكن ليأمر بأمر ويخالفه. وقد صانه الله من ذلك. وكان يأمرهم بالتخفيف ويؤمُّهم بالصافات. ويأمرهم بالتخفيف، وتقام صلاة الظهر فيذهب الذاهب إلى البقيع، فيقضي حاجته. ويأتي أهله ويتوضأ،

(١) منازل السائرين (٦٧/١)، نشر دار الكتب العلمية، بيروت.

QaradawiBooks.com

ويدرك رسول الله في الركعة الأولى. فهذا هو التخفيف الذي أمر به، لا نقر الصلاة وسرقها. فإن ذلك اختصار.

ومثال هذا التوسط في حق الأنبياء عليهم السلام: ألا يغلو فيهم، كما غلت النصارى في المسيح، ولا يجفو عنهم كما جفت اليهود. فالنصارى عبدوهم، واليهود قتلوهم وكذَّبوهم، والأمة الوسط: آمنوا بهم، وعزَّروهم ونصروهم، واتَّبعوا ما جاؤوا به.

ومثال ذلك في حقوق الخلق: ألا يفرط في القيام بحقوقهم، ولا يستغرق فيها، بحيث يشتغل بها عن حقوق الله، أو عن تكميلها، أو عن مصلحة دينه وقلبه، وألا يجفو عنها حتى يعطلها بالكلية. فإن الطرفين من العدوان الضار. وعلى هذا الحد، فحقيقة الأدب: هي العدل. والله أعلم»[1] اهـ.

كلام الشاطبي في الموافقات:

وقال العلامة الشاطبي في «موافقاته»: «الشريعة جارية في التّكليف بمقتضاها على الطريق الوسط الأعدل، الآخذ من الطرفين بقسط لا مَيْل فيه، الداخل تحت كسب العبد من غير مشقَّة عليه ولا انحلال، بل هو تكليف جار على موازنة تقتضي في جميع المكلَّفين غاية الاعتدال كتكاليف الصلاة والصيام والحجِّ والجهاد والزكاة وغير ذلك»[2].

وبعد صفحات يشرح هذا المفهوم ويؤكّده قائلا: «إذا نظرتَ في كلية شرعية فتأمَّلتها تجدها حاملة على التوسط، فإن رأيتَ مَيْلًا إلى جهة

(١) مدارج السالكين (٢/٣٧٠، ٣٧١).
(٢) الموافقات (٢/١٦٣)، تحقيق الشيخ عبد الله دراز، نشر دار المعرفة، بيروت، ط٢، ١٣٩٥هـ ـ ١٩٧٥م.

QaradawiBooks.com

طرف من الأطراف فذلك في مقابلة واقع أو متوقَّع في الطرف الآخر... فإذا لم يكن هذا ولا ذاك رأيتَ التوسُّط لائحًا، ومسلك الاعتدال واضحًا، وهو الأصل الذي يُرجع إليه والمعقل الذي يُلجأ إليه»[١].

كلام أبي حامد الغزالي في الإحياء:

أما الصوفية الذي يقوم منهجهم على الغُلوِّ في الجانب الروحي، فنجد منهم مَن تفرض عليه الوسطية الإسلامية نفسها، فيعبِّر عنها في مناسبة أو أخرى. ومن هؤلاء: الإمام أبو حامد الغزالي، الذي لكتابه «إحياء علوم الدين» تأثير ملحوظ في جمهور غفير من المسلمين، نراه ينوِّه بنظرة الإسلام الوسطية ويرشد إليها، برغم انحيازه إلى التصوف وما فيه من مبالغات في النظر والسلوك. ولكن يأبى الإسلام بفلسفته الوسطية المتغلغلة في كل تعاليمه، كما هي متغلغلة في أعماق كل مسلم، إلا أن يفرض نفسه على الغزالي المتصوّف ويدفعه إلى أن يقول هذه الكلمة أواخر كتاب «الزهد» من «إحيائه» رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

فبعد أن تحدَّث الغزالي عن طوائف الناس واتجاهاتهم ومواقفهم من الحياة الدنيا وشهواتها، قال في نهاية هذا الباب أو الكتاب: «ووراء هذا مذاهب باطلة، وضلالات هائلة، يطول إحصاؤها إلى ما يبلغ نيِّفا وسبعين فرقة. وإنما الناجي منها فرقة واحدة، وهي السالكة ما كان عليه رسول الله ﷺ وأصحابه، وهو ألّا يترك الدنيا بالكلية، ولا يقمع الشهوات بالكلية. أما الدنيا فيأخذ منها قدر الزاد، وأما الشهوات فيقمع منها ما يخرج عن طاعة الشرع والعقل، ولا يتَّبع كلَّ شهوة، ولا يترك كلَّ شهوة، بل يتَّبع العدل، ولا يترك كلَّ شيء من الدنيا، ولا يطلب كلَّ شيء

(١) الموافقات (٢/١٦٨).

QaradawiBooks.com

من الدنيا، بل يعلم مقصود كلٍّ ما خُلق من الدنيا، ويحفظه على حدِّ مقصوده، فيأخذ من القوت ما يُقوِّي به البدن على العبادة، ومن المسكن ما يحفظ عن اللصوص والحرِّ والبرد، ومن الكسوة كذلك، حتى إذا فرغ القلب من شغل البدن، أقبل على الله تعالى بكُنْه همَّته، واشتغل بالذكر والفكر طول العمر، وبقي ملازما لسياسة الشهوات ومراقبا لها، حتى لا يجاوز حدود الورع والتقوى.

ولا يُعلم تفصيل ذلك إلا بالاقتداء بالفرقة الناجية وهم الصحابة، فإنه عليه السلام لمّا قال: «**الناجي منها واحدة**». قالوا: يا رسول الله، ومَن هي؟ قال: «**ما أنا عليه وأصحابي**»[1].

وقد كانوا على النهج القاصد، وعلى السبيل الواضح، الذي فصَّلناه من قبل، فإنهم ما كانوا يأخذون الدنيا للدنيا، بل للدين، وما كانوا يترهَّبون ويهجرون الدنيا بالكلية، وما كان لهم في الأمور تفريط ولا إفراط، بل كان أمرهم بين ذلك قواما، وذلك هو العدل والوسط بين الطرفين، وهو أحبُّ الأمور إلى الله تعالى. والله أعلم»[2].

الغزالي في سائر كتبه يؤكِّد أن المقصود بالشريعة الوسط:

وقد أكد الغزالي رحمه الله هذه النظرة الوسطية في عدد من كتبه، مبيّنًا: أنّ المقصود بالشريعة هو الوسط[3]. فوجدناه في «المضنون به على غير

(١) رواه الترمذي في الإيمان (٢٦٤١)، وقال: مُفَسّر غريب. عن عبد الله بن عمرو. وانظر: تخريج الحديث والكلام عليه في كتابنا: الصحوة بين الاختلاف المشروع والتفرق المذموم صـ ٣٤، نشر دار الشروق، القاهرة.

(٢) إحياء علوم الدين (٣/٢٢٨ ـ ٢٣٠)، ربع المهلكات، كتاب ذم الدنيا.

(٣) انظر تخريج الحديث والكلام عليه في كتابنا: الصحوة بين الاختلاف المشروع والتفرق المذموم صـ ٣٤ ـ ٣٩، نشر دار الشروق، القاهرة، ط٣، ١٤٢٧هـ ـ ٢٠٠٧م.

QaradawiBooks.com

أهله» يُعرّف ﴿ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ﴾ ـ الذي يدعو المسلم ربه بأن يهديه إليه ـ بأنه «عبارة عن الوسط الحقيقي بين الأخلاق المتضادَّة»(١)، مستدلًّا بقوله تعالى لرسوله: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهۡدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾ [الشورى: ٥٢]، وقوله ﷺ: «**إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق**»(٢).

الوسطية في رياضة الطبائع:

ومن ذلك: ما أورده في «الإحياء» في معرض مناقشته لمن زعم أن الأخلاق لا تقبل التغيير بطريق الرياضة، استنادًا إلى أن «الآدمي ما دام حيًّا فلا تنقطع عنه الشهوة والغضب وحب الدنيا وسائر هذه الأخلاق»(٣).

ولكن الغزالي يخطِّئ هذه النظرة، ويردّها بمنطق قوي، قائلًا: «فهذا غلط وقع لطائفة ظنوا أن المقصود من المجاهدة قمع هذه الصفات بالكلية ومحوها، وهيهات! فإن الشهوة خلقت لفائدة، وهي ضرورية في الجبلة، فلو انقطعت شهوة الطعام لهلك الإنسان، ولو انقطعت شهوة الوقاع لانقطع النسل، ولو انعدم الغضب بالكلية لم يدفع الإنسان عن نفسه ما يهلكه ولهلك. ومهما بقي أصل الشهوة فيبقى لا محالة حب المال الذي يوصله إلى الشهوة، حتى يحمله ذلك على إمساك المال. وليس المطلوب إماطة ذلك بالكلية، بل المطلوب ردها إلى الاعتدال الذي هو وسط بين الإفراط والتفريط».

---

(١) المضنون به على غير أهله صـ ٣٦، ٣٧، نشر المطبعة الإعلامية، مصر، ١٣٠٣هـ.

(٢) رواه الحاكم في تواريخ المتقدمين (٦١٣/٢)، وقال: على شرط مسلم. ووافقه الذهبي، وصححه الألباني في الصحيحة (٤٥)، عن أبي هريرة.

(٣) إحياء علوم الدين (٥٦/٣).

QaradawiBooks.com

غير مسموح للطباعة
نسخة تجريبية

إلى قولـه: «والذي يدل على أن المطلوب هو الوسـط في الأخلاق دون الطرفين: أن السـخاء خلق محمود شـرعًا، وهو وسط بين طرفي التبذير والتقتير، وقد أثنـى الله تعالى عليه فقـال: ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمۡ يُسۡرِفُواْ وَلَمۡ يَقۡتُرُواْ وَكَانَ بَيۡنَ ذَٰلِكَ قَوَامٗا ﴾ [الفرقـان: ٦٧]، وقـال تعالى: ﴿ وَلَا تَجۡعَلۡ يَدَكَ مَغۡلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبۡسُطۡهَا كُلَّ ٱلۡبَسۡطِ ﴾ [الإسراء: ٢٩]»(١).

«فانظر كيف صارت الشـهوة والغضب، مما تنحفـظ به ضرورات الإنسـان، التي بها قوام عمارة الأرض وتزجية المعاش. وتندرج الشهوة في الحفظ الغريزي الوجودي، أما الغضب فيدخل ضمن الحفظ الغريزي العدمي، فبواسطتهما يستطيع الإنسـان جلب المصالح والمنافع لنفسه، ودفع المفاسد والمضار عنها.

وإذن، فليس المقصود هو اسـتئصال هذه الصفات، وإنما المقصود ضبطها حتى تقهر، وتزم بزمام التقوى، وترد إلى حد الاعتدال، وتكون مطيعة للعقل والشرع معًا»(٢).

الوسـطية في الأخلاق: وقد ظلَّ الإمـام الغزالي على هـذا النهج، لا يحيد عنه، ولا يفـرّط فيه، حتى في كتبه الفلسـفية. وفـي مقدمتها «تهافت الفلاسفة» الذي قال فيه: «فقد ورد الشرع في الأخلاق بالتوسط بين كل طرفين... فلا ينبغي أن يبالغ في إمسـاك المال فيسـتحكم فيه حِرْص المال، ولا في الإنفاق فيكون مبذرًا، ولا أن يكون ممتنعًا عن كل الأمور فيكون جبانًا، ولا منهمكًا فـي كل أمر فيكون متهوّرًا، بل يطلب الجود، فإنه الوسـط بين البخل والتبذير، والشـجاعة، فإنها الوسط بين

(١) إحياء علوم الدين (٥٧/٣).

(٢) الفكر المقاصدي عند الإمام الغزالي صـ ٩٠، ٩١.

QaradawiBooks.com

الجبن والتهور، وكذلك في جميع الأخلاق، وعلم الأخلاق طويل، والشريعة بالغت في تفصيلها»[(١)].

ويشرح الغزالي ذلك شرحًا رائعًا في كتاب آخر من كتب الإحياء (كسر الشهوتين) شرح المربي العالم بطبائع النفس البشرية، فيقول: «اعلم أن المطلوب الأقصى في جميع الأمور والأخلاق: الوسط؛ إذ خير الأمور أوساطها، وكلا طرفي قصد الأمور ذميم. وما أوردناه في فضائل الجوع ربما يومئ إلى أن الإفراط فيه مطلوب، وهيهات، ولكن من أسرار حكمة الشريعة: أن كل ما يطلب الطبع فيه الطرف الأقصى، وكان فيه فساد، جاء الشرع بالمبالغة في المنع منه، على وجه يومئ عند الجاهل إلى أن المطلوب مضادة ما يقتضيه الطبع بغاية الإمكان، والعالم يدرك أن المقصود الوسط؛ لأن الطبع إذا طلب غاية الشبع، فالشرع ينبغي أن يمدح غاية الجوع، حتى يكون الطبع باعثًا والشرع مانعًا، فيتقاومان ويحصل الاعتدال، فإن من يقدر على قمع الطبع بالكلية بعيد، فيعلم أنه لا ينتهي إلى الغاية، فإنه إن أسرف مسرف في مضادة الطبع كان في الشرع أيضًا ما يدلّ على إساءته، كما أن الشرع بالغ في الثناء على قيام الليل وصيام النهار، ثم لما عَلِم النبي ﷺ من حال بعضهم أنه يصوم الدهر كله، ويقوم الليل كله نهى عنه...»[(٢)]. يشير إلى موقفه من عبد الله بن عمرو، وغيره من الصحابة.

---

(١) تهافت الفلاسفة للغزالي صـ ٢٨٦، تحقيق د. سليمان دنيا، نشر دار المعارف، مصر، ط٦، والكتاب يعدُّ من الكتب الفلسفية، وإن كان يردُّ على الفلاسفة ويبطل مقولاتهم، ولكنه يردُّ عليهم بمنطق الفلسفة نفسه.

(٢) إحياء علوم الدين (٣/٩٦).

QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

أصناف الناس بالنسبة إلى الصراط المستقيم

ومما يؤكد النظرية «الوسطية» عند الإمام الغزالي: ما بينه من تصنيفه الناس بالنسبة للصراط المستقيم إلى ثلاثة أصناف:

- صنف منهمكون في الدنيا دون التفات إلى العقبى، وهذا طريق قد ذمه الشرع، وهو مهلك.

- وصنف تجرَّدوا للعبادة والإقبال على الآخرة - أي إهمال أمر الدنيا تمامًا - فهذا أيضًا قد ورد في الشرع ما يدلّ على إساءته كما يشير إلى ذلك كلام الغزالي المذكور آنفًا.

- وصنف ثالث: متوسِّطون وفَّوا الدارين حقَّهما، وهم الأفضلون عند المحققين؛ لأن بهم قوام أسباب الدنيا والآخرة، ومنهم عامة الأنبياء عليهم السلام، إذ بعثهم الله لإقامة مصالح العباد في المعاش والمعاد»[1].

وهؤلاء المتوسِّطون هم الذين ذكرهم القرآن ودعاءهم في الحج، بقوله تعالى: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾ [البقرة: ٢٠١]. فهم يدعون بالحسنتين، وينشدون السعادتين في الدنيا والآخرة.

وقبلهم ذكر القرآن قومًا على سبيل الذم، فقال: ﴿فَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ﴾ [البقرة: ٢٠٠].

ولم يذكر القرآن الصنف الثالث - حسب القسمة العقلية - وهم الذين يقولون: ربنا آتنا في الآخرة حسنة، وما لهم في الدنيا من خلاق! لأنه

---

(١) ميزان العمل لأبي حامد الغزالي صـ ٣٨٢، ٣٨٣، تحقيق سليمان دنيا، نشر دار المعارف، مصر، ط ١، ١٩٦٤م.

نسخة مجانية

QaradawiBooks.com

اعتبر هــذا الصنف غير موجــود، أو لا ينبغي أن يكــون موجودًا؛ لأنه لا يوجد إنسان ليس له في الدنيا خلاق ولا نصيب، وإلا كيف يعيش؟!

الاقتداء بالصحابة رضوان الله عليهم:

وتكملة لمنهجه في الإصلاح والتربية والهداية إلى الصراط المستقيم، حث على الاقتداء بالفرقة الناجية، وهم الصحابة رضي الله عنهم، الذين «كانوا على النهج القصد، وعلى السبيل الواضح. فإنهم ما كانوا يأخذون الدنيا للدنيا، بل للدين، وما كانوا يترهّبون، ويهجرون الدنيا بالكلية، وما كان لهم في الأمور تفريط ولا إفراط، بل كان أمرهم بين ذلك قوامًا، وذلك هو العدل والوسط بين الطرفين، وهو أحبّ الأمور إلى الله تعالى»(١).

ومنها: استشعار التوازن بين الخوف والرجاء، والرغبة والرهبة، وإليه الإشــارة بقوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ﴾ [الأنبياء: ٩٠]. وقد فصَّل ذلك في كتاب «الخوف والرجاء» من الإحياء، وفي عقبــة «البواعث» في كتابه «منهاج العابدين»(٢).

كلام ابن الجوزي:

ومن علماء الوسطية الإمام أبو الفرج ابن الجوزي (ت ٥٩٧هـ) وقد تحدث عن الوسطية في عدد من كتبه، وخصوصًا «صيد الخاطر». وكان مما قاله: «احذر جمودَ النقَلَة، وانبساطَ المتكلمين، وجموحَ المتزهِّدين،

(١) إحياء علوم الدين (٣/٢٣٠).

(٢) منهاج العابدين صـ ٢٧٥، ٢٧٦، تحقيق د. محمود مصطفى حلاوى، نشــر مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤٠٩هـ ـ ١٩٨٩م، وانظر: الفكر المقاصدي عند الغزالي صـ ٨٩ ـ ٩٣، مبحث: أن مصدر الشريعة الوسط.

QaradawiBooks.com

وشـرهَ أهل الهوى، ووقـوفَ العلماء على صورة العلـم من غير عمل، وعملَ المتعبِّدين بغير علم»[(١)].

خير الأمور الوسط:

وقال أيضًا: «رأيتُ نفسـي كلَّمـا صفا فكرها، أو اتَّعظـتْ بدارج، أو زارت قبور الصالحين، تتحرَّك همَّتها في طلب العزلة والإقبال على معاملة الله تعالى. فقلتُ لها يومًا، وقد كلمتني فـي ذلك: حدثيني ما مقصودك؟ وما نهاية مطلوبك؟ أتراك تريدين مني أن أسكن قفرًا لا أنيس به، فتفوتني صـلاة الجماعة، ويضيع منـي ما قد علمتـه لفقد من أعلمـه، وأن آكل الجَشْـب[(٢)] الذي لم أتعوده، فيقع نضوي طلحًا[(٣)] في يومين، وأن ألبس الخشن الذي لا أطيقه، فلا أدري من كرب محمولي من أنا؟ وأن أتشاغل عن طلب ذرية تتعبَّد بعدي مع بقاء القدرة على الطلب.

بالله ما نفعني العلم الـذي بذلت فيه عمري إن وافقتك، وأنا أعرِّفك غلط ما وقع لك بالعلم.

اعلمي أن البدن مطية، والمطية إذا لم يرفق بها لم تصل براكبها إلى المنزل. وليس مرادي بالرفـق الإكثار من الشـهوات، وإنما أعني أخذ البُلغة الصالحـة للبدن، فحينئذ يصفـو الفكر، ويصـح العقل، ويقوي الذهن. ألا ترين إلـى تأثير المعوقات عن صفـاء الذهن في قوله عليه الصلاة والسلام:

(١) صيد الخاطر لابن الجوزي صـ ١٣٦، نشر دار القلم، دمشق، ط ١، ١٤٢٥هـ ـ ٢٠٠٤م.

(٢) هُوَ الْغَلِيظُ الخشِنُ مِنَ الطَّعَامِ. وَقِيلَ غَيْرُ الْمأدوم. وكلُّ بَشِعِ الطَّعم جَشْب. النهاية في غريب الحديب، مادة (جشب).

(٣) فيقع نضوي طلحًا(٣) في يومين

(٣) النضو هو المهزول من الإبل وغيرها، والطلح هو شجر عظام. انظر: تاج العروس للزَّبيدي مادتي (ن. ض. و) و(ط. ل. ح)

QaradawiBooks.com

«**لا يقضي القاضي بين اثنين وهو غضبان**»(١)، وقاس العلماء على ذلك الجوع وما يجري مجراه من كونه حاقنًا، أو حاقبًا.

وهل الطبع إلا ككلب يشغله الأكل؟ فإذا رمي له ما يتشاغل به طاب له الأكل.

فأما الانفراد والعزلة فعن الشر لا عن الخير. ولو كان فيها لك وقع خير لنقل ذلك عن رسول الله ﷺ، وعن أصحابه ﵃.

هيهات، لقد عرَفتُ أن أقوامًا دام بهم التقلُّل واليبس إلى أن تغير فكرهم، وقوي الخلط السوداوي عليهم، فاستوحشوا من الناس. ومنهم مَن اجتمعت له من المآكل الردية أخلاط مجة، فبقي اليوم واليومين والثلاثة لا يأكل، وهو يظن ذلك من أمداد اللطف، وإذا به من سوء الهضم. وفيهم مَن ترقى به الخلط إلى رؤية الأشباح فيظنها الملائكة.

فالله الله في العلم، والله الله في العقل، فإن نور العقل لا ينبغي أن يتعرض لإطفائه، والعلم لا يجوز الميل إلى تنقيصه. فإذا حُفِظَا حَفِظا وظائف الزمان، ودفعا ما يؤذي، وجلبا ما يصلح، وصارت القوانين مستقيمة في المطعم والمشرب والمخالطة»(٢).

التطلع إلى الأفضل:

وقال أيضًا: «مَن أعمل فكره الصافي دلَّه على طلب أشرف المقامات، ونهاه عن الرضى بالنقص في كل حال. وقد قال أبو الطيب المتنبي:

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري في الأحكام (٧١٥٨)، ومسلم في الأقضية (١٧١٧)، عن أبي بكرة.

(٢) صيد الخاطر ص٩٥ ـ ٩٧، تحقيق حسن السماحي سويدان، نشر دار القلم، دمشق، ط١.

QaradawiBooks.com

ولم أرَ فـي عيوب النـاس عيبًا كنقـص القادرين علـى التمام[1]

فينبغي للعاقل أن ينتهي إلى غاية ما يمكنه، فلو كان يتصور للآدمي صعود السـماوات لرأيت من أقبح النقائص رضـاه بالأرض. ولو كانت النبوة تحصَّل بالاجتهاد رأيتُ المقصر في تحصيلها في حضيض. غير أنه إذا لم يمكن ذلك فينبغي أن يطلب الممكن.

والسيرة الجميلة عند الحكماء خروج النفس إلى غاية كمالها الممكن لها في العلم والعمل.

وأنا أشرح من ذلك ما يدلُّ مذكوره على مُغْفَله.

أما في البدن: فليست الصورة داخلة تحت كسب الآدمي، بل يدخل تحت كسبه تحسينها وتزيينها. فقبيح بالعاقل إهمال نفسه، وقد نبَّه الشرع على الكلِّ بالبعـض، فأمر بقص الأظفار، ونتف الإبـط، وحلقة العانة، ونهى عن أكل الثوم والبصل النيء لأجل الرائحة.

وينبغي له أن يقيس على ذلك ويطلـب غاية النظافة ونهاية الزينة. وقد كان النبي ﷺ يُعرف مجيئـه بريح الطيب، فكان الغاية في النظافة والنزاهة.

ولسـت آمر بزيادة التقشـف الذي يستعمله الموسـوس، ولكن التوسُّط هو المحمود. ثم ينبغي له أن يرفق ببدنه الذي هو راحلته، ولا ينقص من قوتها فتنقص قوته. ولست آمر بالشبع الذي يوجب الجشاء، إنما آمر بالتوسـط، فإن قوى الآدمي كعينٍ جاريةٍ كـم فيها من منفعة لصاحبها ولغيره.

---

(١) ديوان المتنبي صـ٤٨٣، نشر دار بيروت للطباعة والنشر، ١٩٨٣م.

QaradawiBooks.com

ولا يلتفت إلى قول الموسوسين من المتزهِّدين الذين جدوا في التقلُّل، فضعفوا عن الفرائض. وليس ذلك من الشرع ولا نقل عن الرسول ﷺ، ولا أصحابه. إنما كان الرسول ﷺ وأصحابه إذا لم يجدوا، جاعوا، وربما آثروا فصبروا ضرورة.

وكذلك ينبغي أن يُنظر لهذه الراحلة في علفها ـ فربَّ لقمة منعت لقمات ـ فلا يعطيها ما يؤذيها، بل ينظر لها في الأصلح، ولا يلتفت إلى متزهِّد يقول: لا أبلغها الشهوات. فإن النظر ينبغي أن يكون في حلِّ المطعم، وأخذ ما يصلح بمقدار. ولم ينقل عن الرسول ﷺ، ولا أصحابه رضي الله عنهم، ما أحدثه الموسوسون في ترك المشتهيات على الإطلاق. إنما نقل عنهم تركها لسبب، إما للنظر في حلِّها، أو للخوف من مطالبة النفس بها في كلِّ وقت. ويجوز ذلك»[1].

طريق النبوة الطريق الأمثل:

وقال أيضًا: «الجادَّة السليمة والطريق القويمة، الاقتداء بصاحب الشرع. والبدار إلى الاستنان به، فهو الكامل الذي لا نقص فيه.

فإن خلقًا كثيرًا انحرفوا إلى جادَّة الزهد، وحمَّلوا أنفسهم فوق الجهد، فأفاقوا في أواخر العمر، والبدن قد نهك، وفاتت أمور مهمة من العلم وغيره. وإن أقوامًا انحرفوا إلى صورة العلم فبالغوا في طلبه، فأفاقوا في أواخر قدم، وقد فاتهم العمل به.

---

(١) صيد الخاطر صـ ١٧٣ ـ ١٧٤.

QaradawiBooks.com

فطريق المصطفى ﷺ العلم والعمل، والتلطف بالبدن. كما أوصى عبد الله بن عمرو بن العاص وقال له: «**إن لنفسك عليك حقًّا، ولزوجك عليك حقًّا**»[١]. فهذه هي الطريق الوسطى والقول الفصل.

فأما اليبس المجرد، فكم فوَّت من علم، لو حصل نيل به أكثر مما نيل بالعمل. فإن مثل العالم كرجل يعرف الطريق، والعابد جاهل بها، فيمشي العابد من الفجر إلى العصر، ويقوم العالم قبيل العصر فيلتقيان وقد سبق العالم فضل شوطه»[٢].

عبيد المال:

وقال أيضًا: «سبحان مَن جعل الخلق بين طرفي نقيض، والمتوسط منهم يندر؛ منهم من يغضب فيقتل ويضرب، ومنهم من هو أبله بقوة الحِلم لا يؤثر عنده السب، ومنهم شره يتناول كلَّ ما يشتهي، ومنهم متزهِّد يتجفَّف فيمنع النفس حقَّها، وكذلك سائر الأشياء المحمود منها المتوسط، فالمنفق كل ما يجد مبذِّر، والبخيل يخبئ المال ويمنع نفسه حقَّها»[٣].

* * *

(١) سبق تخريجه ص ٦٩.

(٢) صيد الخاطر صـ ٢٣٤، ٢٣٥.

(٣) المصدر السابق صـ ٣٨٨.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية

الفصل الرابع

تصورات خاطئة حول مفهوم الوسطية

١ ـ التصور الخاطئ الأول وردُّه:

الرد على دعوى أنه لا يوجد شيء اسمه الوسطية، إنما هناك الدليل الشرعي:

بعض الإخوة من المتشددين الحرفيين، رفضوا منهج الوسطية، وقالوا: ليس هناك شيء اسمه الوسطية، إنما هناك شيء اسمه «الدليل الشرعي»؛ فإذا أدّانا الدليل الشرعي إلى أمر فهو الواجب اتباعه، سواء كان وسطًا أم طرفًا.

وهؤلاء لم يفهموا ما نريده بالوسطية، فنحن لا نخالف الدليل الشرعي بحال، بل نقول بكل وضوح: إننا استقرأنا الأدلة الشرعية من آيات القرآن، ومن أحاديث الرسول، ومن إجماع الأمة، ومن مقاصد الشريعة، ومن المقاييس الصحيحة، ومن أقوال الأئمة المعتبرين لدى الأمة، فوجدناها كلها تدلّ على هذا الاتجاه الوسط، الذي يرفض الغُلوّ والتفريط، أو الطغيان والإخسار. وأنّ هذا هو منهج الإسلام، ومنهج أمته، وهذا ما قرره علماؤه وأئمته في مختلف العصور.

قيام الأدلة واتفاق العلماء على أن الوسطية من خصائص الإسلام وأمته:

وقد نقلنا في الفصول الماضية من أدلة القرآن والسنة، ومن هدي الصحابة والتابعين، ومن أقوال أئمة الإسلام السابقين واللاحقين،

QaradawiBooks.com

والمعاصرين ما جلَّى هــذه القضية، حتى رأيناها ناصعًة كالشــمس في الضحى، ليس دونها سحاب.

ولا بأس أن نورد هنا بعضا من كلمــات العلماء المعاصرين، لنؤكِّد أننا لسنا وحدنا في هذا التوجُّه الإسلاميِّ الأصيل.

كلام الإمامين محمد عبده ورشيد رضا في الوسطية:

ولصاحب «المنار» العلامة المُجدِّد محمد رشــيد رضا، ولشيخه الإمام محمد عبده: كلام جميل في الوسطية ذكره في تفسيره نسجِّله هنا: «بعد أن ردَّ الله تعالى على السفهاء من اليهود الذين أثاروا ضجّة حول تحويل القبلة، وقال في ذلك: ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ﴾ [البقرة: ١٤٢]، أي: إن الجهات كلها لله تعالى، لا فضل لجهــة منها بذاتها على جهــة، وإن لله أن يُخَصِّص منها ما شاء فيجعله قبلةً لمن يشــاء، وهو الذي ﴿يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [البقرة: ١٤٢]، وهو صراط الاعتدال في الأفكار والأخلاق والأعمال، كما يبيّن في الآية الآتية. فعُلم أن نسبة الجهات كلها إلى الله تعالى واحدة، وأن العبرة في التوجّه إليه سبحانه بالقلوب، واتّباع وحيه في توجّه الوجوه.

قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ [البقرة: ١٤٣]، وهو تصريح بما فهم من قوله: ﴿وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾ [البقرة: ٢١٣]، إلخ، أي: على هذا النحو من الهداية جعلناكم أمة وســطا. قالوا: إن الوســط هو العدل والخيار. وذلك أن الزيــادة على المطلوب في الأمر إفــراط، والنقص عنه تفريط وتقصير، وكلٌّ من الإفــراط والتفريط مَيْل عن الجادّة القويمة فهو شــرٌّ ومذموم، فالخيار: هو الوسط بين طرفي الأمر: أي: المتوسّط بينهما.

قال الأســتاذ الإمام بعد إيراد هذا: ولكن يقال لم اختير لفظ الوسط على لفظ الخيــار مع أن هــذا هو المقصــود، والأول إنما يــدل عليه

QaradawiBooks.com

بالالتزام؟ والجواب من وجهين: «**أحدهما**»: أن وجه الاختيار هو التمهيد للتعليل الآتي: فإن الشاهد على الشيء لا بد أن يكون عارفا به، ومن كان متوسطًا بين شيئين فإنه يرى أحدهما من جانب وثانيهما من الجانب الآخر، وأما من كان في أحد الطرفين فلا يعرف حقيقة حال الطرف الآخر، ولا حال الوسط أيضا.

«**وثانيهما**»: أن في لفظ الوسط إشعارًا بالسببيّة، فكأنه دليل على نفسه: أي: أن المسلمين خيار وعدول: لأنّهم وسط، ليسوا من أرباب الغُلوّ في الدين المُفْرطين، ولا من أرباب التعطيل المُفرِّطين، فهم كذلك في العقائد والأخلاق والأعمال.

ذلك أن الناس كانوا قبل ظهور الإسلام على قسمين: قسم تقضي عليه تقاليده بالمادية المحضة، فلا هم له إلا الحظوظ الجسدية، كاليهود والمشركين، وقسم تحكم عليه تقاليده بالروحانية الخالصة وترك الدنيا وما فيها من اللذات الجسمانية، كالنصارى والصابئين وطوائف من وثنيّي الهند أصحاب الرياضات.

وأما الأمّة الإسلامية فقد جمع الله لها في دينها بين الحقين: حقِّ الروح، وحقِّ الجسد، فهي روحانية جسمانية، وإن شئتَ قلتَ: إنه أعطاها جميع حقوق الإنسانية، فإن الإنسان جسم وروح، حيوان وملك، فكأنه قال: جعلناكم أمة وسطًا تعرفون الحقّين، وتبلغون الكمالين، ﴿لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ﴾ [البقرة: ١٤٣]، بالحق، ﴿عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ [البقرة: ١٤٣]، الجسمانيين بما فرّطوا في جَنْب الدين، والروحانيّين إذ أفْرطوا وكانوا من الغالين. تشهدون على المُفرّطين بالتعطيل القائلين: ﴿مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ﴾ [الجاثية: ٢٤]، بأنهم أخلدوا

QaradawiBooks.com

إلى البهيمية، وقضوا على استعدادهم بالحرمان من المزايا الرُوحانيّة، وتشـــهدون على المفرّطين بالغُلوّ في الديـــن القائلين: إن هذا الوجود حبس للأرواح وعقوبة لها. فعلينا أن نتخلص منه بالتخلي عن جميع اللذات الجسمانية وتعذيب الجسد، وهضم حقوق النفس وحرمانها من جميع ما أعدَّه الله لها في هذه الحياة، تشهدون عليهم بأنهم خرجوا عن جادّة الاعتدال، وجنَوا على أرواحهم بجنايتهم على أجسادهم وقواها الحيوية، تشهدون على هؤلاء وهؤلاء، وتسبقون الأمم كلها باعتدالكم وتوســطكم في الأمور كلهــا، ذلك بــأن ما هُديتم إليه هــو الكمال الإنساني الذي ليس بعده كمال؛ لأن صاحبه يعطي كل ذي حق حقه، يــؤدّي حقوق ربــه، وحقوق نفســه، وحقوق جســمه، وحقوق ذوي القربى، وحقوق سائر الناس.

﴿وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيۡكُمۡ شَهِيدٗا﴾ [البقرة: ١٤٣]، أي: إن الرسول ﷺ هو المثال الأكمل لمرتبة الوســط، وإنما تكون هذه الأمة وسطًا باتّباعها له في سيرته وشريعته، وهو القاضي بين الناس فيمن اتّبع سنته ومن ابتدع لنفسه تقاليد أخرى أو حذا حذو المبتدعين، فكما تشهد هذه الأمة على الناس بسيرتها وارتقائها الجسدي والروحي بأنهم قد ضلوا عن القصد، يشهد لها الرسول ـ بما وافقت فيه سنته وما كان لها من الأسوة الحسنة فيه ـ بأنها اســتقامت على صراط الهداية المســتقيم، فكأنــه قال: إنما يتحقق لكم وصف الوســط إذا حافظتــم على العمل بهدي الرســول واستقمتم على سُنَّته، وأما إذا انحرفتم عن هذه الجادّة، فالرسول بنفسه ودينه وســيرته حجّة عليكم بأنكم لســتم من أمته التي وصفها الله في كتابه بهذه الآية، وبقوله: ﴿كُنتُمۡ خَيۡرَ أُمَّةٍ أُخۡرِجَتۡ لِلنَّاسِ تَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَتَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ﴾ [آل عمران: ١١٠]، إلخ. بل تخرجون بالابتداع من

QaradawiBooks.com

الوسـط وتكونون في أحد الطرفين، كما قال الشـاعر، وقد استشهد به الزمخشري في تفسير الآية:

كانت هي الوَسَطَ المَحْمِيَّ فاكتنفتْ بها الحوادثُ حتى أصبحتْ طَرَفا[1][2]»

الوسطية عند الإمام الأكبر الشيخ محمود شلتوت:

وممَّن ركَّز على الوسطية وتجْليتها في عصرنا: الفقيه المفسِّر العلامة الشيخ محمود شلتوت شيخ الأزهر.

الإسلام هو الصراط المستقيم:

ومما قاله في تفسير «الصراط المسـتقيم» في تفسير سورة الفاتحة، قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الصراط المستقيم: هو الطريق الذي لا عِوَج فيه ولا انحراف، وقد كثر كلام المفسِّـرين في المراد بالصراط المسـتقيم الذي جعل الله طلب الهداية إليه في هذه السـورة أول دعوة علَّمها الإنسـان، وأجمعُ ما نرى في ذلك أن الصراط هو جملة ما يوصِّل الناس إلى سعادة الدنيا والآخرة، من عقائـد، وآداب، وأحكام من جهتي العلـم والعمل، وهو سبيل الإسـلام الذي ختم الله به الرسـالات السـماوية، وجعل القرآن دستوره الشامل، ووكل إلى محمد ﷺ تبليغه وبيانه.

حالة العالم قبل الإسلام:

وحَسْـب القارئ في معرفة أن الإسـلام هو الصراط المستقيم، وأنه لذلك كان الشـريعة الخالدة الصالحة لكلِّ زمان ومكان: أن يتتبَّع حالة

(١) البيت لأبي تمام، كما في شرح الخطيب التبريزي لديوانه (٤٢٥/١)، نشر دار الكتاب العربي، بيروت، ط٢، ١٩٩٤م، انظر: الكشاف للزمخشري (١٩٨/١)، نشر دار الكتاب العربي، بيروت، ط٣ ـ ١٤٠٧هـ.

(٢) تفسير المنار (٤/٢ ـ ٦)، نشر الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٠م.

QaradawiBooks.com

العالم في عصوره المتتابعة قبله، فإنه سيجد أن العالم كان يتردَّد بين طرفين من إفراط وتفريط، وكان ذلك شأنه في كلِّ شيء: في العقائد، في الأخلاق، في صلة الإنسان بالحياة، في علاقة الفرد بالمجتمع، في علاقة الأمم بعضها ببعض، في طريقة التشريع، إلى غير ذلك من سائر الشؤون.

وقد جاء الإسلام فأدرك أن العالم لا يصلح بواحدة من هاتين الخطتين، وأنهما منافيتان للفطرة الإنسانية والطبيعة البشرية، منافيتان لسنن الاجتماع التي تقضي بالوقوف عند الحدِّ الوسط في كلِّ شيء لضمان البقاء والصلاح، وعدم التعرُّض للانحلال والفساد، وأدرك الإسلام ذلك فجاءت شريعته وسطًا لا إفراط فيها ولا تفريط، ووقعت أحكامها ومبادئها مهما تنوَّعت وتشعَّبت في هذه الدائرة التي رسمها كتاب الله ﷻ: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ [البقرة: ١٤٣]، ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ﴾ [الأنعام: ١٥٣].

وسط في العقيدة:

هي في العقيدة وسط بين الذين ينكرون الإله، ويزعمون أن هذه الحياة الدنيا ليست إلا وليدة المصادفات والتفاعلات المادية، ﴿إِنْ هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ﴾ [المؤمنون: ٣٧]، وبين الذين يقولون بالتعدُّد، ويتَّخذون مع الله أندادًا: تقرر في صراحة وجلاء، أن الله إله واحد، وأنه المعبود الذي لا يُعبد سواه: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾ [الإخلاص]، ﴿وَقَالَ ٱللَّهُ لَا تَتَّخِذُوٓا۟ إِلَٰهَيْنِ ٱثْنَيْنِ ۖ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَإِيَّٰىَ فَٱرْهَبُونِ﴾ [النحل: ٥١]، ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝ لَا شَرِيكَ لَهُۥ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [الأنعام: ١٦٢، ١٦٣].

QaradawiBooks.com

وسط في الأخلاق:

وهي في الأخلاق وسط بين الذين يتحلَّلون من كلِّ الفضائل، والذين يشتطُّون في تصوُّر الفضيلة والتزام طرف التشديد فيها: تقرِّر أن الفضيلة وسط بين رذيلتين؛ لا جبن ولا تهور، لا بخل ولا تبذير، لا استكبار ولا استخذاء، لا جزع ولا استكانة. وأساس ذلك كله قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴾ [الإسراء: ٢٩]، ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمْ يُسْرِفُواْ وَلَمْ يَقْتُرُواْ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ﴾ [الفرقان: ٦٧].

وسط في صلة الإنسان بالحياة:

وهي في صلة الإنسان بالحياة وسط بين المادية البحتة، التي لا تعرف شيئًا وراء ما يقع عليه الحسُّ من طعام وشراب، ولذَّات وشهوات، وغلبة وبطش، وجمع للأموال، وتكاثر وتفاخر، والروحية البحتة التي تزهد في الحياة وتُعرض عنها إعراضًا تامًا، فلا زواج، ولا سعي، ولا عمل، ولكن تبتُّل مطلق وإهمال للأسباب! يقرِّر الإسلام في ذلك الوسط أيضًا فيقول: ﴿ وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْأَخِرَةَ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ﴾ [القصص: ٧٧]، ﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُواْ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ ﴾ [الجمعة: ١٠]، ﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ ﴾ [الأعراف: ٣٢].

وسط في طريقة التشريع:

وهي في طريقة التشريع ووضع قوانين الحياة وسط: لم تَدَع الناس يُشرّعون لأنفسهم في كلِّ شيء، ولم تقيِّدهم بتشريع من عندها في كلِّ شيء، بل نصَّت وفوَّضت: نصَّت فيما لا تستقلُّ العقول بإدراكه، كالعبادات زمانا ومكانا وكيفية، ونحو ذلك، وفيما لا تختلف المصلحة

QaradawiBooks.com

فيه باختــلاف الأزمنــة والأمكنة والأشــخاص، كالمواريــث، وأصول المعاملات؛ من بيع، وشراء، وتحريم لأكل أموال الناس بالباطل، ونحو ذلك. وفوَّضت فيما يدرك العقل الخير فيه، وتختلف المصلحة فيه بتغيُّر الأزمنة والأمكنة والأشخاص، ومن هنا وُجد الاجتهاد، وكان من أركان الشريعة الإسلامية، حفظ الله به للعقل الإنساني كرامته.

وسط في علاقة الفرد بالجماعة:

وهي في تحديد علاقة الفرد بالجماعة وســط أيضًــا: لم تترك الفرد طليقًا يفعل ما يشاء ويترك ما يشاء، ولم تَدَعه كالوحش في الفلاة يجري ويمرح ويعبث، ويفترس ما يقدر عليه، ويتحكَّم فيه الأقوى منه، ولم تلغِ شخصه، وتنسَ استقلاله وتضيِّعه في غمار الجماعة لا يعمل إلا لها، ولا يفكِّر إلا فيها، ولا يعرف لنفســه وجودًا غير وجودها، كأنه جزء من آلة يتحرَّك بحركتها ويسكن بســكونها، ولكنها اعتبرته ذا شخصية مستقلة، وفي الوقت نفســه اعتبرته لبنة في بناء المجتمــع، فأثبتت له، بالاعتبار الأول، حقَّ الملكية لماله، والهيمنة على نفســه وولده، ومنحته في هذه الدائرة حقَّ التصرُّف بما يراه خيرًا له وسبيلًا لسعادته في حياته، وأوجبت عليه بالاعتبار الثاني، حقًّا في نفسه بالخروج للغزو والجهاد في سبيل ردِّ العــدوان عن الوطــن، وحقًّا في مالــه بالبذل والإنفاق في ســبيل الله، وأوجبت عليه إرشــاد الأمة، وأمرهــا بالمعروف ونهيها عــن المنكر، وأوجبت عليه أن يعمل لإنجاب النســل الصالح وتكثير سواد الأمَّة به، فيختار الولود ذات الدين والخُلق، لتقوى بذلك الأمة ويعلو شأنها.

وفي مقابل هذه الحقوق التي قرَّرتها الشريعة على الفرد للجماعة، أوجبت على الجماعة للفرد حقوقًا لا سعادة إلا بها: كَفَلت له حفظ دمه

QaradawiBooks.com

وماله وعرضه، وشرعت لحمايته حقَّ القصاص، وحقَّ الحدّ والتعزير، وجعلت له حقًّا في أن تعينه بمالها إذا افتقر، وبذلك تبادل الفرد والمجتمع الحقوق والواجبات، وجعلت سعادة الحياة منوطة بالتعادل بين الجانبين، وعدم طغيان أحدهما على الآخر، فلو ضنَّ الفرد بنفسه أو ماله أو لسانه على المجتمع ساءت حالته وأدركه الضعف والانحلال، ولو ضنَّ المجتمع بقوَّته على الفرد فلم يكفل له سعادته، ولم يحفظه في ماله ونفسه وعِرضه، ولم يُعِنه في حال فقره أو ضعفه، أشقاه وعرَّضه للهلاك، وبهذا وذاك تصبح الحياة عِبئًا ثقيلًا لا يُحتمل، بل جحيمًا لا تطاق!

وسط في علاقة الأمة بغيرها من الأمم:

وكذلك كان شأن الشريعة الإسلامية في تحديد علاقة الأمة بغيرها من الأمم، لم ترضَ للمسلمين بحياة الضعف والذِلة، وأن يكونوا عزلًا من القوة ينتظرون حظَّهم، ويترقَّبون مصيرهم، وما تُقرِّره الأمم الأخرى في شأنهم، ولم ترضَ لهم كذلك بحياة الظلم والاستبداد، والفتك بالضعفاء، والاعتداء على الآمنين في أوطانهم وأموالهم، ولكنها أمرت المسلمين بالاستعداد والتقوّي بالعَدَد والعُدَّة: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن قُوَّةٖ وَمِن رِّبَاطِ ٱلۡخَيۡلِ تُرۡهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمۡ﴾ [الأنفال: ٦٠]، وأمرتهم أن يدعوا إلى الله بالحُجّة والبرهان لا بالإلجاء والقهر: ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّ﴾ [البقرة: ٢٥٦]، ﴿أَفَأَنتَ تُكۡرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُواْ مُؤۡمِنِينَ﴾ [يونس: ٩٩].

ونظرت إلى الحرب وأسبابها الداعية إليها والمفضية إلى شبِّ نيرانها نظرة تتَّفق وغايتها من الصلاح العام والمساواة بين الناس والسير فيهم على سَنَن العدل والرحمة، فحصرت أسبابها في دائرة

QaradawiBooks.com

معقولة، تتناسب وكونها ضرورة من الضرورات هي: دفع الظلم والعدوان، وإقرار حرية التديُّن، والدفاع عن الأوطان. وإن القرآن الكريم ليرشد إلى ذلك في عدَّة مواضع إذ يقول: ﴿وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ﴾ [البقرة: ١٩٠]، ﴿وَقَٰتِلُواْ ٱلْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً كَمَا يُقَٰتِلُونَكُمْ كَآفَّةًۚ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [التوبة: ٣٦]، ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُواْۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ۝ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ﴾ [الحج: ٣٩، ٤٠].

وقد أباحت الشريعة الإسلامية للمسلمين أن ينشئوا ما شاؤوا من العلاقات بينهم وبين الذين لم يعتدوا عليهم في الدين أو الوطن، من كل ما يرونه عونًا لهم على حياتهم في شؤون التجارة والصناعة والعلم والسياسة والثقافة، ينظِّمون ذلك كلَّه على الوجه الذي يتبيَّن صلاحه، والذي تقضي به سُنن الاجتماع والفطرة، والذي لا يتعارض مع دستورهم الخاص، وقد أجازت الشريعة أن تصل هذه العلاقات إلى حدِّ البرِّ بهم والإحسان إليهم.

وأساس الدستور العام في ذلك هو قوله تعالى: ﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِي ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓاْ إِلَيْهِمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾ [الممتحنة: ٨].

هذا هو الصراط المستقيم، والمبدأ الوسط، الذي تسير عليه الشريعة الإسلامية في جميع أحكامها، والذي صلحت به لكلِّ زمان ومكان، واستحقّت به الخلود إلى أن يرث الله الأرض ومَن عليها، وهو خير الوارثين»(١).

---

(١) تفسير القرآن الكريم الأجزاء العشرة الأولى للإمام الأكبر محمود شلتوت صـ ٣١ ـ ٣٥، نشر دار الشروق، القاهرة، ط ٨، ١٤٠١هـ ـ ١٩٨١م.

QaradawiBooks.com

الشيخ محمد المدني:

ومن هؤلاء زميل الشيخ شلتوت ورفيق دربه العلامة الشيخ محمد المدني، من كبار علماء الأزهر، وأحد أرباب الفكر والقلم فيه، المفسِّر الفقيه الأديب، الذي ترك آثارًا علمية وفكرية من كتب ومقالات، تدلُّ على أصالته العلمية، ووجهته الوسطية، ونزعته التجديدية.

وقد ألَّف كتابا بعنوان «وسطية الإسلام» يلقي فيه شعاعًا على المنهج الإسلامي المتوازن في علاج القضايا العويصة، فلا يميل إلى اليمين، ولا إلى اليسار، ولا يجنح إلى الغُلوّ ولا إلى التقصير. وهو رسالة موجزة ولكنها مركَّزة ونافعة. وقد نشرها المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية أكثر من مرة، وعُنيت «دار القلم» التي أنشأها أخونا العالم الباحث المتميِّز عبد الحليم أبو شقة بنشر كتب الشيخ المدني وتراثه كلِّه.

الشيخ الإمام محمد عبد الله دراز:

كما عُني من قبل بنشر كتب شيخنا وأستاذنا علَّامة الأزهر الأكبر، الشيخ الدكتور محمد عبد الله دراز، الذي كان يمثِّل «الوسطية» خير تمثيل، بثقافته الواسعة التي جمعت بين الشرق والغرب، وبين الأزهر والسوربون، وبين العربية والفرنسية، وبين علوم النقل وعلوم العقل. وكلُّ كتبه من «النبأ العظيم»، و«الدين»، و«دستور الأخلاق في القرآن»، و«الميزان بين السنة والبدعة»، و«الربا»، وغيرها نزع فيها هذا المنزع الوسطي.

وقد درَّس لنا في تخصُّص التدريس «علم الأخلاق» أو «فلسفة الأخلاق» وكتب في ذلك رسالة كانت خلاصة دسمة لمبادئ هذا العلم، اتَّسمت بالوسطيَّة الجامعة.

QaradawiBooks.com

وقد انتدب لنشر تراث الشيخ دراز أخونا العالم النابه الباحث النشيط الشيخ أحمد مصطفى فضليَّة، وجمعها وطبعها، وقدَّم لها وعلَّق عليها بما لا بدَّ منه.

وكذلك قام بهذا الدور في نشر تراث الشيخ المدني رحمهما الله.

الإمام الأكبر محمد الخضر حسين:

وممَّن أعتبرهم من دعاة الوسطية من علمائنا المُحْدثين: العلَّامة الشيخ محمد الخضر حسين، الذي كان شيخا للأزهر عندما كنا طلابًا. فقد ترك كتبًا وآثارًا علمية، تشير إليه، وتدلُّ عليه، في الأصول والفقه والدعوة، والمشاركة في النهوض بالأمة، وحلِّ مشكلاتها في ضوء الشريعة الإسلامية، التي يراها بحقٍّ صالحة لكلِّ زمان ومكان، وقد نُشر عدد منها في حياته تحت عنوان «رسائل الإصلاح».

وقد ردَّ على كلِّ متطاول على عقيدة الإسلام أو شريعته أو حضارته، بمنطق العالم الرصين، وإيمان المسلم الملتزم بقرآنه العظيم، وهدى رسوله الكريم، غير غافل عن عصره، ولا عن بيئته، موقنًا بأن الفتوى تتغيَّر بتغيُّر الزمان والمكان والحال.

وممن ردَّ عليهم: الشيخ علي عبد الرزاق في كتابه «الإسلام وأصول الحكم»، بكتابه العلمي الأصيل «نقض كتاب الإسلام وأصول الحكم».

الإمام الشهيد حسن البنا:

ومن أشهر مَن دعا إلى الإسلام الوسطي، أو الوسطية الإسلامية: الإمام حسن البنا، مؤسِّس كبرى الحركات الإسلامية، التي كانت تمثِّل الخطَّ الوسط، أو المركز الوسط، بين دعاة الغُلوِّ في التحرُّر، ودعاة الغُلوِّ

QaradawiBooks.com

في الجمـــود، وبين المفْرطيـــن في العقلانيـــة، والمقصِّريـــن فيها، من الحَرْفِيّيـــن وذوي النزعة الظاهريَّة، بين المبهوريـــن بأوربا وكلِّ ما يجئ منها، والداعين إلى الفناء فيها، واقتباس حضارتهم بخيرِها وشرِّها، وبين دعاة الانعزال، والاكتفاء بما عندنا، وما ترك الأول للآخر شيئا.

وهو كان مثالا للتوازن والاعتدال في شخصيته، فهو سلفي وصوفي، تراثي وعصري، محافظ ومجـدِّد، داعية وثائر، عابد ومجاهد، أو راهب وفارس، وهكذا يرى الإســلام: عبادة وقيادة، ودينًا ودولة، وحقًّا وقوَّة، ومصحفًا وسـيفًا. ولهذا جمع منهج الشـيخ بين الدين والسياسة، بين العلم والتربية، بين الدعوة والجهاد، بين الفكر والحركة.

وسيأتي مزيد لذلك في الفصل الخامس.

الإمام الشيخ عبد الحميد بن باديس:

وممَّن دعا إلى الوسطية من علماء العصر: العلَّامة المُصْلح الجزائري الشيخ عبد الحميد بن باديس، مؤسِّس جمعية العلماء الجزائريين، والتي تبنَّت منهجًا وسـطًا فـي الدعوة والتربيـة والتعليم، قاومـت به منهج الاستعمار الفرنسي الذي أراد أن يفرغ الأمة من مقوِّماتها الذاتية، والتي تتمثَّل في الدين واللغة، فكان منهجه العمل على إحياء الدين واللغة بكل وسيلة، وكان النشيد الذي علَّمه للناس يحفظونه ويردِّدونه:

شـعـبُ الـجـزائـر مـسـلـمٌ ... وإلـى الـعـروبـة ينتسبْ
مَـن قـال: حـادَ عـنَ اصْلِـهِ ... أو قـال: مـات، فقـد كـذب

وســار على نهجه إخوانه وخلفاؤه من بعده، وفي مقدمتهم العلَّامة المصلح الأديب البليغ الشيخ محمد بن البشير الإبراهيمي.

QaradawiBooks.com

الإمام الشيخ الطاهر بن عاشور:

كما تبنَّى هذا المنهج علَّامة تونس وفقيهها ورئيس جامعتها «الزيتونة» الشيخ محمد الطاهر بن عاشور، كما يتبيَّن ذلك في تفسيره الشهير «التحرير والتنوير»، وكما في كتبه الأصوليَّة والفقهيَّة والإصلاحيَّة ـ خصوصًا كتابه «مقاصد الشريعة» ـ التي استدرك فيها على إمام المقاصد المشهور أبي إسحاق الشاطبي، وقد ذكر الوسطية تحت عنوان: «السماحة» وأفرد لها فصلا خاصًّا في مقاصده رَحِمَهُ ٱللَّهُ، قال فيه: «السماحة أول أوصاف الشريعة وأكبر مقاصدها».

ثم عرَّف السماحة بقوله: سهولة المعاملة في اعتدال، فهي وسط بين التضييق والتساهل، وهي راجعة إلى معنى الاعتدال والعدل والتوسط. ذلك المعنى الذي نوَّه به أساطين حكمائنا الذين عُنُوا بتوصيف أحوال النفوس والعقول، فاضلِها ودنيِّها وانتسابِ بعضها من بعض. فقد اتفقوا على أن قوام الصفات الفاضلة هو الاعتدال، أي: التوسط بين طرفي الإفراط والتفريط، لأن ذينك الطرفين يدعو إليهما الهوى الذي حذَّرنا الله منه في مواضع كثيرة، منها قوله تعالى: ﴿وَلَا تَتَّبِعِ ٱلۡهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [ص: ٢٦]، وقوله: ﴿قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ غَيۡرَ ٱلۡحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوٓاْ أَهۡوَآءَ قَوۡمٖ قَدۡ ضَلُّواْ مِن قَبۡلُ﴾ [المائدة: ٧٧]، وقوله: ﴿فَمَا رَعَوۡهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا﴾ [الحديد: ٢٧]. فإن ذلك متعلِّق بأهل الكتاب ابتداء، ومرادٌ منه موعظة هذه الأمة؛ لتجتنب الأسباب التي أوجبت غضب الله على الأمم السابقة وسقوطَها. قال رسول الله ﷺ في اليهود: «لو ذبحوا أيَّة بقرة لأجزأتهم، ولكن شدَّدوا فشدَّد الله عليهم»(١).

(١) ذكره ابن كثير في التفسير (٣٠٠/١) من رواية ابن مردويه، وقال: هذا حديث غريب من هذا الوجه، وأحسن أحواله أن يكون من كلام أبي هريرة. ورواه الطبري في التفسير (٢٠٤/٢، ٢٠٥)، موقوفا على ابن عباس. وقال ابن كثير (٢٩٨/١): إسناده صحيح.

QaradawiBooks.com

فالتوسط بين طرفي الإفراط والتفريط هو منبع الكمالات. وقد قال الله تعالى في وصف الأمة أو وصف صدرها: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ [البقرة: ١٤٣]. وروى أبو سعيد الخدري، عن رسول الله ﷺ، في معنى الآية: أن الوسط هو العدل[1]. أي: بين طرفي الإفراط والتفريط، وبذلك جزم المحقِّقون في تفسير هذه الآية. وبه فسَّر أيضًا قوله تعالى: ﴿قَالَ أَوْسَطُهُمْ﴾ [القلم: ٢٨]، أي: أعلمهم وأعدلهم. وقد شاع هذا المعنى في الوسط[2] انتهى.

علامة المغرب الأستاذ علال الفاسي:

وممَّن سار على المنهج الوسطي في فقهه وفي دعوته، في فَهمه للسياسة وللدولة الإسلامية الحديثة: العالم الأصولي والفقيه والسياسي المغربي المعروف: الأستاذ علال الفاسي، مؤلف كتاب «مقاصد الشريعة الإسلامية ومكارمها».

العلامة عبد الجليل عيسى:

ومن كبار علماء الأزهر المعروفين بالوسطية: العلامة الشيخ عبد الجليل عيسى، الذي درَّسنا في ثانوي الأزهر، كتابه «صفوة صحيح البخاري»، والذي ألَّف كتابًا قيِّمًا سمَّاه «ما لا يجوز الخلاف فيه بين المسلمين»، عاب فيه تفرُّق المسلمين شِيَعًا وأحزابًا، مع وجود الأصول التي تجمعهم من القرآن والسُنّة، قال: «وما تفرَّق المسلمون هذا التفرُّق البغيض إلا بعد أن ابتعدوا عن منهلهم الأول. وكان أول ما غشيهم من الخلاف أنهم صاروا أزواجًا ثلاثة:

---

(١) سبق تخريجه صـ٣٥.

(٢) انظر: مقاصد الشريعة لابن عاشور (١٨٨/٣، ١٨٩)، تحقيق محمد الحبيب بن الخوجة، نشر وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر، ١٤٢٥هـ ـ ٢٠٠٤م.

QaradawiBooks.com

رجلٌ أرخى عنانَ خياله، وجرى وراء تصوُّراته، وإذا وقف في طريقه نصٌّ صريح، أعمل فيه معاول التأويل والتصريف، حتى ينسفه من طريقه.

ورجل جمد مع ظاهر النصِّ، وألغى عقلَه، وجهل نصَّ الخطاب وفحواه.

ورجل مقتصد فهِم النصِّ، وفَقِه روحَ التشريع، فكان أمة وسطًا؛ فهُدِي إلى الصراط المستقيم.

مثال النوع الأول: رجل سمِع قوله ﷺ: «**غسل الجمعة واجب على كل محتلم**»[1]. فقال: ربما أن مقصود الشارع من الغسل هو النظافة، والبعد عمَّا ينفِّر الناس عند اجتماعهم، فإنه يكفي مَن أراد صلاة الجمعة أن ينظِّف جسمه بأيِّ مادة تزيل ما ينفر، ولو كانت تلك المادة هي «الكحول» المعطِّر (الكولونيا) مثلًا. ومعنى هذا أنه ليس بلازم أن يكون الغسل بالماء الطهور الذي جاء الأمر به على لسان الشارع نصًّا. وما أحسن قول الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه في هذا المقام: لو كان الدين بالرأي لكان أسفل الخف أولى بالمسح من أعلاه[2]، أيْ: مع أن الفرض هو مسح أعلاه فقط.

ومثال النوع الثاني: رجل سمع قوله ﷺ: «**لا يبولنَّ أحدكم في الماء الراكد**»[3]. فقال: فلا حرج حينئذ في أن يبول الشخص في إناء، ثم يفرغ

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٨٧٩)، ومسلم (٨٤٦)، كلاهما في الجمعة، عن أبي سعيد الخدري.

(٢) رواه أبو داود (١٦٢)، والدارقطني (٧٨٣)، كلاهما في الطهارة، وصححه الألباني في الإرواء (١٠٣).

(٣) متفق عليه: رواه البخاري في الوضوء (٢٣٩)، ومسلم في الطهارة (٢٨٢)، عن أبي هريرة. وفيه: «الدائم» بدل «الراكد».

QaradawiBooks.com

ما فيه في الماء الراكد، لأن المنهيَّ عنه في نظره إنما هو أن يكون بوله في الماء مباشـــرة، وغفل عن أن لهذا التشريع حكمة ظاهرة، وهي عدم تلويث الماء بما يضير الغير.

ورجل سمع أن النبي ﷺ، أمر بالغسل يوم الجمعة، فقال: يعدُّ ممتثلا لهذا الأمر من اغتسل في لحظة ما من يوم الجمعة، ولو بعد العصر.

ورجل سمع قوله ﷺ: «**البكر تستأذن في الزواج، وإذنها صمتها**»(١). فقال: لو قالت البكر: رضيتُ فلانًا زوجًا لا يصلح العقد؛ لأن قولها ليس سكوتًا(٢).

وفي هذا قال الحافظ ابن حجر في شرحه على البخاري في آخر باب «لا يزوج الأب وغيره البكر والثيب إلا برضاها». قال: وشذَّ بعض أهل الظاهر، فقال: إذا أعلنت البكر إذنها في الــزواج بالقول لم يجُز العقد، لأن الرسول ﷺ قال: «**إذنها سكوتها**»(٣).

ومثال النوع الثالث: وهم الراشدون المهتدون. لما سمع العلماء قول النبي ﷺ: «**من أكل الثوم أو البصـــل فلا يحضر صلاة الجمعة**»(٤)، قالوا:

---

(١) رواه البخاري في الحيل (٦٩٧١)، عن عائشة.

(٢) نظير هذا في التمسك بظاهر اللفظ دون النظر إلى حقيقة المراد ما قاله الألوسي في تفسير قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ نَبَاتَ كُلِّ شَىْءٍ﴾ [الأنعـام: ٩٩]، مع أن بعض العلماء أنكر أن المطر من الســحاب؛ لأن هذا يخالف ظاهر القرآن الذي يقول: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً﴾، ولم يقل من السحاب. روح المعاني (٢٢٤/٤)، تحقيق علي عبد الباري عطية، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٥هـ.

(٣) انظر: فتح الباري (١٩٤/٩).

(٤) كذا بالأصل ولـم أقف عليه بهذا اللفـظ، وروى البخاري في الأذان (٨٥٣)، ومســلم في المســاجد (٥٦١)، ولفظ البخاري، عن ابن عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، أن النبي ﷺ قال في غزوة خيبر: «**مَن أكل من هذه الشجرة** ـ يعني الثوم ـ **فلا يقربن مسجدنا**».

QaradawiBooks.com

بما أن المراد هو المنع من كلِّ منفِّر، فيقاس الجزَّار الملوَّث الثياب بوساخات الدهون، والدبَّاغ الذي يحضر الصلاة بثياب المدبغة، على آكل البصل، فلا يصح لهؤلاء حضور الجمعة»[1].

العلامة محمد الحسن الحجوي الثعالبي:

ومن قبله العلامة الفقيه المُجدِّد محمد الحسن الحجوي الثعالبي، صاحب كتاب «الفكر السامي في التشريع الإسلامي» وغيره من المؤلَّفات التي تتميَّز بالمنهج الوسطي التجديدي.

العلامة جمال الدين القاسمي:

ومن دعاة الوسطية في بلاد الشام من المحدثين: العلَّامة جمال الدين القاسمي، من دعاة الإصلاح والتجديد، ومؤلِّف التفسير المعروف «محاسن التأويل»، وبعض الكتب التجديدية الوسطية النافعة، مثل: «الفتوى في الإسلام»، و«قواعد التحديث في علوم الحديث»، وغيرهما من عشرات الكتب.

الفقيه الداعية الكبير مصطفى السباعي:

ومنهم الفقيه والأصولي والداعية الكبير الشيخ مصطفى السباعي، الذي كان داعية للوسطية المجدَّدة، بلسانه وقلمه ومحاضراته وكتبه، كما تجلَّى ذلك في كتبه «السنة ومكانتها في التشريع»، و«المرأة بين الفقه والقانون»، و«من روائع حضارتنا»، و«اشتراكية الإسلام». وإن اعترض بعض الناس على عنوانه، ولكنه

(١) انظر: ما لا يجوز فيه الخلاف بين المسلمين صـ ٨ ـ ١٠، نشر دار البيان، الكويت.

QaradawiBooks.com

أضاف الاشـتراكية إلى الإسـلام، فلم يدْعُ إلى أيِّ اشـتراكية، بل الاشتراكية المضافة إلى الإسـلام، والمستمدَّة من الإسلام. وله عددٌ من الرسائل والمقالات، كلُّها تنبع من النظرة الوسطية المجدَّدة، أو التجديد الوسطي في الإسلام.

الفقيه الكبير مصطفى الزرقا:

ومنهم الفقيه الكبير الشـيخ مصطفى الزرقـا، الذي أخذ على عاتقه تجديد الفقه الإسـلامي المدني، وإبرازه في ثوبه الجديد، وأصدر كتابه الجليل «المدخل الفقهي العام»، كما أصدر عددًا من الكتب والرسـائل والفتاوى، كلُّها تصبُّ في اتجاه الوسطية والتجديد.

وقد تأثَّر بمنهج شـيخيه المجدِّدَيْن العالمَيْـن الفاضليْن: المحدِّث المؤرِّخ المصلح الشـيخ محمد راغب الطباخ، والعالم المربِّي الشـيخ محمد الحنفي، رحمهما الله تعالى.

أديب الفقهاء وفقيه الأدباء علي الطنطاوي:

ومنهم الأديب الكبير والفقيه الجليل والداعية الموفَّق الشـيخ علي الطنطـاوي، الذي تربَّت الأجيـال على كتبه، وتأثَّـرت بحديثه المؤثّر، وفكره النيِّر، ومؤلفاته النافعة، والتي تتَّسـم كلُّها بالمنهج الوسـطي في العقيدة، والأخلاق، والفقه، والفتاوى. ومن ذلك كتابه النافع في العقيدة: «تعريف عام بدين الإسلام»، وفي الفقه: «الفتاوى»، وكتبه الأخرى، مثل «مقالات في كلمـات»، و«فصول اجتماعية»، و«هتـاف المجد»، و«فكر ومباحث». وكلُّها تدعو إلى الفكر الوسطي، بأسلوب أدبي رفيع، ودعوة صادقة مؤثِّرة.

QaradawiBooks.com

العلامة الكبير أحمد إبراهيم ومدرسته:

من هؤلاء الفقهاء الكبار والعلماء المصلحين المجدِّدين: العلامة أحمد إبراهيم، وتلامذته الذين أشاعوا الفكر الإصلاحي الوسطي التجديدي، أمثال: عبد الوهاب خلاف، ومحمد أبو زهرة، وعلي الخفيف، الذين جدَّدوا في تقريب العلم وتيسيره(١).

العلامة عبد الوهاب خلاف:

ومن حقِّ النوابغ في هذه المدرسة التي تركت تأثيرًا واضحًا وواسعًا في كثيرين من مثقفي العصر من خريجي كليات الحقوق المصرية: أن ننوِّه بثلاثة منهم كانوا نجومًا متألِّقة في سماء الفقه، وتدريسه وتجليته والتأليف فيه.

أوَّلهم العلامة الشيخ عبد الوهاب خلاف، الذي ألَّف كتابه الشهير في «علم أصول الفقه»، وظلَّ يدرِّسه عشرات السنين. وكذلك كتابه «مصادر التشريع فيما لا نص فيه»، وكتابه «خلاصة تاريخ التشريع الإسلامي»، وكذلك كتابه في «السياسة الشرعية» أو «نظام الدولة في الإسلام».

العلامة الشيخ علي الخفيف:

وثاني هؤلاء النوابغ: العلامة الشيخ علي الخفيف، الذي ألَّف في فقه المعاملات، وكانت له اجتهادات جريئة في بعض الموضوعات، مثل: التأمين، ووافَقَه فيها مَنْ وافقه، وخالفه مَنْ خالفه.

---

(١) لم أذكر هؤلاء الأعلام من دعاة الوسطية في العصر الحديث على سبيل الاستقصاء، فهناك كثير من العلماء الدعاة إلى الوسطية في العصر الحديث، ولا يلزم من عدم ذكري لهم الغضّ منهم وجهل منزلتهم، كما لا يلزم ذكري لهؤلاء الفضلاء موافقتي التامة لاجتهاداتهم وآرائهم ومواقفهم، ولكن أشدت بمنهجهم العام، وأثرهم الكبير في نشر الفكر الوسطي التجديدي، وصلتي الوثيقة بهم وبمؤلَّفاتهم.

QaradawiBooks.com

الإمام محمد أبو زهرة:

ومن هؤلاء: العلامة الإمام محمد أبو زهرة، الذي ملأ الدنيا علمًا في الفقه وأصوله وتاريخه، وتاريخ أئمته أصحاب المذاهب المتبوعة: الأربعة وغيرهم، والذي كتب في تفسير القرآن إلى سورة النمل، والسيرة النبوية «محمد خاتم النبيين»، وفي العقيدة، ومقارنة الأديان، وفي تاريخ المذاهب والفرق الإسلامية، وغيرها مما يدلُّ على موسوعيته. وكتابته تتميَّز بالوضوح والعمق، كما تتميز بنظرة وسطية لا تنزع إلى غلوٍّ ولا تفريط.

العلامة محمد مصطفى شلبي:

وعلى ذكر أساتذة الشريعة في كليات الحقوق: نذكر هنا العالم الأزهري الفقيه المعروف الشيخ الدكتور محمد مصطفى شلبي، مؤلف كتاب «تعليل الأحكام»، وغيره من الكتب في الفقه والأصول، والذي تتلمذ عليه الكثيرون في الإسكندرية وبيروت.

العلامة علي حسب الله:

وممن يذكر من علماء الشريعة هنا أيضا: العالم الأصولي المعروف الشيخ علي حسب الله أستاذ الشريعة في «دار العلوم»، ومؤلف كتاب «أصول التشريع الإسلامي» وغيره.

رواد ندوة العلماء بالهند وإمامها الشيخ أبو الحسن الندوي:

وممَّن يمثِّلون مدرسة الوسطية الإسلامية المجددة: مدرسة «ندوة العلماء» بالهند، التي أسَّسها في القرن الرابع عشر الهجري، التاسع عشر الميلادي جماعة من كبار علماء الهند، الذين جمعوا بين علوم الشرع التراثية، وتضلَّعوا فيها، وبين ثقافة العصر من معارف الغرب،

QaradawiBooks.com

وكانت لهم نظرات نقدية وبنَّاءة، سواء للموروث من علومنا، أم للوافد من حضارة الغرب، مع نظرات إصلاحية تجديدية للرقِيِّ بأمتنا، وللنهوض بثقافتنا.

فنقدوا المناهج التقليدية في دراسة علم الكلام، وفي الفقه، والتصوف وغيرها، منتفعين بتراث المصلحين الكبار قبلهم، وخصوصًا في الهند، وعلى رأسهم حكيم الإسلام المصلح المجدِّد الشهير شاه وليّ الله الدهلوي، في كتبه الشهيرة، وعلى رأسها «حجة الله البالغة». واتَّفقوا على أن يؤسِّسوا جامعة إسلامية قديمة جديدة، تقدِّم للناس ثقافة موصولة بمصادر الإسلام، غير منعزلة عن معارف العصر، شعارها: «خذ ما صفا ودَعْ ما كدر من التراث»، «الجمع بين الإيمان الراسخ والعلم الواسع»، «التمسك بكل قديم نافع، والترحيب بكل جديد صالح»، «الجمع بين ثبات الأهداف والغايات ومرونة الوسائل والآليات، هم في الأولى في صلابة الحديد، وفي الثانية في ليونة الحرير»، كما قال إقبال، «الجمع بين عقلانية المتكلِّمين، وروحانية المتصوفين، وتأصيل الأصوليين، وضبط الفقهاء، وأثرية المحدِّثين».

فكان منهم رجال كبار يعتبرون من القمم الإسلامية في مجال التحقيق العلمي، وفي مجال التأمُّل الفكري، وفي مجال التذكير الدعوي، وفي مجال التوجيه التربوي.

أذكر منهم ثلاثة، كلهم برزوا وبرَّزوا، كل واحد منهم متبحر في العلم، وإمام في الدعوة والفكر، وقدوة في التربية والسلوك، هم:

الشيخ شبلي النعماني، والسيد سليمان الندوي، والسيد أبو الحسن علي الحسني الندوي، كل منهم كان نجمًا ساطعًا في سماء عصره.

QaradawiBooks.com

الداعية الكبير الشيخ محمد الغزالي:

ومن هؤلاء شيخنا الداعية الكبير، الشيخ محمد الغزالي، الذي كان لسان الدعوة الإسلامية في عصره، والمدافع الأول عن حمى الإسلام بلسانه وقلمه.

فمَن قرأ كتبه، وتدبَّر تراثه الغني، وجده يمثِّل الوسطية المجددة، التي تنظر إلى الإسلام وأصوله بعين، وتنظر إلى العصر وتيّاراته بعين أخرى، يستلهم الماضي، ويعيش الحاضر، ويستشرف المستقبل، يجمع بين عقل الفيلسوف، وقلب المتصوف. يدعو الأمة إلى أن تجمع بين العلم والإيمان، بين الرقي الحضاري والسمو الأخلاقي.

الشهيد الإمام سيد قطب وحديثه عن وسطية الأمة:

وربما كان من الغريب هنا أن يُذكر الشهيد سيد قطب، وهو محسوب على الغلاة، ومع هذا فرض عليه القرآن، وطبيعة الإسلام إلا أن يتحدَّث عن «وسطية الأمة» بقلمه البليغ في تفسيره «في ظلال القرآن» فيبدع ويؤثِّر.

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إنها الأمّة الوسط التي تَشْهَد على الناس جميعًا، فتُقِيم بينهم العدل والقسط، وتضع لهم الموازين والقيم، وتبدي فيهم رأيها، فيكون هو الرأي المعتمَد، وتزن قيمهم وتصوراتهم وتقاليدهم وشعاراتهم، فتفصل في أمرها، وتقول: هذا حقٌّ منها وهذا باطل. لا التي تتلقَّى من الناس تصوُّراتها وقيمها وموازينها.

وهي شهيدة على الناس، وفي مقام الحكم العدل بينهم. وبينما هي تشهد على الناس هكذا، فإن الرسول هو الذي يشهد عليها، فيقرِّر لها موازينها وقيمها، ويحكم على أعمالها وتقاليدها، ويزن ما يصدر عنها،

QaradawiBooks.com

ويقول فيه الكلمة الأخيـرة. وبهذا تتحدَّد حقيقة هــذه الأمة ووظيفتها؛ لتعرفها، ولتشــعر بضخامتهــا، ولتقدِّر دورهــا حقَّ قدره، وتســتعدَّ له استعدادًا لائقًا.

وإنها لَلأمة الوســط بكلِّ معاني الوسط، ســواء من الوساطة بمعنى الحسن والفضل، أو من الوسط بمعنى الاعتدال والقصد، أو من الوسط بمعناه المادي الحسي.

﴿أُمَّةً وَسَطًا﴾، في التصوُّر والاعتقاد، لا تغلــو في التجرّد الروحي ولا في الارتكاس المادي. إنمــا تتبع الفطرة الممثَّلــة في روح متلبِّس بجسد، أو جســد تتلبَّس به رُوح. وتعطي لهذا الكيان المزدوج الطاقات حقَّه المتكامل من كلِّ زاد، وتعمل لترقية الحياة ورفعها، في الوقت الذي تعمل فيــه على حفظ الحيــاة وامتدادهــا، وتطلق كلَّ نشــاط في عالم الأشواق وعالم النوازع، بلا تفريط ولا إفراط، في قصد وتناسق واعتدال.

﴿أُمَّةً وَسَطًا﴾، في التفكير والشعور. لا تجمد على ما علمت، وتغلق منافذ التجربة والمعرفة، ولا تتبع كذلك كلَّ ناعــق، وتُقلِّد تقليد القردة المضحك. إنما تستمســك بما لديها من تصوُّرات ومناهج وأصول، ثم تنظر فــي كلِّ نتاج للفكر والتجريب، وشــعارها الدائــم: الحقيقة ضالَّة المؤمن أنَّى وجدها أخذها. في تثبُّت ويقين.

﴿أُمَّةً وَسَطًا﴾، في التنظيم والتنســيق. لا تدع الحياة كلَّها للمشاعر والضمائر، ولا تدعها كذلك للتشريع والتأديب. إنما ترفع ضمائر البشر بالتوجيه والتهذيب، وتكفل نظام المجتمع بالتشريع والتأديب، وتزاوج بين هذه وتلك، فلا تَكِل الناس إلى ســوط السلطان، ولا تكلهم كذلك إلى وحي الوجدان. ولكن مزاج من هذا وذاك.

﴿أُمَّةً وَسَطًا﴾، في الارتباطات والعلاقات. لا تُلغي شخصية الفرد ومقوّماته، ولا تلاشي شخصيته في شخصية الجماعة أو الدولة، ولا تطلقه كذلك فردًا أَثِرًا جشعًا لا همَّ له إلا ذاته. إنما تطلق من الدوافع والطاقات ما يؤدّي إلى الحركة والنماء، وتطلق من النوازع والخصائص ما يحقّق شخصية الفرد وكيانه. ثم تضع من الكوابح ما يقف دون الغُلوّ، ومن المنشِّطات ما يثير رغبة الفرد في خدمة الجماعة، وتقرّر من التكاليف والواجبات ما يجعل الفرد خادمًا للجماعة والجماعة كافلة للفرد في تناسق واتساق.

﴿أُمَّةً وَسَطًا﴾، في المكان، في سُرَّة الأرض، وفي أوسط بقاعها. وما تزال هذه الأمة التي غمر أرضها الإسلام إلى هذه اللحظة هي الأمة التي تتوسط أقطار الأرض بين شرق وغرب، وجنوب وشمال، وما تزال بموقعها هذا تشهد الناس جميعًا، وتشهد على الناس جميعًا، وتعطي ما عندها لأهل الأرض قاطبة، وعن طريقها تعبر ثمار الطبيعة، وثمار الروح والفكر من هنا إلى هناك، وتتحكَّم في هذه الحركة ماديها ومعنويها على السواء.

﴿أُمَّةً وَسَطًا﴾، في الزمان، تُنهي عهد طفولة البشرية من قبلها، وتحرس عهد الرُّشد العقلي من بعدها. وتقف في الوسط تنفض عن البشرية ما علق بها من أوهام وخرافات من عهد طفولتها، وتصدُّها عن الفتنة بالعقل والهوى، وتُزواج بين تراثها الروحي من عهود الرسالات، ورصيدها العقلي المستمر في النماء، وتسير بها على الصراط السوي بين هذا وذاك.

وما يعوق هذه الأمة اليوم عن أن تأخذ مكانها هذا الذي وهبه الله لها، إلا أنها تخلَّت عن منهج الله الذي اختاره لها، واتَّخذت لها مناهج

QaradawiBooks.com

مختلفة ليست هي التي اختارها الله لها، واصطبغت بصبغات شتى ليست صبغة الله واحدة منها! والله يريد لها أن تصطبغ بصبغته وحدها.

وأمَّة تلك وظيفتها وذلك دورها، خليقة بأن تحتمل التبعة وتبذل التضحية، فللقيادة تكاليفها، وللقوامة تبعاتها، ولا بد أن تُفتن قبل ذلك وتُبتلى، ليتأكَّد خلوصها لله وتجرُّدها، واستعدادها للطاعة المطلقة للقيادة الراشدة»[1] اهـ.

هذه كلمات سيد قطب في «وسطية الأمة» واضحة نقيَّة، رغم ما له رَحِمَهُ اللَّهُ من جنوح إلى التكفير في مناسبات أخرى، غفر الله له. ناقشناه فيها في مواضع أخرى. ولكن وسطية الإسلام ووسطية أمته، أبتا إلا أن يعبِّر عنها بهذا البيان الناصع.

الإمام أبو الأعلى المودودي:

وللإمام أبو الأعلى المودودي أمير الجماعة الإسلامية، وصاحب الكتب والرسائل والمناهج التي كان لها دورُها وتأثيرها الفكري والنفسي والعملي في الأمة الإسلامية، قد اتهمه بعضهم بأنه أقرب إلى الغلو والتطرُّف منه إلى الوسطية والاعتدال، وزعم بعضهم أنه دعا إلى الحاكمية، وثار على الجاهلية الغربية، مما قرَّبه إلى المتشدِّدين.

وهذا كلام غير صحيح، فالحاكمية ـ كما بيَّنَّاها في مواضعها ـ إنما هي مفهوم أصولي إسلامي، نادى به علماء أصول الفقه الإسلامي، ونقلنا كلامهم الواضح في هذه القضية، وأن الحاكم في خلقه هو الله الذي خلقهم، والذي أحلَّ لهم، وحرَّم عليهم، وأمر

(١) في ظلال القرآن (١/ ١٣٠ ـ ١٣٢)، نشر دار الشروق، القاهرة، ط١٧، ١٤١٢هـ.

QaradawiBooks.com

ونهى، وحكم وشرع، ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [يوسف: ٤٠].

ولذلك يدعو المودودي ـ كما يدعو غيره ـ إلى وسطية الفكر، ووسطية التربية، ووسطية التشريع والحكم، ومَن يقرأ كتبه يجد هذه المعاني بيِّنة مضيئة، كما يضيء الحق دائمًا.

يقول في تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [البقرة: ١٤٣]: «هذا هو إعلان زعامة الأمة الإسلامية، وكلمة ﴿كَذَٰلِكَ﴾، تشير إلى كلٍّ من الهداية الإلهية التي أرسلت على يد محمد ﷺ، وإلى تغيير القبلة، فبالسير على طريق هذه الهداية أنجز المسلمون كلَّ تلك التفوقات والنجاحات التي أدَّت إلى جعلهم «أمة وسطا»، وبتغيير القبلة من المسجد الأقصى إلى الكعبة الشريفة انتقلت الزعامة من بني إسرائيل الذين أُقْصوا عنها، إلى المسلمين وهم الزعماء الجُدُد. فتغيير القبلة ـ إذنْ ـ لم يكن مجرَّد تبديل مكان أو اتجاه كما فهمه السفهاء، بل كان في حقيقة الإعلام الرسمي لسحب الزعامة من بني إسرائيل وتسليمها إلى اتباع محمد ﷺ.

و﴿أُمَّةً وَسَطًا﴾، تعبير واسع في معناه شامل في مداه، حتى إنه لا يمكن ترجمته إلى ألفاظ في اللغات الأخرى تفي بمعناه العميق الممتد، فالأمة الوسط هي تلك الأمة المستقيمة الشريفة التي لا تشذُّ عن الحدود اللائقة، بل تتبع الطريق الوسط، وتتعامل مع أمم العالم على أساس العدل والإنصاف، وتكون منهم كالقاضي النزيه، وتقيم علاقاتها مع غيرها من أمم العالم الأخرى على دعائم الحق والشرعية.

ثم مَن جعلكم ﴿أُمَّةً وَسَطًا﴾، إنما جعلكم هكذا لتكونوا شهداء

QaradawiBooks.com

على الناس، ويكون الرسول عليكم شهيدًا، فسبحانه وتعالى يعني أن الرسول بوصفه نائبنا المسؤول سيشهد عليكم، يوم نأتي بكم جميعًا لتنالوا حسابكم: أنه أبلغكم بشكل تامٍّ غير منقوص كلَّ ما علَّمناه من فكر سليم وعمل صالح ونظام عادل، وأنه طبَّقه أمام أعينكم، وأراكم إياه. ثم إنكم ستشهدون على البشر أجمعين ـ بوصفكم نوابًا عن الرسول ﷺ ـ أنكم لم تقصِّروا أدنى تقصير في تبليغهم ما أبلغكم الرسول إيَّاه وتوضيحه وتفسيره لهم.

إن مَن يصدر إليه أمر من الله كي يكون شاهدًا من قِبَله على البشرية ـ فردًا كان أم جماعة ـ لهو في الحقيقة عالي الدرجة رفيع المقام سامي القدر في إمامة هذه الدنيا وزعامتها، وحيث توجد الأفضلية ويعلو الشأن؛ يتعاظم عبء المسؤولية ويجسُم.

ومعنى هذا أن على الأمة الإسلامية أن تصبح شاهدًا حيًّا أمام العالم كلِّه في التقوى والحق والعدل تمامًا كما كان الرسول شاهدًا أمامها، وأن تكون أقوالها وأعمالها مظهِرةً للعالَم معنى الحقيقة إظهارًا تامًّا.

كذلك تعني هذه الآية أن على الأمة الإسلامية مسؤولية كبرى سوف تحاسب عليها يوم الدين، فكما كان الرسول صلوات الله عليه، مسؤولًا عن تبليغ الهداية الإلهية، فإن المسلمين مسؤولون عن تبليغها وتوصيلها إلى البشرية جمعاء، فإن فشلوا في إقامة الدليل العملي على أنهم أدَّوا هذا الواجب، ووفَّوا بمقتضيات هذه المسؤولية بكلِّ ما في جهدهم ومقدورهم، فسوف يعاقبهم الله، ويعمُّهم وكافة شركائهم وقرنائهم الأشرار بعذاب عظيم، على ما انتشر من الشرور والمآثم والفجور خلال فترة تولِّيهم الزعامة، وسيحشرون في زمرة شياطين الإنس والجن، حيث

QaradawiBooks.com

يسألهم ربُّهم أين كنتم غافلين عن شيوع المفاسد وماذا قدمتم لوقف سيول الرذيلة والخطيئة والاستبداد والفسق والطغيان والعقوق التي كانت تجتاح العالم؟»[١].

الشاعر الرائد عمر بهاء الأميري:

وللأستاذ الشاعر السوري الكبير عمر بهاء الأميري كتاب صغير الحجم، ولكنه مليء، سماه «وسطية الإسلام وأمته في ضوء الفقه الحضاري» ننقل منه هذه السطور: «وزبدة القول كله عن وسطية الإسلام في ضوء الفقه الحضاري: أننا إذا استوعبنا أمرها استيعابًا حضاريًّا شاملًا، ثم نظرنا في جزئياتها ودرسناها جزئية جزئية؛ لأدركنا أنها تشمل الحياة في كلِّ جوانبها ومعانيها، وأنها تترك آثارها في نفسية المسلم الحقِّ، فيستشعر دائمًا العزة بالله من جانب، والتواضع له ولعباده، والمسؤولية أمامه من جانب آخر، وبالتالي فهي تترك آثارها في الأُمة الإسلامية جمعاء، رفعةً ودماثة، وحملًا للأمانة بشكل يمكِّن لحضارتها من الانتشار والازدهار، فضلًا عما كوَّنته هذه الوسطية للأمة الإسلامية من محورية في البشرية كافة، استقطبت المواهب والكفاءات والخبرات، وجزت عنها أكرم الجزاء، ووظَّفتها للنفع الإنساني العام.

وهكذا نالت مزيَّتها، وحازت جدارتها الفذَّة التي ترتَّبت عليها، وانبثقت عنها صدارتُها في الوجود الإنساني، ومسؤوليتها عن ريادة البشرية، وبذل عطاء الإسلام هداية ودراية، ونعمة ورحمة للعالمين.

كل هذا في معترك الحياة الدنيا، والفعالية البشرية الحضارية، في عالم «الشهادة» على الأرض، حيث يستطيع إنسان «الأُمة الوسط» ـ بل يتوجب

(١) تفهيم القرآن للمودودي (١٠٧/١، ١٠٨)، نشر دار القلم، الكويت، ط١، ١٣٩٨هـ ـ ١٩٧٨م.

QaradawiBooks.com

عليه ـ أن يستوعب السنن الكونية، وينظر في القوانين الخاصة بكل مرفق من مرافق الوجود، في شتى ساحاته، وفي كل علم من العلوم في مجالات اختصاصه، ليدرك لُباب حكمتها، ومدى طاقتها، وسبل استخدامها السوية، لتمضي ـ أو بالأحرى ليمضي بها ـ على صراط مستقيم، قصدَ الحصول على أخصب الثمرات عطاءً، وأحسنها جودةً، وأجداها نفعًا، وأجلبها لمرضاة الله، وحسن جزائه، ورفعة القدر لديه يوم يقوم الأشهاد.

وهناك في عالم الغيب تمتد «شهادة» الأُمة الوسط للأنبياء والمرسلين على النحو الذي ورد في الصحاح عن رسول الله ﷺ، مما نؤمن به دون جدال، رضًا وتسليمًا»(١).

الأستاذ محمد المبارك:

تميَّز الأستاذ محمد المبارك بالاعتدال والتوزان، فكان لا يقف طرفًا، إنه يحاول أن يقف الموقف الذي وصف الله به أمة الإسلام: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ [البقرة: ١٤٣]، إنه في المعارك التي يقف الناس فيها عادة، كل منهم في طرف يحارب الآخر، كمعارك الصوفية والسلفية، أو المذهبية واللامذهبية، أو غير ذلك؛ نجده يقف الموقف المعتدل الذي ينبع من روح الإسلام ومن فلسفة الإسلام، فلسفة الوسطية في الإسلام، وفلسفة التوازن في الإسلام.

فقد تكلَّم في كتابه «الفكر الإسلامي الحديث»، في فصل ضبط النِّسَب في نظام الإسلام فقال: «وإلى جانب خاصة الوحدة في نظام الإسلام، خاصَّةٌ أخرى لا تقل عنها شأنًا، وهي ضبط النِّسَب بين جوانب

(١) وسطية الإسلام وأمته في ضوء الفقه الحضاري، لعمر بهاء الدين الأميري صـ ٦٩، ٧٠، نشر دار الثقافة، قطر، ط ١، ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م.

QaradawiBooks.com

الحياة وقيمها، فالمال واللذة والعمل والعقل والمعرفة والقوة والعبادة والقرابة والقومية والإنسانية قيم من قيم الحياة، والإسلام جعل لكلٍّ منها موضعًا في نظام الحياة، ونسبة محدودة لا تتجاوزها حتى لا تطغى قيمة على قيمة، وإن من التشويه للإسلام تبديل هذه النسب، بحيث تزاد عن حدِّها، أو تنقص بالنسبة إلى غيرها...

فلو جعلنا الحياة مائة جزءٍ، لوجدْنا أن الإسلام خصَّ العبادة منها بأجزاء، وكذلك الإنفاق والكسب والجهاد والتمتُّع بالملذات المشروعة لكلٍّ منها نصيب محدود، ولو غَيَّرْنا هذه النسب فقَلَّلْنا قيمةَ الجهاد، وزِدْنَا في نصيب العبادة، وانتقصْنا من حظ المال كسبًا أو إنفاقًا، وغالَيْنا في الملذات أو ألغيناها، لخرجنا من ذلك بنظام يخالف في حقيقته وفي رُوحه نظامَ الإسلام، وأخلَلْنا بالتوازن الذي أقامه بين قيم الحياة وجوانبها»[(١)].

وأيضا من كلماته اللطيفة التي سمعتها منه مؤخرًا، أنه يقول عن جماعة الصوفيين وجماعة السلفيين: «إن منهجي هو تسليف الصوفيين، وتصويف السلفيين!». أيْ: إن هناك بعض السلفيين فيهم نوع من الجفاف الروحي، وهناك كثيرا من الصوفية ـ أيضا ـ فيهم من التخريف والبُعد عن العقائد الصحيحة، فلا بد من قدْرٍ مشترَك: لا بد من أن تُطعَّم الصوفية بالسلفية المعتدلة المستمدة من كتاب الله وسنة رسوله، ولا بد أن تُطعَّم السلفية بقدر من الروحانية المشرقة المعتدلة، وهكذا كان منهج شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم، فهؤلاء لم يكونوا مجرد أناس مجادلين في العقائد، بل كانوا ربانيِّين، أهل روحانية وإشراق، على هذا المنهج سار الأستاذ المبارك رحمه الله تعالى.

(١) الفكر الإسلامي الحديث في مواجهة الأفكار الغربية صـ ٦٥، نشر دار الفكر الإسلامي، بيروت، ط١، ١٣٨٧هـ ـ ١٩٦٨م.

QaradawiBooks.com

الدكتور محمد عمارة:

قال الدكتور محمد عمارة: «بينما حد الوسـطية الإسلامية، في هذه العقلانية، هو الموزانة بين العقل والنقـل، وجمع عناصر الحق والعدل منهما معًا، وذلك بالتأليف بين النقل الصحيـح والعقل الصريح، على النحو الذي يكون منهـاج النظر «بالعقلانية المؤمنـة»، التي تقرأ النقل بالعقل، وتحكم العقل بالنقل، نافية تناقـض النقل والعقل؛ لأن نقيض العقل ليس النقل، وإنما هو الجنون!

وإذا كانت الوسطية الجامعة ـ التي هي خصيصة إسلامية ـ قد جعلت المنهاج الإسلامي شاملًا للدين والدولة، والفرد والأمة، والفرائض الفردية والفرائض الاجتماعية، والتشـريع والتنفيذ، والمبـادئ المرجعية والنظم والمؤسسات والآليات. فإن مخاصمة «السياسة» وإهمالها هو لون من غلو التفريط في الاهتمام بأمور النـاس، وإقامة فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، كما أن اختزال الإسـلام في السياسـة والسـيف والقفز على الدولة، هو لونٌ من غلوِّ الإفـراط. بينما حدُّ الوسـطية الجامعة هو الذي يجعل المنهاج الإسلامي شـاملًا ـ في توازن يراعي الأوزان والأولويات ـ لكل مناحي الحيـاة، ولما بعد هذه الحيـاة: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ [الأنعام: ١٦٢، ١٦٣]. فالدين لله، وأيضًا الوطن الذي هو للجميع؛ هو والجميع لله سبحانه وتعالى»(١).

أحسب بعد هذه النقول كلها من القدماء والمحْدَثين والمعاصرين قد تبيَّن لنا معنى الوسطية التي نقصدها، والتي ندعو إليها.

---

(١) مقالات الغلو الديني واللاديني د. محمد عمارة صـ ٧ ـ ٩، نشـر مكتبة الشـروق الدولية، القاهرة، ط ١، ١٤٢٤هـ ـ ٢٠٠٤م.

QaradawiBooks.com

٢ ـ التصور الخاطئ الثاني وردُّه:

هناك من المسلمين مَن يلتبس عليهم مفهوم الوسطية، ولهذا يقفون منه موقف الرافض أو المتردد. ولو اتَّضح لهم المفهوم جيِّدا، وتجلَّت حقيقته بوضوح، ما تردَّدوا في قبوله، والإيمان به، والدعوة به.

ليس معنى الوسطية التساهل في الدين:

هناك بعض الإخوة يفهمون الوسطية على أنها التساهل في أحكام الشرع، أو التهاون في أمر الدين، وإفتاء الناس بالرخص أبدًا، وبالأخف دائما، ومجاراة الواقع المتطوِّر، ومجاملة غير المسلمين على حساب الإسلام، وليِّ أعناق النصوص، لكي تُخفِّف على الناس، إلى آخر ما يقال في هذا المجال. وقد أخذ بعضهم ذلك من قولي: إنَّ الوسطية تتبنَّى منهج التيسير أبدًا، وترفض منهج التشديد على الناس في عباداتهم، ومعاملاتهم، وشؤون حياتهم. ومقتضى هذا: أن نتساهل في بعض الأمور، ونغضَّ الطرف عن التهاون في بعض الأساسيات.

وأودُّ أن أبيِّن هنا: أن هذا ليس من الوسطية في شيء، بل هذا جنوح إلى جانب التقصير والتفريط، وليس التزاما بالوسط.

منهج التيسير الذي يلتزم به دعاة الوسطية:

ومنهج التيسير الذي يلتزم به دعاة الوسطية، ليسوا مخيَّرين فيه؛ لأنهم لم يبتدعوه من عند أنفسهم. بل هو منهج الله ورسوله الذي شرعه ودعا إليه في القرآن والسنة. وأما المنهج المضاد له، فهو مخالف لما جاء به الله ورسوله.

ولا يرتاب مسلم يقرأ القرآن في أنه شرع اليسر، ولم يشرع العسر، وشرع التخفيف، ولم يشرع التشديد. وحسبنا أن نقرأ في ذلك ما جاء في

QaradawiBooks.com

آية الطهارة بعد شرعية ورخصة التيمم بدلًا عن الماء: ﴿مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجۡعَلَ عَلَيۡكُم مِّنۡ حَرَجٖ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمۡ وَلِيُتِمَّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ﴾ [المائدة: ٦].

ونقرأ في شرعية الصلاة عند الاقتتال والتحام الصفوف: ﴿فَإِنۡ خِفۡتُمۡ فَرِجَالًا - أي راجلين مشاة - أَوۡ رُكۡبَانٗا﴾ [البقرة: ٢٣٩].

وفي صلاة الحرب خلف إمام واحد: ﴿وَإِذَا كُنتَ فِيهِمۡ فَأَقَمۡتَ لَهُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَلۡتَقُمۡ طَآئِفَةٞ مِّنۡهُم مَّعَكَ وَلۡيَأۡخُذُوٓاْ أَسۡلِحَتَهُمۡۖ فَإِذَا سَجَدُواْ فَلۡيَكُونُواْ مِن وَرَآئِكُمۡ وَلۡتَأۡتِ طَآئِفَةٌ أُخۡرَىٰ لَمۡ يُصَلُّواْ فَلۡيُصَلُّواْ مَعَكَ وَلۡيَأۡخُذُواْ حِذۡرَهُمۡ وَأَسۡلِحَتَهُمۡۗ وَدَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡ تَغۡفُلُونَ عَنۡ أَسۡلِحَتِكُمۡ وَأَمۡتِعَتِكُمۡ فَيَمِيلُونَ عَلَيۡكُم مَّيۡلَةٗ وَٰحِدَةٗۚ وَلَا جُنَاحَ عَلَيۡكُمۡ إِن كَانَ بِكُمۡ أَذٗى مِّن مَّطَرٍ أَوۡ كُنتُم مَّرۡضَىٰٓ أَن تَضَعُوٓاْ أَسۡلِحَتَكُمۡۖ وَخُذُواْ حِذۡرَكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٗا مُّهِينٗا﴾ [النساء: ١٠٢].

ونقرأ في آية الصيام: ﴿وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٖ فَعِدَّةٞ مِّنۡ أَيَّامٍ أُخَرَۗ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلۡيُسۡرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلۡعُسۡرَ﴾ [البقرة: ١٨٥].

ونقرأ في آيات المحرَّمات في النكاح: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمۡۚ وَخُلِقَ ٱلۡإِنسَٰنُ ضَعِيفٗا﴾ [النساء: ٢٨].

ونقرأ بعد مشروعية العفو في القصاص، قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ تَخۡفِيفٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَرَحۡمَةٞ﴾ [البقرة: ١٧٨].

ونقرأ في شأن الدين كله، قوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلدِّينِ مِنۡ حَرَجٖ﴾ [الحج: ٧٨]. وكلمة ﴿مِنۡ حَرَجٖ﴾، هنا نكرة في سياق النفي، فتعمُّ كلَّ حرج. فليس في دين الله حرج قط، في العبادات أو المعاملات، أو الجنايات أو السياسات.

QaradawiBooks.com

وكما يلتزم منهج الوسطية المنهج القرآني في التيسير: يلتزم المنهج النبوي الذي يقول: «**يسِّروا ولا تعسِّروا، بشِّروا ولا تنفِّروا**»(١).

وحين أرسل عليه الصلاة والسلام، أبا موسى الأشعري ومعاذ بن جبل إلى اليمن، أوصاهما بوصية جامعة قال فيها: «**يسِّـرا ولا تُعسِّـرا، وبشِّرا ولا تُنَفِّرا، وتطاوعا ولا تختلفا**»(٢).

وحين بال أعرابي في المسجد، وثار عليه الصحابة، أمر النبي ﷺ أن يعاملـوه برفق، ويعذروا نشـأته وبداوتـه، وأنه لم يتهـذَّب بعد بأدب الإسلام، فقال: «**لا ترزموه** ـ أي لا تقطعوا عليه بولته ـ **وصبُّوا عليه ذَنُوبًا من ماء، فإنما بُعثْتم ميسِّرين، ولم تُبعثوا معسِّرين**»(٣).

وشرع الرسـول الكريم من الرخص والتخفيفات ما لا يجهله مسلم، وقال: «**إن الله يحبُّ أن تؤتى رخصه، كما يكره أن تُؤتَى معصيته**»(٤)، وفي حديث آخر: «**إن الله يحبُّ أن تؤتى رخصه، كما يحبُّ أن تؤتى عزائمه**»(٥).

ولا سيما الرفق بالضعفاء، سـواء كان ضعفهم من قِبَل فَقْد الصحة، وهم المرضى، أو من جهـة فَقْد الأب، وهم اليتامـى، أو من جهة فَقِد المال، وهم المساكين، أو من جهة فقد الوطن، وهم أبناء السبيل، أو من جهة فقد الحرية، وهم الرقيق أو ما مَلَكت الأيْمان.

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري في العلم (٦٩)، ومسلم في الجهاد والسير (١٧٣٤)، عن أنس.

(٢) متفق عليه: رواه البخاري (٣٠٣٨)، ومسلم (١٧٣٣)، كلاهما في الجهاد والسير، عن أبي موسى.

(٣) رواه البخاري في الوضوء (٢٢٠)، عن أبي هريرة.

(٤) رواه أحمد (٥٨٦٦)، وقال مخرجـوه: صحيح. وابن خزيمة في الصـلاة (٩٥٠)، وصححه الألباني في إرواء الغليل (٥٦٤)، عن ابن عمر.

(٥) رواه ابن حبان في البر والإحسـان (٣٥٤)، وقال الأرناؤوط: إسـناده صحيـح. والطبراني (٣٢٣/١١)، عن ابن عباس. انظر كتابنا: المنتقى حديث (٥٦٣).

QaradawiBooks.com

وقد تقرَّر من القواعد الكلية الفقهية المتفق عليها: قاعدة «المشقة تجلب التيسير». تنبني عليها فروع وتفصيلات جزئية في سائر أبواب الفقه.

وقد أُلِّفت كتب، وقُدِّمت أطروحات علمية في الدراسات العليا في الجامعات العربية والإسلامية في إثبات اليسر ورفع الحرج في الشريعة.

تحديد المفهوم من التيسير المقصود هنا:

ولا بدَّ لنا من بيان المراد من «التيسير» الذي جاء به القرآن والسنة، ويتبنَّاه منهج الوسطية الذي ندعو إليه، حتى لا يُترَك هذا المفهوم غامضًا، تفسِّره كلُّ فئة، بل كلُّ فرد بما يحلو له. ويحسن بي أن أنقل هنا خلاصة مما كتبته حول هذا المعنى في كتابي «الصحوة الإسلامية من المراهقة إلى الرشد»، فقد ذكرتُ أن التيسير يعني جملة أمور:

أ ـ مراعاة جانب الرخص:

مراعاة جانب اليسر والرخص في الشريعة إلى جانب العزائم، فلكلٍّ أهله، ولا ينبغي أن نعامل الناس كلَّهم بمستوى واحد، ولا يُطالَب الضعفاء بما يطالب به الأقوياء، ولا حديثُ العهد بالإسلام أو التوبة، مثل العريق في الإسلام والالتزام به، فقد قَبِل الرسول ﷺ من بعض الأعراب الاكتفاءَ بالفرائض الأساسية وحدها، مع حَلِفه أنه لا يزيد عليها ولا ينقص، ومع هذا قال: «**أفلح إن صدق**» أو «**دخل الجنة إن صدق**»[1]. وقال في بعض الأحوال: «**مَن سرَّه أن ينظر إلى رجل من أهل الجنة فلينظر إلى هذا**»[2].

---

(١) رواه البخاري في الصوم (١٨٩١)، عن طلحة بن عبيد الله.

(٢) متفق عليه: رواه البخاري في الزكاة (١٣٩٧)، ومسلم في الإيمان (١٤)، عن أبي هريرة.

QaradawiBooks.com

وقال ﷺ: «**إن الله يحب أن تُؤتَى رُخصه كما يحبُّ أن تُؤتَى عزائمه**»(١).

وينبغي التذكير هنا بكلمة الإمام النووي في مقدمات «المجموع» عن الإمام الكبير سفيان بن سعيد الثوري، الذي انعقدت له الإمامة في الفقه، وفي الحديث، وفي الورع، فقد قال رضي الله عنه، وما أروع ما قال: إنما الفقه: الرخصة من الثقة، أما التشديد فيه: فيحسنه كل أحد(٢)!

ولا بد أن نلحظ قوله: الرخصة من ثقة. وهو مَن يُوثق بفقهه ودينه معا، أما مَن فقد الأمرين أو أحدهما، فهو يترخَّص فيما لا يجوز فيه، فيصادم القواطع والمُحكَمات من نصوص الشرع وقواعده، وهو ما لا يقبله مسلم حريص على دينه.

ب ـ تقديم الأيسر على الأحوط في زماننا:

وإذا كان التيسير مطلوبًا دائمًا، كما أمرنا رسول الله ﷺ، فهو ألزم ما يطلب في عصرنا هذا؛ نظرًا لرقَّة الدين في أنفس الكثيرين، وغلبة النزعات المادية، وتأثر المسلمين بغيرهم من الأمم، نتيجة لشدَّة الاتصال بين العالم بعضه ببعض، ولم يعد في استطاعة أحد أن يعيش في عزلة عن غيره، وأجهزة الإعلام تقتحم عليه داره، وتريه ما يجري في أقصى أطراف العالم، وخصوصا اليوم بعد ما عرف باسم «البث المباشر».

وهذا ما عبَّر عنه علماؤنا في العصور المتأخرة بـ«تغير الزمان»، أو «فساد الزمان»، وجعلوه سببًا من أسباب تغيُّر الفتوى، كما ذكر العلامة ابن عابدين وغيره.

---

(١) سبق تخريجه صـ١٥١.

(٢) رواه أبو نعيم في الحلية (٧٨٤/١)، وابن عبد البر في جامع بيان العلم (١٤٦٧)، وانظر: المجموع للنووي (٤٢/١).

QaradawiBooks.com

فقد قال ابن عابدين في رسالته «نشر العَرف في بناء بعض الأحكام على العرف»: «إن كثيرًا من الأحكام تختلف باختلاف الزمان: لتغيُّر عرف أهله، أو لحدوث ضرورة، أو لفساد أهل الزمان، بحيث لو بقي الحكم على ما كان عليه أولًا: للزم منه المشقة والضرر بالناس، ولخالف قواعد الشريعة المبنية على التخفيف والتيسير، ودفع الضرر والفساد»(١).

والمنهج الذي أراه ـ وهو منهجي الذي وفَّقني الله للالتزام به من قديم: في الفتوى والتأليف والتدريس ـ هو: التيسير في الفروع، والتشديد في الأصول. فإذا كانت هناك وجهتا نظر، أو قولان متكافئان أو متقاربان في قضية، أحدهما أحوط، والآخر أيسر، فينبغي أن نختار في الفتوى لجماهير الناس: الأيسر لا الأحوط.

والحُجَّة في هذا: ما قالته عائشة، رضي الله عنها: ما خُيِّر رسول الله ﷺ بين أمرين إلا أخذ أيسرهما، ما لم يكن إثمًا(٢).

وقوله ﷺ فيمَن أطال بالناس في الصلاة: «**أيُّها الناس، إن منكم منفِّرين، فأيُّكم أمَّ النَّاس فليوجز، فإنَّ فيهم الكبير، والضعيف، وذا الحاجة**»(٣). فأشار إلى ضرورة رعاية ظروف الناس، والتخفيف عنهم، وخصوصا الضعفاء منهم. ولهذا قيل في السفر: «سيروا بسير أضعفكم»(٤)؛ إذ لا يجوز أن يسرع الأقوياء، ويَدَعوا الضعفاء منقطعين عن الركب، ولا راعي لهم.

(١) انظر: رسائل ابن عابدين (١٢٥/٢)، نشر عالم الكتب.
(٢) متفق عليه: رواه البخاري في الأدب (٦١٢٦)، ومسلم الفضائل (٢٣٢٧)، عن عائشة.
(٣) متفق عليه: رواه البخاري الأذان (٧٠٢)، ومسلم الصلاة (٤٦٦)، عن أبي مسعود الأنصاري.
(٤) انظر: رسائل ابن عابدين (١٢٥/٢)، نشر عالم الكتب.

QaradawiBooks.com

والدارس المتعمق: يلاحظ أن فقه الصحابة والسلف كان يتَّجه غالبًا إلى الأيسر؛ وفقه من بعدهم كان يتَّجه غالبًا إلى الأحوط.

وللبخاري، عن جابر، أنه صلَّى في إزار وثيابه عنده، فقال له قائل: تصلِّي في إزار واحد؟ فقال: إنما صنعتُ ذلك ليراني أحمق مثلك! وأيُّنا كان له ثوبان على عهد رسول الله ﷺ[1]؟ يعني: أنه أراد أن يعلمه الرخصة في الصلاة في هذه الصورة التي يرفضها المتشدِّدون.

فالصحابة ـ فيما أُثر عنهم من فقه ـ نجدهم أكثر تيسيرًا على الخلق، والتابعون على نهجهم، وإن لم يبلغوا درجتهم، والأتباع على نهج التابعين، وإن لم يكونوا مثلهم؛ لأنهم بدؤوا يتَّجهون إلى التحوُّط، وكلُّ جيل أخذ يضيف بعض «الأحوطيات» إلى ما قبله.

وإذا كثرت «الأحوطيات» في الفقه المتصل بحياة الناس، فإن «مجموعها التراكمي»: سينتهي إلى شيء من الآصار والأغلال التي جاء النبي ﷺ بوضعها عن الأمة، فقد جاء في وصفه في كتب أهل الكتاب: ﴿وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾ [الأعراف: ١٥٧]، ومن الأدعية التي علَّمها الله للمسلمين وخُتمت بها سورة البقرة: ﴿رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا﴾ [البقرة: ٢٨٦].

ج ـ التضييق في الإيجاب والتحريم:

ومن التيسير المطلوب: التضييق والتحرِّي البالغ في تكليف الناس بالأحكام، وخصوصًا في مجال الفرض والتحريم، فلا يجوز: التوسع في ذلك بأدنى دليل، بل لا بدَّ من نصٍّ صحيح الثبوت، صريح الدلالة: على

(١) رواه البخاري في الصلاة (٣٥٢)، عن جابر بن عبد الله.

QaradawiBooks.com

فرضية الفرض، وحرمة الحرام، أو قياس واضح العلة على نصٍّ، فإنا نقطع: أن الشريعة العادلة لا تفرِّق بين متماثلين، كما لا تسوِّي بين مختلفين.

وقد كان السلف يتحرَّجون من التحريم ـ ومثله الفرضية ـ إلا أن يكون معهم دليل لا شبهة فيه، وإلا نزلوا من الفرض إلى الواجب، ومن الحرام إلى المكروه، وهذا هو مذهب الحنفية الصريح، ويقرب منهم المالكية، وهو المفهوم من عبارات الأئمة بصفة عامة.

ولهذا كثر في كلامهم مثل قول: يعجبني كذا وكذا. أو: أستحب كذا وكذا. ولا يصرح بالوجوب إلا ما عُلِم جزمًا بوجوبه.

وقولهم في جانب المنهيات: أكره كذا، ولا أحب كذا، ولا يعجبني كذا. ولا يصرحون بالتحريم، إلا ما عُلِم جزمًا بتحريمه.

ويدلُّ على هذا الاتجاه موقف الصحابة رضوان الله تعالى عليهم، من شرب الخمر، فقد ظلَّ بعضهم يشربها ويقول: اللهم بيِّن لنا في الخمر بيانًا شافيًا[1]. برغم نزول آية: ﴿قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ﴾ [البقرة: ٢١٩]، وآية: ﴿لَا تَقْرَبُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمْ سُكَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا۟ مَا تَقُولُونَ﴾ [النساء: ٤٣]، حتى نزلت الآية الثالثة وفيها البيان الشافي، الذي ارتقبوه: ﴿إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [المائدة: ٩٠].

ويبدو من التأمُّل في القرآن والسنة: أن الإسلام كان حريصًا على تقليل التكاليف، وتوسيع «منطقة العفو»، رحمة بالمكلَّفين غير نسيان.

---

(١) رواه أحمد (٣٧٦)، وقال مخرجوه: إسناده صحيح. وأبو داود في الأشربة (٣٦٧٠)، والترمذي في التفسير (٣٠٤٩)، وقال: وقد روي عن إسرائيل هذا الحديث مرسلا. ورجح المرسل. والنسائي في الأشربة (٥٥٤٠)، عن عمر بن الخطاب.

QaradawiBooks.com

ففي القرآن الكريم جاء قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَسۡـَٔلُواْ عَنۡ أَشۡيَآءَ إِن تُبۡدَ لَكُمۡ تَسُؤۡكُمۡ وَإِن تَسۡـَٔلُواْ عَنۡهَا حِينَ يُنَزَّلُ ٱلۡقُرۡءَانُ تُبۡدَ لَكُمۡ عَفَا ٱللَّهُ عَنۡهَاۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٞ ﴾ [المائدة: ١٠١]. وقد توسَّع في شرحها والتعليق عليها العلامة رشيد رضا رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وجعلها أساس كتابه «يسر الإسلام».

د ـ التيسير فيما تعم به البلوى:

ومن أهم ما ينبغي التيسير فيه: ما تعم به البلوى من أمور العبادات والمعاملات. فإن ما عمَّت به البلوى يدلُّ كثرة وقوعه والابتلاء به على شدَّة حاجة الناس. وهذا يقتضي أن ييسِّر عليهم فيه، فإن الشرع قد جاء ليحقِّق لهم مصالحهم ويدرأ المفاسد عنهم بقدر الإمكان.

أ ـ فإذا كان هناك بعض المذاهب: شدَّد في شؤون الطهارة مثلًا، كمذهب الإمام الشافعي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، فليس هناك موجب لإلزام الناس به، لما قد يترتَّب عليه من الحرج عند جماهير المسلمين، وخصوصًا في الريف والقرى.

فلا غرو أن يتَّجه الفقيه إلى مذهب مالك ومَن وافقه: في القول بأن كلَّ ما يُؤكل لحمه فبوله وروثه طاهر[١]، وأن الماء لا ينجس إلا بالتغيُّر[٢]. وهذا ما رجَّحه وأفتى به شيخ الإسلام ابن تيمية، وعضَّده بالأدلة. وهو ما نُعلِّمه ونفتي به الناس[٣].

وقد قال الإمام الغزالي، في كتاب «الطهارة» من «الإحياء» عن الشافعي: «كنتُ أود أن يكون مذهبه في المياه كمذهب مالك»[٤].

(١) المدونة (١/١٢٨)، نشر دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٤م.

(٢) مواهب الجليل للحطاب الرُّعيني (١/٧٢)، نشر دار الفكر، ط ٣، ١٤١٢هـ ـ ١٩٩٢م.

(٣) الفتاوى الكبرى لابن تيمية (١/٤٢٢ ـ ٤٢٧)، نشر دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٧م.

(٤) إحياء علوم الدين (١/١٢٩).

QaradawiBooks.com

وساق سبعة أوجه لتأييد مالك، هذا وهو شافعي المذهب، رضي الله عن الجميع.

بل نجد الإمام الشوكاني في «السيل الجرار» ضيَّق في «النجاسات» إلى أبعد حدٍّ، وهذا هو الأليق بالتيسير[١].

ومثل ذلك، ما قاله الغزالي عن البيع بالمعاطاة[٢]. أي بغير لفظ الإيجاب والقبول، وهو ما يجري عليه عمل المسلمين في كلِّ مكان، وفي سائر العصور وقول الشافعي فيه شديد، والبلوى به عامة.

فعلى الفقيه: أن يعمل على تصحيح معاملات المسلمين من داخل الفقه ومصادر الشريعة وقواعدها ما وجد إلى ذلك سبيلًا. وهذا ما يلمسه الدارس لدى كثير من علماء الفقه في المذاهب المختلفة، ولا سيما في الأعصر الأخيرة، فهم يحاولون أن يلتمسوا مخرجًا لتصحيح التعامل، إما بتكييفه تكييفًا يجعل له مستندًا من الشرع، أو بحيلة فقهية، أو باللجوء إلى قول مهجور أو ضعيف في المذهب، أو بإجازة تقليد مذهب آخر.

وكثيرًا ما يكون الضيق والحرج: ناشئًا من التقيُّد بمذهب معين، ولو تحرَّروا منه إلى باحة المذاهب الأخرى المتبوعة وغير المتبوعة، وأقوال الصحابة والسلف، وإلى النصوص والقواعد العامة: لوجدوا في باحتها الفسيحة ما يخرجهم من الضيق إلى السعة، ومن العسر إلى اليسر.

ومن الكلمات التي لها دلالتها: ما أُثر عن السابقين ـ في ترجيح العمل ببعض الأقوال ـ قولهم: هذا أرفق بالناس.

---

(١) السيل الجرار صـ ٢٣ ـ ٣٦، نشر دار ابن حزم، ط١.

(٢) إحياء علوم الدين (١٢٦/٢).

QaradawiBooks.com

ب ـ ومن جوانب التيسير فيما تعمّ به البلوى: الإشارة إلى الرأي المخالف الذي لم يأخذ به العالم في درسه إذا درَّس، أو المؤلف في كتابه إذا كتب، ولو في الحاشية، وإن كان في نظره ضعيفًا، فقد يكون قويًّا في نظر غيره، ويتعيَّن هذا إذا اختار هو القول الأحوط، أو الأشد، فيلزم الإشارة إلى الرأي الأيسر.

ومن فوائد هذا: التعريف بأن المسألة فيها أكثر من رأي أو وجهة نظر، فالمختلَف فيه غير المُجمَع عليه، وذِكر هذا في هذا المقام خاصة من الأمانة العلمية.

ومن ناحية ثانية، فالأمور الاجتهادية القابلة لتعدُّد الأنظار، واختلاف الاجتهادات، لا يجوز أن يعتبر مَن أخذ بوجهة منها مرتكبًا لإثم يُنكَر على صاحبه، ولهذا قالوا: لا إنكار في المسائل الاجتهادية.

وأمر ثالث، وهو الإبقاء على الضمير الديني، عند مَن يعملون على خلاف الرأي الأحوط أو الأشد أو المشهور، وهو ما لاحظه الأستاذ الأكبر، شيخ الأزهر الأسبق، الشيخ محمد مصطفى المراغي رَحِمَهُ اللَّهُ، حين تبنَّى أقوال الإمام ابن تيمية وبعض السلف في قضايا الطلاق وغيرها من الأحوال الشخصية، فإن الناس يحلفون بالطلاق كلَّ يوم، وخصوصًا الباعة والعامة، ويحنثون، ويظنون أن طلاقهم واقع، وأنهم يعيشون مع نسائهم في حرام، وأن ذريتهم منهن أولاد حرام، ومثل هذا الاعتقاد يفسد ضمائرهم الدينية، ويجرِّئهم على الحرام الصِرْف المقطوع به. فلماذا لا نفتيهم بالمذهب المُيسِّر عليهم، وبذلك نُبقي عليهم ضمائرهم واعتقادهم أنهم لم يخرجوا عن دائرة الإسلام؟

QaradawiBooks.com

ومثله ما يقال فيمن يفتي بتحريم حلق اللحية، تحريمًا قاطعًا، بل يحرِّم أخذ أي شيء منها، وجماهير المسلمين تفعل ذلك، في المشارق والمغارب.

وكذلك مَن يفتي: بتحريم إطالة الثوب إلى أسفل من الكعبين، واعتبار فاعله في النار، وجماهير الأمة الإسلامية واقعة في ذلك، كما هو مشاهد.

فإذا افترضنا أن الفقيه اختار الرأي الأثقل، فينبغي في رأيي أن يشير إلى الرأي الآخر. ولا يحمل الناس على رأي واحد. فتكون فتنة، كما قال الإمام مالك رضي الله عنه، معللًا رفضه: حملَ الناس على «الموطأ»(١).

ولا يعني التيسير فيما تعمُّ به البلوى: أن نُحلَّ المحرَّمات المقطوع بها، مثل الربا، أو الخمر، أو المخدرات، ونحوها، مما جاءت به نصوص محكمات، لا يجوز إهمالها أو التلاعب بها، اتباعًا لأهواء الناس. فقد قال تعالى: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۞ إِنَّهُمْ لَن يُغْنُوا عَنكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا ۚ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ۖ وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ﴾ [الجاثية: ١٨، ١٩].

هـ ـ مراعاة قواعد الشرع الميسرة:

ومما يدخل في معنى التيسير: الرجوع إلى القواعد الشرعية، التي أصَّلها الفقهاء من جميع المذاهب، وكلها تعين على قبول التيسير، والاستغناء عن الإعنات والتعسير.

ومن هذه القواعد:

أ ـ الضرورات تُبيح المحظورات. ويُتمِّمها: ما أُبيح للضرورة يقدَّر بقدرها.

ب ـ الحاجة قد تنزل منزلة الضرورة.

---

(١) رواه ابن عبد البر في جامع بيان العلم (٨٧٠).

QaradawiBooks.com

جـ ـ ما حرم لذاته: لا يباح إلا للضرورة، وما حرم لسدِّ الذريعة يباح للحاجة.

د ـ المشقَّة تجلب التيسير.

هـ ـ إذا ضاق الأمر اتَّسع.

و ـ يُرتكَب أخف الضررين وأهون الشرَّين.

ز ـ يترك أدنى المصلحتين لتحصيل أعلاهما.

ح ـ لا ضرر ولا ضرار.

ط ـ حقوق الله مبنية على المسامحة، وحقوق العباد مبينة على المشاحَّة.

ي ـ والفتوى تتغيَّر بتغير الزمان، والمكان، والعرف، والحال.

ك ـ التكليف بحسب الوسع.

ل ـ الحرج مرفوع.

وكلُّ قاعدة من هذه القواعد، تتفرَّع عنها فروع وأحكام، وكلُّ هذه القواعد مدلَّل عليها من الكتاب والسنة، وهدي الصحابة رضي الله عنهم.

٣ ـ التصور الخاطئ الثالث وردُّه:

التشديد في بعض المواقف لا ينافي الوسطية:

ومن التصورات الخاطئة التي تلتبس على كثيرين: ما أثاره بعض تلاميذي، في «ملتقى القرضاوي» الذي عقد بالدوحة منذ سنتين[1]، حين قال: إن العالم المسلم، أو المسلم الملتزم يحتاج أن يخرج من الوسطية إلى التشديد حين يقتضي الموقف ذلك.

---

(١) عقد في تاريخ ٢٩ جمادى الآخرة ١٤٢٨هـ الموافق ١٤ يوليو ٢٠٠٧م، والمعترض هو الأخ أكرم كساب.

QaradawiBooks.com

وقد قال هذا الأخ لي: نحن نراك تترك الوسطية أحيانا، فتشدِّد في بعض الأمور، غاية التشدُّد، وتتصلَّب غاية التصلّب، كما رأيناك في موقفك ضد فتوى بعضهم بإباحة فوائد البنوك، وكذلك في الوقوف ضد الصلح مع إسرائيل، وفي إجازة العمليات الاستشهادية ضد العدوّ الصهيوني، ونحن نؤيد موقفك هذا، ونراه يمثِّل الموقف الإسلامي الشرعي الصحيح، ولكننا نراه بعيدا عن الوسطية التي تدعو إليها.

وكان تعليقي على هذا الكلام: أنَّ مسلكي هذا هو عين الوسطية، فليس معنى الوسطية أن تأخذ دائما موقف السماحة أو التيسير، بل الوسطية الحقَّة: أن تُشدِّد حيث ينبغي التشديد، وتُيسّر حيث ينبغي التيسير، وأن تأخذ باللين والرفق مع مَن يستحقُّ ذلك، وتأخذ بالغلظة والعنف مع مَن يستحقُّها.

كما قال تعالى للنبي ﷺ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلۡكُفَّارَ وَٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱغۡلُظۡ عَلَيۡهِمۡ﴾ [التوبة: ٧٣، التحريم: ٩]، وقال في علاقته بالصحابة: ﴿فَبِمَا رَحۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمۡۖ وَلَوۡ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلۡقَلۡبِ لَٱنفَضُّواْ مِنۡ حَوۡلِكَ﴾ [آل عمران: ١٥٩]. وقد وصف القرآن الصحابة بقوله: ﴿أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡ﴾ [الفتح: ٢٩]. ووصف الله الجيل الذي ادَّخره لنصرة الإسلام حين يرتدُّ المرتدُّون، فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرۡتَدَّ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَسَوۡفَ يَأۡتِي ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ [المائدة: ٥٤]. فللعزة والشدَّة موضعها، وللِّين والرحمة أو الذلَّة موضعها.

فالمنهج الوسطي يقتضيك أن تضع اللين في موضعه، والشدَّة في موضعها، ومَن فعل غير ذلك تعرَّض للذم، كما قال أبو الطيب:

ووضع النّدى في موضع السيف بالعلا   مضرّ، كوضع السيف في موضع الندى![1]

---

(١) ديوان المتنبي صـ٣٧٢.

QaradawiBooks.com

الخروج مؤقتًا عن الوسط لضرورة حاكمة:

على أننا إذا تساهلنا في تسمية مثل هذه المواقف «خروجا عن الوسطية»، فهذا لا يقدح في اتخاذ الوسطية منهجًا. إذ يجوز الخروج المؤقَّت عن الوسطية لعلَّة تزول بزوالها، بناءً على أن الفقيه أو الداعية أو المربِّي أو المفكِّر الوسطي، قد تدفعه الضرورة أو الحاجة في بعض الأحيان أو بعض المواقف إلى الخروج عن الحدِّ الوسط مؤقتًا، لمواجهة ظرف طارئ، أو حدث كبير، أو لعلاج انحراف من الانحرافات واقع أو متوقَّع، أو للوقاية منه. وللضرورات حكمها، وقد تنزل الحاجة منزلة الضرورة، ولا سيما إذا كانت عامة. ولكن ما رخِّص به من أجل الضرورة يجب أن يقدَّر بقدرها، ولا يتوسَّع فيه، حتى لا يصبح النزول على حكم الضرورة قاعدةً أو أصلًا يقاس عليه، بل هذا استثناء يُحفَظ ولا يُقاس عليه.

الخروج عن سنن الوسط مقدور بقدره:

ويسُرني أن أنقل هنا من كتاب أخينا الشاب النابه د. نوَّار بن الشلِّي «فقه التوسط» هذه الفقرة التي توضِّح هذا المعنى الذي نبَّهت عليه. قال تحت عنوان: «الخروج عن سنن الوسط مقدور بقدره»: «نعني بهذه القاعدة أن تخلُّف الوسطية في بعض الأحكام أو الحالات، لسبب يقتضي ذلك، ينبغي أن يقدَّر بقدره، وأن يكون من قبيل الاضطرار الذي يستباح فيه الممنوع، حتى إذا ما زال العذر وانقضى سببه، وجب أن يزول ما ترتَّب عليه، وحينئذ لزم العوْد إلى الاعتدال والتوسط. فقد جعل الله هذه الأمة «أمة الوسط»، وأمرها بالاستقامة على الشريعة، وملازمة الصراط المستقيم: ﴿وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

QaradawiBooks.com

وقد اقتضت حكمة الله أن تكون أحكام هذه الشريعة عالمية موجَّهة إلى الناس كافة، وهذا ما اقتضى أن تكون الأحكام الواردة فيها محقِّقة لهذه الأسس والسمات، ليتم انطباق الكليَّة على أجزائها، وتتَّحد الأفراد المتجانسة؛ ليصاغ منها الكليّ المراد. وإن تحقيق هذه الأوصاف: عالمية التشريع، والاستقامة على الشريعة ـ لتحقيق أمة الوسط ـ هو ما يستدعي الاطِّراد في الأحكام، والتتابع فيها، والاستمرار في العمل بها، والاحتكام إليها، من غير زيادة أو نقصان، وقد ظهر هذا المعنى جليًّا حين أراد بعض الصحابة أن تُسْتثنَى المرأة المخزومية التي سرقت من أن يُطبَّق عليها الحدُّ، فغضب لذلك رسول الله ﷺ غضبًا شديدًا، مبيِّنا لهم أن لا فرق بين الشريف والوضيع في امتثال الحكم الشرعي[1]، وهو ما يعني لزوم اطِّراد الحكم وثبوته؛ لعدم وجود علَّة توجب تغييره.

وأمَّا كون الحكم بالتوسط جاريًا على الغالب، بأن يتخلَّف عنصر الاطِّراد فيه منطبقا على أغلب أفراده لا على كلِّها، فهو راجع إلى طبيعة التشريع ذاته، وطبيعة الفقه الذي بُني عليه، كما هو مُقَرَّر عند عامة فقهاء الإسلام، فقد حصل الإجماع منهم مثلا على «العمل بخبر الواحد، وهو في بعض الحالات على الأقل، إنما يفيد الصحة والصدق على الغالب، وأجمعوا على العمل بالترجيح، والترجيح إنما هو الأخذ بالغالب من المتعارضين، وأجمعوا على صحة الاجتهاد الظني، وهو قائم على أن المجتهد يقول بما غلب عليه

(١) إشارة إلى حديث عائشة: «يا أيها الناس، إنما ضلَّ من قبلكم، أنهم كانوا إذا سرق الشريف تركوه، وإذا سرق الضعيف فيهم أقاموا عليه الحد». متفق عليه: رواه البخاري (٦٧٨٨)، ومسلم (١٦٨٨)، كلاهما في الحدود.

QaradawiBooks.com

ظنِّه، بـل إن الاجتهاد لا يكون إلا في مجـال الظنون، قصد اختيار أغلبها»[١].

وقد صاغ الفقهاء هذا المعنى بما يعني أنه من المسلَّمات والبدهيَّات عندهم فقالوا: «الغالـب كالمحقَّق»، كما قالوا: «العبرة للغالب الشـائع لا للنادر». فـإذا كان الحكم مطَّردا أو غالبا، فالـذي يليق به حينئذ، بل يتعيَّن الأخذ به - لما تقدَّم من الشـواهد والأدلَّة - إنما هو الوسيط بين طرفي الإفراط والتفريط. وهذا هـو المعنى الذي يتبادر إلى الذهن حين يوصف الإسـلام بأنه دين الوسـطية والاعتدال. إذ قد تقرَّر عند العقلاء قاطبة تخلُّف القاعدة في بعض جزئياتها، وأن ذلك لا يسلب عنها صفة القاعدة، وكان الاسـتثناء من الحكم العام واردًا في كلِّ الشّـرائع، حتى قيـل: من القواعـد عدم اطِّـراد القواعـد، والشـاذ يُحْفـظ ولا يُقاس عليه»[٢] اهـ.

على أني أودُّ أن أُقرِّر هنـا أمرًا مهمًّا، وهو أن الداعية الوسـطي أو المفكر الوسـطي لا يضرُّه أن يخرج عن الوسطية في بعض الأحيان إلى اليمين أو إلى اليسار، على معنى أن يغلو حينا أو يقترب من الغُلاة، أو يفرِّط حينا أو يقترب من المفرِّطين، فما هو إلا بشـر غير معصوم، تؤثِّر فيه المؤثِّرات المختلفة، عن يمينه وعن شماله، ومن بين يديه ومن خلفه. المهم هـو الاتجاه العـام، والأغلب على علمه وفكـره، وللأكثر حكم الكل، والنادر لا حكم له.

(١) نظرية التقريب والتغليب وتطبيقاتها في العلوم الإسلامية د. أحمد الريسوني صـ ١٧١، نشر مطبعة مصعب، مكناس، ط ١، ١٩٩٤م.

(٢) فقه التوسط د. نوار الشلي صـ ٥٥، كتاب الأمة، العدد (١٢٩)، المحرم ١٤٣٠هـ.

QaradawiBooks.com

٤ ـ التصور الخاطئ الرابع ورده:

الرضا بالدون وبالحد الأدنى:

ومن التصوُّرات الخاطئة أو المفاهيم المردودة هنا: توهُّم بعض الناس: أن الوسطية تعني في بعض الأحيان: التنازل عن جانب السموِّ والترقِّي، والرضا بجانب التنزُّل إلى الأدنى والأسفل، على نحو ما يقال: نصف نصف، أو القبول لأنصاف الحلول، أو اللقاء في منتصف الطريق. ويسمِّي بعض الناس هذا الاتجاه في سلوك التدني «واقعية» أو «عملية»، كما يسمَّى الاتجاه الآخر «مثالية» أو «خيالية» أو نظرية.

فإن كان هذا هو «الوسط» عند بعض الناس، من أصحاب الهمم المنحطَّة، والعزائم الواهية، فهذا وسطهم هم، وليس وسطنا أو وسطيتنا، التي ندعو إليها، ويدعو إليها الإسلام. وهذا وسط أشبه بـ «النَّصَف» الذي قاله الشاعر فيمن يخطب امرأة ويسأل الناس عنها، فيقولون له: إنها «نَصَف»! فيقول الشاعر هنا:

إذا خطبتَ قالوا: إنها نَصَف فإن أحسن نصفيها الذي ذهبا![1]

وهذا بعيد جدا عن نظريتنا في «الوسطية» الملازمة لـ «الخيرية». فمن المتفق عليه بين مختلف العلماء والمحقِّقين في أصناف العلوم الإسلامية، من أصول وفروع، ومن معارف شرعية ولغوية، ومن عقلية ونقلية: أن خير الأمور أوساطها. وبعضهم اعتبر هذه الجملة حديثًا نبويًّا،

(١) انظر: محاضرات الأدباء للراغب الأصفهاني (٢/٢٢٣)، نشر دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت، ط١، ١٤٢٠هـ. والنَّصَفُ: الكَهْل كأنه بَلَغَ نِصف عُمُره، والأُنثى نَصَفٌ ونَصَفَة. لسان العرب مادة (ن. ص. ف).

QaradawiBooks.com

ولكن لفظها لم يصح، إنما صحَّ معناها ومفهومها، واستفاض بمحكمات النصوص في القرآن والسنة.

إن القرآن ـ وهو مصدرنا الأول للتشريع والتوجيه ـ يدعونا أبدًا أن نرنو ونتطلع إلى «الأحسن» لا إلى مجرد «الحسن»، كما قال تعالى: ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [هود: ٧]، [الملك: ٢]. وقال تعالى: ﴿وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم﴾ [الزمر: ٥٥].

كما مدح الله تعالى أولي الألباب من عباده الذين هداهم ورضي عنهم، فقال: ﴿الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَٰئِكَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [الزمر: ١٨]. كما علَّم القرآن المسلم أن يتُوق دائمًا إلى ﴿الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾، في جدال المخالفين، وفي دفع السيئة، وفي قربان مال اليتيم.

فهذا هو القرآن. وأما السنة، فهي على نفس النهج، فيقول الرسول الكريم: «**إذا سألتم الله فاسألوه الفردوس، فإنه أوسط الجنة وأعلى الجنة، وفوقه عرش الرحمٰن**»[1].

فالرضا بالدون، وبالحدِّ الأدنى باستمرار، ليس من شأن المؤمن الذي يحبُّ معالي الأمور، ويكره سفسافها.

* * *

(١) رواه البخاري في الجهاد والسير (٢٧٩٠)، عن أبي هريرة.

نسخة مجانية
غير مرخصة للطباعة
QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

الفصل الخامس

وسائل توجيه الأمة إلى الوسطية

(الدعوة والتربية والإفتاء)

ومن المهم بل من الضروري: أن توجَّه الأمة إلى منهج الوسطية ـ بعيدًا عن الغُلوِّ والتقصير أو الإفراط والتفريط، أو الطغيان والإخسار ـ في كلِّ مجالات التوجيه والإرشاد والتبصير والبيان. وهي مجالات أو ميادين أساسية ثلاثة. هي: ميدان الدعوة والإرشاد، وميدان التربية والتعليم، وميدان الإفتاء والأحكام.

أولًا: الوسطية في ميدان الدعوة والإرشاد:

ففي ميدان الدعوة والإرشاد ـ ومنه الإعلام والتثقيف ـ يجب على الداعية المسلم البصير: أن يأخذ الناس بالمنهج الوسط دائما في كلِّ شيء.

بين العقل والنقل:

ومن ذلك: المنهج الوسط بين النقل والعقل، فلا يصادَم أحدهما بالآخر، فإن النقل (أي الوحي) لم يثبت لدينا إلا بالعقل، ولولا العقل ما ثبت الوحي. فإن دلالة المعجزة على صدق الرسول دلالة عقلية. على أن ثبوت الرسالة فرع عن ثبوت المرسِل، وهو الله تعالى. فالعقل أثبت

QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

لنا الحقيقتين الكبيرتين، أي: وجـود الله وثبوت النبوة، أي: أثبتهما أمام مَن ينكرهما، فلا تستطيع أن تقنعه بقولك: قال الله، وقال الرسول. إذ هو لا يؤمن بهما.

والإسـلام يغالي بقيمة العقل والفكر، ويعتبـر التفكُّر والنظر عبادة وفريضة. وتعطيلهما خطيئة وجريمة، وينـادي المخالفين: ﴿قُلۡ هَاتُواْ بُرۡهَٰنَكُمۡ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ﴾ [البقرة: ١١١، النمل: ٦٤]. ويرفض بشـدة التقليد الأعمى للآباء والأجداد، وللسـادة والكبـراء، ويقول في ذلك: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ بَلۡ نَتَّبِعُ مَآ أَلۡفَيۡنَا عَلَيۡهِ ءَابَآءَنَآۚ أَوَلَوۡ كَانَ ءَابَآؤُهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ شَيۡـٔٗا وَلَا يَهۡتَدُونَ﴾ [البقرة: ١٧٠].

والعقل هو أداة فَهم ما أوحى الله به من القرآن ومن السنة، وهو أداة تحصيل العلم النافع من الفقه في الديـن، والعلم بالدنيا. وبذلك يكون من ﴿أُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾، الذين يفهمون آيات الله في كونه، وفي كتابه.

والعقل هو وسـيلتنا في فَهم قوانين الكون، واكتشـاف ظواهره، وتسخيرها في خدمة الإنسان. على أن العقل الذي أثبت الوحي يجب أن يعترف بأن عليه بعد إثباتـه أن يخضع لمنطقه، ويصدِّق بأخباره، ويُذعن لأوامـره ونواهيه، فهنا يعزل العقل نفسـه مختارا ليتلقَّى من الوحي الذي ثبتت حقيَّته بطريقة عقلية قطعية لا مجال فيها لريْب أو التباس.

وبهـذا يتوافق العقل الصريـح مع النقل الصحيـح، ويتعاون وحي الرحمٰن، وعقل الإنسـان ـ وكلاهما من فضل الله تعالـى ونعمه ـ على الرقي بالإنسـان، والعمل على صـلاح أمره، أفـرادا وجماعات، روحا ومادة، دنيا وآخرة، فكلٌّ منهما للآخر ﴿نُّورٌ عَلَىٰ نُورٖ﴾ [النور: ٣٥].

نسخة إلكترونية

QaradawiBooks.com

بين المثالية والواقعية:

كما أن على الداعية البصير أن يأخذ الناس بالمنهج الوسط بين المثالية والواقعية، فلا يُعيش الناس في المثاليات المُجنِّحة، التي تُحلِّق بأجنحة الخيال، بعيدًا عن واقع الناس، وضروراتهم البشرية، ويتعامل مع الناس كأنهم ملائكة أولو أجنحة مثنى وثلاث ورباع، لا على أنهم بشر يأكلون الطعام ويمشون في الأسواق. لهم غرائزهم وشهواتهم، كما لهم عقولهم وبصائرهم، لهم أهواؤهم وشياطينهم، كما لهم ملائكتهم وملهموهم الخير. فالإنسان طين وروح، وإنسان وحيوان وملاك وشيطان. فعلينا أن نُنمِّي ما فيه من خير، ونُقلِّم أظافر ما فيه من شرٍّ. علينا أن نناصر المَلَك الذي فيه، ونحارب الشيطان الذي بداخله. إذا فعل خيرًا حمدنا الله عليه، وشجَّعناه على المزيد، ولا نغرُّه فيطغى، وإذا اقترف شرًّا، حَثَثْناه على التوبة، وإذا تباطأ عن التوبة لم نَقْنَط منه، ولم نُغلق الباب في وجهه. وعلينا أن نحوطه بالجلساء الصالحين، والأصدقاء الناصحين، ونبعده عن أصدقاء السوء وخلطاء السوء، الذين يسوقون إلى الشرِّ في الدنيا، وإلى النار في الآخرة، وأن ندقَّ على أوتار الخير في قلبه، ونظل نذكِّره ونذكِّره، فإن الذكرى تنفع المؤمنين، راضين منه بالقليل وأقل القليل أولا، ثم نترقَّى به بعد ذلك، حتى يُنقل من الظالم لنفسه، إلى المقتصد، ثم إلى السابق بالخيرات بإذن الله.

بين الرجاء والخوف:

ثم على الداعية البصير، والمرشد الحكيم: أن يأخذ المدعوِّين بالمنهج الوسط بين الرغَب والرهَب، أو بين الرجاء والخوف. فلا يبالغ في الترهيب والتخويف من عقاب الله، أو عذاب النار، وعذاب القبر،

QaradawiBooks.com

حتى يُيئِّس الناس مـــن رَوح الله، ولا يغلو فـــي الحديث عن الرجاء في رحمة الله ومغفرتـــه وعفوه، حتى يؤمِّـــن الناس من مكـــر الله. كما قال علي ﵁: ألا أنبِّئكم بالفقيـــه كل الفقيه؟ من لم يُقَنِّط عباد الله من رَوح الله، ولم يؤمّنهم من مكره[١].

ولقد شكا إليَّ بعض الآباء أن ابنته ـ وهي طالبة ـ تقوم من الليل فزعة مذعورة، بسبب أنها استمعت إلى شريط يتحدَّث عن عذاب القبر، وما فيه من حيَّات كالأفيال، وعقارب كالبغال، على طريقة بعض الوعاظ المبالغين في التخويف! وهذا ما ننكره ولا نرضاه، ولا يتقبَّله المنهج الوسطي الذي نؤمن به، والذي يدعو إلى التبشير لا التنفير، «**بشِّروا ولا تنفِّروا**»[٢].

وهذا هو المنهج القرآني في الترغيب والترهيب، فهو يذكر الوعد مع الوعيد، والجنة مع النـــار، وموجبات الرجاء مع موجبات الخوف، يقدِّم أحدها على الآخر بحسب السياق.

انظر قولـــه تعالـــى: ﴿ٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ وَأَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ [المائدة: ٩٨]، وقوله تعالى: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغۡفِرَةٖ لِّلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلۡمِهِمۡۖ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ﴾ [الرعد: ٦]، وقوله تعالى: ﴿نَبِّئۡ عِبَادِيٓ أَنِّيٓ أَنَا ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ ٱلۡعَذَابُ ٱلۡأَلِيمُ﴾ [الحجر: ٤٩، ٥٠]، وقوله تعالى: ﴿غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوۡبِ شَدِيدِ ٱلۡعِقَابِ ذِي ٱلطَّوۡلِۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ إِلَيۡهِ ٱلۡمَصِيرُ﴾ [غافر: ٣]، وقوله تعالى: ﴿وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٞ شَدِيدٞ وَمَغۡفِرَةٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٞ﴾ [الحديد: ٢٠].

وبهذا يتوازن في نفس المؤمن: الرجاء فـــي رحمة الله، والخوف من عذاب الله، كما وصف بعض عباده الصالحين، فقال: ﴿أَمَّنۡ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ

(١) سبق تخريجه صـ٨٨.
(٢) سبق تخريجه صـ١٥١.

QaradawiBooks.com

ٱلَّيۡلِ سَاجِدٗا وَقَآئِمٗا يَحۡذَرُ ٱلۡأٓخِرَةَ وَيَرۡجُواْ رَحۡمَةَ رَبِّهِۦ﴾ [الزمر: ٩]، وقال: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ أَيُّهُمۡ أَقۡرَبُ وَيَرۡجُونَ رَحۡمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحۡذُورٗا﴾ [الإسراء: ٥٧]، وقال تعالى: ﴿فَلَا يَأۡمَنُ مَكۡرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ﴾ [الأعراف: ٩٩]، كما قال: ﴿إِنَّهُۥ لَا يَاْيۡـَٔسُ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾ [يوسف: ٨٧].

وأمر رسوله أن ينادي عباده العاصين له، المسرفين على أنفسهم بالذنوب والخطايا، فقال لرسوله: ﴿قُلۡ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ لَا تَقۡنَطُواْ مِن رَّحۡمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الزمر: ٥٣]. فلم يحرمهم من شرف عبوديته والانتساب إليه رغم إسرافهم على أنفسهم بذنوبهم.

وهذا ما يجب أن يتيقَّظ له الداعية، ويعطي كلَّ قوم ما يحتاجون إليه من الترجية والتخويف، بالقدر الذي يصلحهم، ولا يسرف فيه، فتضيع النتيجة.

أصلح الأمور الاعتدال:

وهذا ما نبَّه إليه الإمام الداعية الوسطي المصلح أبو الفرج بن الجوزي «ت ٥٩٧هـ» رحمه الله، فقال في أحد خواطره: «اعلم أن أصلح الأمور الاعتدال في كلِّ شيء، وإذا رأينا أرباب الدنيا قد غلبت آمالهم، وفسدت في الخير أعمالهم، أمرناهم بذكر الموت والقبور والآخرة، فأما إذا كان العالم لا يغيب عن ذكره الموت، وأحاديث الآخرة تقرأ عليه، وتجري على لسانه، فتذكره الموت زيادة على ذلك لا يفيد إلا انقطاعه بالمرَّة. بل ينبغي لهذا العالم الشديد الخوف من الله تعالى، الكثير الذكر للآخرة: أن يشاغل نفسه عن ذكر الموت؛ ليمتد نَفَسُ أمله قليلًا، فيصنِّف

QaradawiBooks.com

ويعمل أعمال خير، ويقدر على طلب ولــد، فأما إذا لهج بذكر الموت، كانت مفســدته عليه أكثر من مصلحته، ألم تســمع أن النبي ﷺ ســابق عائشة رضي الله عنها، فسبقته، وسابقها فســبقها، فقال ﷺ: «**هذه بتلك**»[(١)]. وكان يمزح ويشــاغل نفســه؟ فإن مطالعة الحقائق على التحقيق تفسد البدن وتزعج النفس.

وقد روي عن أحمد بن حنبل: أنه سأل الله تعالى أن يفتح عليه باب الخوف، ففتح عليه، فخاف على عقله! فسأل الله أن يرد ذلك عنه. فتأمل هذا الأصل، فإنه لا بد من مغالطة النفس وفي ذلك صلاحها»[(٢)].

قطع عقبة البواعث:

ويرى الإمام الغزالي أن على أيِّ سالك في طريق الدار الآخرة: أن يقطع عقبة لا بدَّ منها؛ يسمِّيها «عقبة البواعث» وتعني البواعث: الحوافز الدافعة إلى استباق الخيرات، واجتناب السيئات. وهي التي تتمثَّل في الرجاء في رحمة الله تعالى، والخوف مــن عذابه. يقول رحمه الله في كتابه «منهاج العابديــن»: «فعليك أيها الرجــل بقطع هذه العَقَبــة في تمام الاحتياط والتحــرُّز وحدِّ الرعايــة، فإنها عقبة دقيقة المَســلك، خطرة الطريق، وذلك أن طريقها بين طريقين مَخُوفَين مُهلكين: أحدهما: طريق الأمن. والثاني: طريق اليأس. وطريق الرجاء والخوف هو الطريق العدل بين الطريقين الجائرين، فإنْ غَلَب الرجــاء عليك حتى فقدتَ الخوف البتة، وقعْتَ في طريــق الأمن: ﴿فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ [الأعــراف: ٩٩]. وإن غَلَب عليك الخوف حتى فقدْتَ الرجاء البتة، وقعت

---

(١) سبق تخريجه صـ ٧٧.

(٢) صيد الخاطر صـ ١٧٢، ١٧٣.

QaradawiBooks.com

في طريق اليأس، ﴿لَا يَاْيْئَسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [يوسف: ٨٧]. فإن كنت رَكِبْت بين الرجاء والخوف، واعتصمت بهما جميعا، فهو الطريق العدل المستقيم، التي هي سبيل أولياء الله وأصفيائه الذين وصفهم بقوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ﴾ [الأنبياء: ٩٠].

فإذن ظهر لك في هذه العقبة ثلاثة طرق: طريق الأمن والجراءة، وطريق اليأس والقنوط، وطريق الخوف والرجاء ممتدٌّ بينهما، فإنْ مِلْتَ عنه بقدم إلى يمينك أو يسارك، وقعتَ في المُهْلِكَين وهَلكتَ مع الهالكين.

ثم الشأن أن الطريقين الجائرين المُهلِكَين أوسعُ مجالًا وأكثر داعيًا، وأسهل سلوكًا من الطريق العدل، لأنك إذا نظرتَ مِنْ جانب الأمن رأيتَ من سَعَة رحمة الله وكثرة فضله وغاية جوده، ما لا يبقى لك معه خوف، فتتَّكلُ على ذلك بمَرَّة وتأنس به. وإن نظرتَ من جانب الخوف رأيتَ من عظمة الله، وكثرة هيبته، ودقَّة أمره، وغاية مناقشته مع أوليائه وأصفيائه، ما لا يكاد يبقى معه رجاء، فتيئس بمَرَّة وتقنط. فتحتاج ألا تنظر إلى سَعَة رحمة الله تعالى فقط، حتى تتَّكل وتأمن، ولا إلى عظيم الهيبة والمناقشة فقط، حتى تقنط وتيئس، بل تنظر إلى هذا وإلى هذا جميعًا، وتأخذُ من هذا بعضًا، ومن هذا بعضًا، فتركبَ بينهما طريقًا دقيقًا، وتَسلُك ذلك لتَسلم. فإن طريق الرجاء المحض سهل واسع عريض، وعاقبته تؤدِّيك إلى الأمن والخسران، وطريق الخوف المحض واسع عريض، وعاقبته تؤدِّيك إلى الضلال، والطريق العدل بينهما طريق الخوف والرجاء، وإن كان دقيقا عَسِرًا فإنه سبيل سالم، ومنهج بيِّن، يؤدِّي إلى الغفران والإحسان، ثم إلى الجِنان والرِّضوان، ولقاء الملك الرحمٰن، أمَا تسمع قوله تعالى في أبناء

QaradawiBooks.com

هذا السبيل: ﴿يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾ [السجدة: ١٦]، وقال: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [السجدة: ١٧]؟ فتأمَّل هذه الجملة جدًّا، وتشمَّر وتنبَّه للأمر، فإنه لا يجيء بالهُوَيْنا، والله الموفق»(١).

من أحوال الخائفين وأحوال الراجين:

وقد ذكر الغزالي في هـذا الكتاب «منهاج العابديـن» من أقوال الله سبحانه في الترغيب والترهيب، ومن أفعاله مع خلقه في الأخذ والعفو، ومن جزائه لعبـاده بالثواب والعقـاب، ومن أحـوال الخائفين وأحوال الراجين، ما يجعل المؤمن دائمـا واقفا بين الحذر والأمل، حتى الأنبياء والصدّيقون لا يأمنون من مكر الله، كما لا يقنطون من رحمته.

قال مطرّف بن عبد الله: لو وُزن خوف المؤمن ورجاؤه، لوُجِدا سواءً لا يزيد أحدهما على صاحبه(٢).

وروى أبو نعيم، عن عمر قال: لو نادى منادٍ من السماء: أيها الناس، إنكم داخلون الجنة كلُّكم أجمعون إلا رجلًا واحدًا. لخفتُ أن أكون هو. ولو نادى منادٍ: أيها الناس، إنكم داخلون النار إلا رجلًا واحدًا. لرجوتُ أن أكون هو(٣).

وذكر الغزالي: أن عليًّا رضي الله عنه، قال لبعض ولده: يا بنيَّ خف الله خوفًا ترى أنك لو أتيتَه بحسنات أهل الأرض لم يتقبَّلها منك، وارجُ الله رجاء ترى أنك لو أتيتَه بسيئات أهل الأرض غفرها لك(٤) انتهى.

(١) منهاج العابدين صـ ٢٥٣، ٢٥٤.
(٢) رواه أبو نعيم في الحلية (٢٠٨/٢).
(٣) رواه أبو نعيم في الحلية (٥٣/١)، ومقتضى النحو: أن يقول: أن أكون أنا إياه.
(٤) انظر: إحياء علوم الدين (١٦٥/٤).

نسخة مجانية غير مرخصة للطباعة
QaradawiBooks.com

كلام ابن القيم في الخوف والرجاء:

ويعرض ابن القيم، رَحِمَهُ ٱللَّهُ لهذا الأمر في «المدارج» فيقول: «القلب في سيره إلى الله عَزَّوَجَلَّ، بمنزلة الطائر، فالمحبَّة رأسه، والخوف والرجاء جناحاه، فمتى سلم الرأس والجناحان فالطير جيد الطيران، ومتى قطع الرأس مات الطائر، ومتى فُقِد الجناحان فهو عرضة لكلِّ صائد وكاسر. ولكن السلف استحبُّوا أن يقوى في الصحة جناح الخوف على جناح الرجاء، وعند الخروج من الدنيا يقوى جناح الرجاء على جناح الخوف. هذه طريقة أبي سليمان وغيره، قال: ينبغي للقلب أن يكون الغالب عليه الخوف، فإن غلب عليه الرجاء فسد. وقال غيره: أكمل الأحوال: اعتدال الرجاء والخوف، وغلبة الحُبِّ. فالمحبَّة هي المركب، والرجاء حادٍ، والخوف سائق، والله الموصل بمنِّه وكرمه»(١).

بين الفِرَق الإسلامية المختلفة:

وينبغي لصاحب الدعوة البصير، الفاقه لدينه، والعارف لعصره، والعالم بأحوال أمته: أن يكون وسطا بين الاتِّجاهات الفكرية السائدة في الأمة، ولا يَدَع نفسه أسيرًا لبعضها دون بعض، بحيث يتفرَّد به أحدها ويحبسه في قفصه، ويبعده عن غيره، فيصبح متعصِّبًا منغلقًا على مذهب معيَّن، أو طائفة معيَّنة، أو جماعة خاصَّة، في العقيدة أو الفكر أو السياسة أو السلوك، مُخاصمًا ما عداها، يوسعه ذمًّا وطعنًا، دون أن يعطي نفسه فرصة للتأمُّل والدراسة والمقارنة، ثم يحكم بين المتنازعين أو المختلفين بالمعروف.

ففي كثير من القضايا: لا تملك مدرسة واحدة، ولا فئة واحدة كل الحق، بل كثيرا ما يكون بعض قولها حقًّا، كما يكون بعض قول

---

(١) مدارج السالكين (٥١٣/١).

QaradawiBooks.com

خصومها حقًّا. والواجب على العالم المنصف الذي ينشد الحق: أن يجمع حقَّ الطوائف بعضه إلى بعض، ليتكوَّن منه القول الصواب، أو على الأقل: الأقرب إلى الحقِّ.

وهذا ما ذكره الإمام ابن القيم في كثير من المسائل التي تختلف فيها الفرق الإسلامية من المعتزلة والمرجئة والجبرية والأشعرية وغيرهم في قضايا الجبر والاختيار، أو ما يسمَّى أفعال العباد، والإيمان بالقضاء والقدر، والإيمان وعلاقته بالعمل، وبماذا يدخل المرء في الإسلام؟ وماذا يخرجه منه؟ إلى غير ذلك من القضايا التي اختلف فيها أهل القبلة، وكفَّر بعضهم بعضا من أجلها[(١)].

قال ابن القيم في كتابه «شفاء العليل»: «وأرباب هذه المذاهب مع كل طائفة منهم خطأ وصواب، وبعضهم أقرب إلى الصواب، وبعضهم أقرب إلى الخطأ، وأدلة كلٍّ منهم وحجته، إنما تنهض على بطلان خطأ الطائفة الأخرى، لا على إبطال ما أصابوا فيه. فكلُّ دليل صحيح للجبرية، إنما يدلُّ على إثبات قدرة الربِّ تعالى ومشيئته، وأنه لا خالق غيره، وأنه على كلِّ شيء قدير، لا يستثنى من هذا العموم فردٌ واحد من أفراد الممكنات، وهذا حقٌّ، ولكن ليس معهم دليل صحيح ينفي أن يكون العبد قادرًا مريدًا فاعلًا بمشيئته وقدرته، وأنه الفاعل حقيقة، وأفعاله قائمة به، وأنها فعل له، لا لله، وأنها قائمة به، لا بالله.

وكلُّ دليل صحيح يقيمه القدرية، فإنما يدلُّ على أنَّ أفعال العباد فعلٌ لهم قائمٌ بهم، واقعٌ بقدرتهم ومشيئتهم وإرادتهم، وأنهم مختارون لها

(١) لكنه في باب الصفات كان متشدِّدًا كشيخه ابن تيمية رحمهما الله وغفر لهما.

QaradawiBooks.com

غير مُضْطرين ولا مَجْبورين، ولكن ليس معهم دليل صحيح ينفي أن يكون الله سبحانه قادرًا على أفعالهم وهو الذي جعلهم فاعلين.

فأدلة الجبريَّة متضافرة صحيحة على مَن نفى قدرة الربِّ سبحانه على كلِّ شيء من الأعيان والأفعال، ونفى عموم مشيئته وخلقه لكلِّ موجود، وأثبت في الوجود شيئًا بدون مشيئته وخلقه.

وأدلة القدرية متضافرة صحيحة على مَن نفى فعل العبد، وقدرته ومشيئته واختياره، وقال: إنه ليس بفاعل شيئًا، والله يعاقبه على ما لم يفعله، ولا له قدرة عليه، بل هو مضطر إليه مجبور عليه.

وأهل السنة، وحزب الرسول، وعسكر الإيمان، لا مع هؤلاء ولا مع هؤلاء، بل هم مع هؤلاء فيما أصابوا فيه، وهم مع هؤلاء فيما أصابوا فيه، فكلُّ حقٍّ مع طائفة من الطوائف فهم يوافقونهم فيه، وهم برآء من باطلهم. فمذهبهم جمع حقِّ الطوائف بعضه إلى بعض، والقول به، ونصره، وموالاة أهله من ذلك الوجه، ونفي باطل كلِّ طائفة من الطوائف، وكسره ومعاداة أهله من هذا الوجه.

فهم حكَّام بين الطوائف، لا يتحيَّزون إلى فئة منهم على الإطلاق، ولا يردُّون حقَّ طائفة من الطوائف، ولا يقابلون بدعة ببدعة، ولا يردُّون باطلًا بباطل، ولا يحملهم شنآن قوم يعادونهم ويكفرونهم على ألَّا يعدلوا فيهم، بل يقولون فيهم الحقَّ، ويحكمون في مقالاتهم بالعدل، والله ﷻ، أمر رسوله أن يعدل بين الطوائف، فقال: ﴿فَلِذَٰلِكَ فَٱدۡعُۖ وَٱسۡتَقِمۡ كَمَآ أُمِرۡتَۖ وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَهُمۡۖ وَقُلۡ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَٰبٖۖ وَأُمِرۡتُ لِأَعۡدِلَ بَيۡنَكُمُ﴾ [الشورى: ١٥]. فأمره سبحانه أن يدعو إلى دينه وكتابه، وأن يستقيم في نفسه كما أمره، وألَّا يتَّبع هوى أحد من الفرق، وأن يؤمن بالحقِّ

QaradawiBooks.com

جميعه، ولا يؤمن ببعضه دون بعض، وأن يعدل بين أرباب المقالات والديانات. وأنت إذا تأمَّلت هذه الآية، وجدت أهل الكلام الباطل، وأهل الأهواء والبدع من جميع الطوائف أبخس الناس منها حظًّا، وأقلُّهم نصيبًا، ووجدت حزب الله ورسوله وأنصار سنَّته هم أحقُّ بها وأهلها»[(١)].

بين السلفية والصوفية (نسلُّف الصوفية ونصوُّف السلفية):

وفي عصرنا نجد الخلاف منتشرًا بين من يسمُّونهم «السلفية»، ومَن يسمُّونهم «الصوفية»، والحرب دائرة الرحى، مشتعلة الأوار بين الفريقين.

وموقف أهل الوسطية هنا هو: فك الاشتباك بين الطرفين، وعقد الصلح بين الفريقين، وتطعيم كلِّ فريق بأفضل ما عند الآخر. فنمزج السلفية بالصوفية البعيدة عن الشرك والمبتدعات، ونمزج الصوفية بالسلفية البعيدة عن التكفير والتفسيق والتبديع، ليخرج من بينهما مزيج متوازن منسجم يجمع بين شدَّة السلفية، ورقَّة الصوفية، كما يخرج من بطون النَّحل التي تأكل من كل الثمرات، شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس.

وأذكر أني تحدثتُ في هذه القضية مع المفكر الإسلامي السوري المعروف الأستاذ محمد المبارك، وقال لي: «يجب أن نتفق على تسليف الصوفية، وتصويف السلفية!». وقلت له: هذا حق، وهو المطلوب في هذه المرحلة. فإن الصوفية ينقصها الانضباط بأصول الشريعة ونصوصها التي يُحْكِمها السلفيون، حتى لا يقعوا في الشرك في العقيدة، أو الابتداع في العبادة، أو قبول الخرافات في الفكر. كما أن السلفية في حاجة إلى روحانية المتصوفة ورقَّتهم، لترطيب جفاف القلوب، وصرامة الالتزام الحرفي.

---

(١) انظر: شفاء العليل صـ٥١، ٥٢، نشر دار المعرفة، بيروت، ١٣٩٨هـ ـ ١٩٧٨م.

QaradawiBooks.com

وهذا ما رأيناه بجلاء في موقــف الإمامين الكبيرين: ابن تيمية وابن القيم، فهما ـ مع ســلفيتهما المشــهورة والمعروفة التي عاشــا عمرهما داعيَيْن إليها، شارحَيْن لها، ذابَّيْن عنها ـ من أعظم دعاة الربَّانية الصادقة، والإيمانية الباســقة، والروحانية الصافية، المؤسَّسة على الكتاب والسنة. ولابن تيمية في مجموع الفتاوى مجلدان في التصوف والسلوك. ولابن القيم ذخيــرة هائلة من مصنفاتــه في التصوف، لا تخفــى على دارس، أشهرها موسوعته «مدارج السالكين، شرح منازل السائرين إلى مقامات ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ﴾».

وكلام ابن تيمية عن التصوُّف هو أعدل ما قيل فيهم، بلا إفراط ولا تفريط. وهو ما يجب أن يُحتذى فيما يختصــم فيه الناس، دون تحكيم الأهواء والأحقاد.

الموقف من الحضارة الغربية:

كما يجب على رجل الدعوة البصير: أن يقف الموقف الوســط من الحضارة الغربية التي أصبحت تسود عالمنا المعاصر، حتى أطلقوا عليها «الحضارة الكونية»، نظرًا لانتشارها وقوَّة تأثيرها على أهل الأرض، تبعًا لقوة أصحابها، وإن كانت هي «حضارة غربية» لا شك في ذلك.

الدعوة إلى الفناء في الحضارة الغربية:

فإذا كان هناك ـ من قديم ـ من يدعو إلــى تبنِّي هذه الحضارة بكلِّ ما فيها من قيم وموازيــن، وأفكار ومفاهيم، وآداب وتقاليد، ومشــاعر وأحاسيس، وشبهات وشهوات، بما فيها من جذور مادية الفكر، ونفعية الأخــلاق، والعصبيَّة للجنس الأبيــض، وازدواجية المعاييــر، واحتقار

QaradawiBooks.com

الدين، والإعراض عن فكرة الآخرة والخلود والجزاء، وينادي بأن الحضارة لا تتجزَّأ، ويجب أن تؤخَذ كلُّها بخيرها وشرِّها وحلوها ومرِّها، ما يحمد فيها وما يعاب. وأن نقلِّدهم في جدِّنا ولهونا، وفي علمنا وفي فنِّنا، وأن نكتب من الشمال إلى اليمين كما يكتبون! كما دعا إلى ذلك المفكر المعروف الدكتور زكي نجيب محمود، في فترة من حياته، كما قال هو عن نفسه بصراحة.

الدعوة إلى رفض الحضارة الغربية كلِّها:

وهناك في مقابل هؤلاء مَن يرفض هذه الحضارة بكلِّ ما فيها، ولا يرى فيها إلا الباطل في الاعتقاد، والكذب في الأقوال، والشر في الأفعال، والبغي في العلاقات. حتى ما فيها من تفوُّق في العلم والتكنولوجيا، فقد أخذوه أصلًا من عندنا، وأضافوا إليه وطوَّروه، فهو بضاعتنا تردُّ إلينا.

أولئك يضخِّمون انحرافهم في نظرتهم إلى المرأة، وإلى الجنس، واستباحتهم للحرمات، وتسميتهم «الشذوذ الجنسي» مثلية، ووقوفهم مع الإباحية والعُري، وتأييدهم للظلم الواقع على الشعوب المستضعفة، وأبرز مثل له: الظلم الصارخ الواقع على أهل فلسطين، منذ نحو تسعين سنة إلى اليوم، وخصوصا بعد قيام دولة الكيان الصهيوني إلى اليوم.

هؤلاء يرفضون حتى الديمقراطية، وما انتهت إليه من أوضاع سياسية، حدَّت بها من طغيان الحكام المتسلِّطين الجبَّارين، وما جاء من حماية لحقوق الإنسان، وحرمات المستضعفين، وحقِّ الشعوب في تقرير مصيرها، وحقِّ الجماهير في محاسبة حكَّامها، وتغييرهم إذا أصرُّوا على الفساد والطغيان.

QaradawiBooks.com

أهل الوسط:

وفي مقابل هؤلاء وأولئك، ينبغي أن يقف أهل الوسط، يأخذون من الحضارة خير ما فيها من علم وتكنولوجيا وحُسْن إدارة، وثقافة تساعد على تقوية العمل الجماعي، والتفكير الجماعي، وعمل الفريق، والنقد الذاتي، والنصح للآخرين، والتغيير بالطرق السلمية. وكل هذه الأشياء حين تحلِّلها وتتأملها، تجد لها أصلًا في ديننا، ودلائلها الشرعية من كتاب ربِّنا، وسنة نبيِّنا، وروائع تراثنا.

نأخذ خير ما في الديمقراطية من وسيلة الانتخابات وإجرائها في شفافية ونزاهة، وفصل السلطات، وتعدُّد الأحزاب السياسية، وحرية الصحافة، وإقرار المحافظة على الضروريات والحريات والحرمات وحقوق الإنسان، بعد أن نضفي عليها من رُوحنا ومن قيمنا ومن ثقافتنا ما يجعلها جزءًا من منظومتنا الإسلامية.

كما يجب علينا أن نتجنَّب من آفات هذه الحضارة ما أصبح موضع النقد من كثير من فلاسفتها وعلمائها وأُدبائها وساستها، الذين دقُّوا أجراس الخطر، إذا لم تتدارك هذه الحضارة نفسها، وتعالج بصراحة أخطاءها وخطاياها، كما رأينا ذلك في عدد منهم، منهم: شبينجلر، وألكسيس كاريل، وكولن ولسون، ورينيه دوبو، وروجيه جارودي، وغيرهم.

ثانيًا: الوسطية في ميدان التربية والتعليم:

وإذا كان على الداعية أن يأخذ الناس بالمنهج الوسط، فكذلك على المعلِّم والمربِّي أن يأخذ مع المتعلِّمين والمتلقِّين عنه من الناس: المنهج الوسط، الذي لا وكس فيه ولا شطط.

QaradawiBooks.com

فلا يَدَع الناس من حوله يغرقون في متاع الحياة الدنيا، وينسون الآخرة التي هي دار القرار، فهو يعيش في الدنيا كأنما هو مُخلَّد فيها، هي أكبر همِّه، ومبلغ علمه، ومحور تفكيره، ومنتهى آماله، ناسيا أنها أيام معدودة تنتهي بالموت، وأن لذاتها ممزوجة بالآلام، وسرورها مشوبٌ بالحزن، وأنها مزرعة للآخرة وهي خير وأبقى، يزرع الإنسان هنا ليحصد هناك. ولذلك امتلأ القرآن والسنة بالتحذير من غرورها، والتخويف من فتنتها، وكان من الأدعية النبوية المأثورة: «**اللهم لا تجعل الدنيا أكبر همِّنا، ولا مبلغ علمنا**»[1]. وقال القرآن: ﴿**فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ۞ ذَٰلِكَ مَبْلَغُهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ**﴾ [النجم: ٢٩، ٣٠]، فالخطر هنا ينجم في أنه: ﴿**لَمْ يُرِدْ إِلَّا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا**﴾، فالآخرة بعيدة عن إرادته واهتمامه.

ومثله قوله تعالى: ﴿**فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ۞ وَءَاثَرَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ۞ فَإِنَّ ٱلْجَحِيمَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ**﴾ [النازعات: ٣٧ ـ ٣٩]. فليس المعيب أن يستمتع بما أحلَّ الله من طيبات الدنيا، إنما المعيب أن يُؤثر الدنيا على الآخرة، فالدنيا هي اختياره الأول، وعند المقارنة يفضلِّها على الآخرة. وهذا هو الخسران حقًّا: أن يؤثر المرء الفاني على الباقي، والحقير على النفيس، والرخيص على الغالي، قال تعالى: ﴿**بَلْ تُؤْثِرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ۞ وَٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ**﴾ [الأعلى: ١٦، ١٧]، وفي الحديث: «**ما الدنيا في الآخرة إلا مثل ما يجعل أحدكم إصبعه هذه في اليم، فلينظر: بمَ يرجع؟**»[2].

كما لا ينبغي للمربِّي البصير أن يَدَع الناس يُسرفون في الجانب الروحي على حساب الجانب الماديِّ، وبعبارة أخرى: يهملون أمر الدنيا

---

(١) رواه الترمذي في الدعوات (٣٥٠٢)، وقال: حسن غريب. والنسائي في الكبرى في عمل اليوم والليلة (١٠١٦١)، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (١٢٦٨)، عن ابن عمر.

(٢) سبق تخريجه صـ٨١.

QaradawiBooks.com

من أجل أمر الآخرة، كما هو شأن الرهبانية النصرانية، والمانوية الفارسية، والبرهمية الهندية، والبوذية الصينية، والرواقية اليونانية، وغيرها من المذاهب التي تقوم فلسفتها على تعذيب الجسد من أجل الروح!

فهذا منافٍ للمنهج القرآني الذي يقول: ﴿وَٱبۡتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنۡيَاۖ وَأَحۡسِن كَمَآ أَحۡسَنَ ٱللَّهُ إِلَيۡكَ﴾ [القصص: ٧٧]، ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ۞ قُلۡ مَنۡ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخۡرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزۡقِ﴾ [الأعراف: ٣١، ٣٢].

ومن أدعية القرآن المعبِّرة: ﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِي ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٗ وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ حَسَنَةٗ وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾ [البقرة: ٢٠١]. وكان النبي ﷺ أكثر ما يدعو بهذا الدعاء، كما روى ذلك أنس(١).

وكان من أدعية الرسول المعبِّرة عن المنهج الوسطي قوله عليه الصلاة والسلام: «**اللهم أصلح لي ديني الذي هو عصمة أمري، وأصلح لي دنياي التي فيها معاشي، وأصلح لي آخرتي التي إليها معادي، واجعل الحياة زيادة لي في كلِّ خير، واجعل الموت راحة لي من كلِّ شرٍّ**»(٢). فجمعت بين خيرات الدين والدنيا والآخرة.

ولذلك أنكر النبي المعلم الأول لأمته على مَن غلا منهم في عبادته على حساب الحقوق الأخرى الواجبة عليه: حق بدنه في الراحة، وحق عينه في النوم، وحق زوجه في المؤانسة والإمتاع، وحق زوَّاره والمجتمع من حوله.

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري في التفسير (٤٥٢٢)، ومسلم في الذكر والدعاء (٢٦٩٠).

(٢) سبق تخريجه صـ٥٠.

QaradawiBooks.com

وكان ينصح أصحابه بالرفق والاعتدال أبدًا؛ لأن الله رفِيقٌ يُحِب الرِّفْق، ولأنه يريد بعباده اليسر ولا يريد بهم العسر، ولأن الاعتدال هو الذي يدوم، والتشدُّد أو التطرف قصير العمر. وكان يقول ﷺ: «**إن الدين يسرٌ، ولن يشادَّ الدِّينَ أحدٌ إلا غلبه، فسدِّدوا وقاربوا وأبشروا، واستعينوا بالغدوة والروحة، وشيء من الدُّلجة**»(١).

قال العلامة المناوي في شرحه: «إن الدين يسر»، أي دين الإسلام ذو يسر نقيض العسر، أو هو يسر، مبالغة لشدَّة اليسر وكثرته، كأنَّه نفسُه «يُسْرٌ»، بالنسبة للأديان قبله، لرفع الإصر عن الأمة «ولن يشادَّ»، أي يقاوم، «الدين أحد إلا غلبه»، أي لا يتعمَّق أحد في العبادة، ويترك الرِّفق، كالرُّهبان في الصوامع، إلا عجز فغُلِب»(٢) اهـ.

«قال ابن المُنيِّر: في هذا الحديث عَلَمٌ من أعلام النبوة، فقد رأينا، ورأى الناس قبلنا: أن كل مُتَنطِّع في الدين ينقطع.

قال في «الفتح»: وليس المراد منع طلب الأكمل في العبادة، فإنه من الأمور المحمودة، بل منع الإفراط المؤدِّي إلى الملال، والمبالغة في التطوُّع المفضي إلى ترك الأفضل، أو إخراج الفرض عن وقته، كمن بات يصلِّي الليل، ويغالب النوم إلى أن غلبته عيناه في آخر الليل، فنام عن صلاة الصبح، أي عن وقت الفضيلة إلى أن خرج الوقت. وفي حديث مِحْجَنِ بن الأدرع، عند أحمد: «**إنكم لن تنالوا هذا الأمر بالمبالغة**»(٣)،

(١) سبق تخريجه صـ٦٩.

(٢) فيض القدير (٣٢٩/٢)، نشر المكتبة التجارية الكبرى، مصر، ط١، ١٣٥٦هـ.

(٣) رواه أحمد (١٨٩٧١)، وقال مخرِّجوه: إسناده ضعيف. وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٥٩٨٢): رجاله رجال الصحيح.

QaradawiBooks.com

«**وخير دينكم أيسره**»(١). وقد يستفاد من هذا: الإشارة إلى الأخذ بالرخصة الشرعية، فإن الأخذ بالعزيمة في موضع الرخصة تنطُّع، كمن يترك التيمم عند العجز عن استعمال الماء، فيفضي به استعمال الماء إلى حصول الضرر»(٢).

«فسدِّدوا»، الزموا السداد، وهو الصواب بلا إفراط وبلا تفريط، «وقاربوا»، أي لا تبلغوا النهاية، بل تقرَّبوا منها، «وأبشروا»، أي: أبشروا بالثواب على العمل الدائم وإن قَلَّ، وأبهم المبشَّر به تعظيمًا وتفخيمًا، «واستعينوا بالغَدْوة والرَّوْحة»، بفتح أولهما أي: واستعينوا على مداومة العبادة بإيقاعها في وقت النشاط كأوَّل النهار وبعد الزوال. وأصل الغَدوة: السير أول النهار. والروحة: السير بعد الزوال. «وشيء من الدُّلْجة» بضم وسكون، قال الزركشي والكرماني: كذا الرواية، ويجوز فتحهما لغة، أي: واستعينوا عليها بإيقاعها آخر الليل أو الليل كله، بدليل تعبيره بالتبعيض، وهذه أطيب أوقات المسافر؛ لأن المصطفى ﷺ خاطب مسافرًا، فنبَّهه على أوقات نشاطه. وحسن هذه الاستعارة أن الدنيا بالحقيقة دار نُقْلَة للآخرة، وهذه الأوقات أَرْوَح ما يكون فيها البدن للعبد. ذكره بعض الشراح.

وقال البيضاوي: الرَّوْحة والغَدْوة والدُّلْجة استُعير بها عن الصلاة في هذه الأوقات؛ لأنها سلوك وانتقال من العادة إلى العبادة، ومن الطبيعة إلى الشريعة، ومن الغيبة إلى الحضور.

---

(١) رواه أحمد (١٥٩٣٦)، وقال مخرِّجوه: إسناده حسن. وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٢١٤): رواه أحمد، ورجاله رجال الصحيح. وصحح إسناده ابن حجر في الفتح (٩٤/١)، عن الأعرابي الذي سمع رسول الله ﷺ.

(٢) فتح الباري (٩٤/١).

QaradawiBooks.com

وقال الكرماني: كأن المصطفى ﷺ يخاطب مسافرًا انقطع طريقه إلى مقصده، فنبَّهه إلى أوقات نشـاطه التي ترك فيها عمله؛ لأن هذه أوقات المسـافر على الحقيقة، فالدنيا دار نقلة وطريق إلـى الآخرة، فنبَّه الأمة على اغتنام أوقات فرضهم. قال المناوي: قـال جمع: هذا الحديث من جوامع الكلم»[١].

وكان عليه السلام يحذِّر، بل يشدِّد التحذير من الغُلوِّ والتنطُّع، كلما جاءت مناسـبة لذلك، مبيِّنا خطر الغُلوِّ والتشدُّد الدائم: أن وراءه الهلاك؛ هلاك الفرد، وهلاك الأمة.

ففي عبادة الحج، حين جيء له بحصوات مناسـبة ليرمي بها، قال: «**بمثل هذا فارموا، إياكم والغُلو في الديـن، فإنما هلك من كان قبلكم بالغُلوِّ في الدين**»[٢]، وقال في مناسبة أخرى: «**هلك المتنطعون**»[٣]. قالها ثلاثا. والمتنطِّعون هم المتعمِّقون الغالون في فَهم الدين وتطبيقه، بحيث يعسِّرون ولا ييسِّرون، وينفِّرون ولا يبشِّرون.

وكان المخوف على الصحابة هو نزعة الغُلوِّ والتشدد، ولم تكن نزعة التفريط أو الانحلال هي المخوفة عليهم، ومـع هذا لا يخلو الأمر من وجود بعض المقصِّرين، الذين قد يضيِّعـون بعض الفرائض، مثل ذلك الرجل الذي نام حتى أصبح، وطلعت عليه الشـمس، فقال: «**ذاك رجل بال الشيطان في أذنيه**»[٤].

---

(١) فيض القدير شرح الجامع الصغير (٣٢٩/٢) شرح حديث (١٩٦٩).

(٢) رواه أحمد (١٨٥١)، وقال مخرّجوه: إسناده صحيح على شرط مسلم. والنسائي (٣٠٥٧)، وابن ماجه (٣٠٢٩)، وابن خزيمة (٢٨٦٧)، جميعهم في المناسك، عن ابن عباس.

(٣) سبق تخريجه صـ٧٢.

(٤) متفق عليه: رواه البخاري في التهجد (١١٤٤)، ومسلم في صلاة المسافرين (٧٧٤)، عن ابن مسعود.

QaradawiBooks.com

ومثل قوله ﷺ عن بعض الناس: «**تلك صلاة المنافق، تلك صلاة المنافق، تلك صلاة المنافق**». ثم فسَّرها بأنها صلاة مَن يرقب قرص الشمس، حتى إذا اقتربت الغروب: «**قام فنقرها أربعًا لا يذكر الله فيها إلا قليلا**»(١).

كما وُجِد في ذلك المجتمع الطاهر مَن يرتكب بعض المحرَّمات، ولهذا أقيمت فيه الحدود والتعزيرات، ولكن على قِلَّة. وكلُّ الذين أقيم عليهم حدُّ الزنى إنما قام بإقرارهم على أنفسهم طالبين أن يتطهَّروا.

وبعض مَن أجريت عليهم عقوبة الخمر من الضرب بالأيدي والثياب ونحو ذلك، حتى قال بعضهم في أحدهم: ما أكثر ما يؤتى به لعنه الله! وهنا قال الرسول ﷺ: «**لا تكن عونًا للشيطان على أخيك!**»(٢)، وفي رواية: «**لا تلعنه، فإنه يحبُّ الله ورسوله**»(٣)!

وقال القرآن في فئة من هذا المجتمع: ﴿وَءَاخَرُونَ ٱعْتَرَفُوا۟ بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا۟ عَمَلًا صَٰلِحًا وَءَاخَرَ سَيِّئًا عَسَى ٱللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٠٢]. ولم يكن فيه الفجرة المتبجِّحون والمجاهرون بمعاصي الله تعالى.

إنما كان الخطر على هذا المجتمع يتمثَّل في فئة «المنافقين» الذين يتظاهرون بالإسلام وما هم بمسلمين، ﴿يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ [البقرة: ٩]. وهم الذين وصفهم بقوله: ﴿وَلَا يَأْتُونَ ٱلصَّلَوٰةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَىٰ وَلَا يُنفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَٰرِهُونَ﴾ [التوبة: ٥٤]، ﴿وَإِذَا قَامُوٓا۟ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُوا۟ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ۞ مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَٰلِكَ لَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَلَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ [النساء: ١٤٢، ١٤٣]. فهؤلاء

(١) رواه مسلم في المساجد ومواضع الصلاة (٦٢٢)، وأحمد (١٢٩٢٩)، عن أنس.

(٢) رواه البخاري في الحدود (٦٧٨١)، عن أبي هريرة. بلفظ: «لا تكونوا عون الشيطان على أخيكم».

(٣) رواه البخاري في الحدود (٦٧٨٠)، عن عمر بن الخطاب. بلفظ: «لا تلعنوه، فوالله ما علمت إنه يحب الله ورسوله».

QaradawiBooks.com

هم الذيــن ينبغي التيقُّظ لهم، والتحذير منهم، حتى لا تتســلل عدوى أمراضهم إلى المجتمع كلِّه.

نهج المربِّين الربانيين:

وعلى المربين البصراء الربانيين: أن يربوا أبناء الأمة على تحرِّي هذا المنهج القرآني النبوي واتباعه، وعدم الحيدة عنه إلى اليمين أو الشمال. وهو ما مضى عليه الصحابة ﵃، حتى قال عبد الله بن عمرو بن العاص، وهو الذي نهاه النبي عن الغُلوِّ في العبادة، والجور على حقِّ نفسه وأهله وجماعته ودنياه: اعمل لدنياك كأنك تعيش أبدًا، واعمل لآخرتك كأنك تموت غدًا[1].

وروى أبو عبيد في «غريب الحديث»، عن علي بن أبي طالب ﵁: خير هذه الأمة النمط الأوسط، يلحق بهم التالي، ويرجع إليهم الغالي[2]. قال الزمخشـري: في «الفائق في غريب الحديث»: «النمط الجماعة من الناس أمرهم واحد»[3]. وقد تقدَّم الحديث عن هذا الأثر عن علي.

موقف المربي الحق من مريديه:

وعلى المربِّي الحق أن يسلك بمَن يربِّيهم مسلك التوسُّط، كما أرشد إلى ذلك القرآن والسنة، في الاعتقاد، وفي العبادات، وفي الآداب، وفي المعاملات؛ معاملة المرء مع نفســه، ومعاملته مع أسرته، ومعاملته مع جيرانه ومَن حوله، ومعاملته مع أمَّته، ومعاملته مع أعدائه وأعداء أمته.

---

(١) سبق تخريجه صـ٨٨.

(٢) سبق تخريجه صـ٨٧.

(٣) الفائق في غريب الحديث (٢٧/٤)، تحقيق علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، نشر دار المعرفة، لبنان، ط٢.

QaradawiBooks.com

ويبدأ ذلك المنهج بعلاقة المربي نفسه مع مريديه وتلاميذه، فلا ينبغي له أن يذيب شخصيتهم، ولا يمنعهم حقَّ السؤال أو المناقشة، ناهيك بالاعتراض. كما يروى عن بعض المتصوفة قوله: مَن قال لشيخه: لم؟ لم يُفلح! أو: المريد بين يَدَي الشيخ كالميت بين يدي الغاسل! أو قولهم: مَنْ اعترض انطرد، ومَنْ باح راح!

فقد كان الصحابة يناقشون رسولهم الكريم، ويعترضون على بعض تصرُّفاته، ويقترحون عليه غير ما رآه، وينزل أحيانا على رأيهم تاركًا رأيه الأول. كما اعترض عمر على إرساله عليه السلام، أبا هريرة يبشِّر الناس: أن مَن قال: «لا إله إلا الله» دخل الجنَّة. ووجه تحفُّظه أن إطلاق هذا قد يوهم الناس بالاتكال على ذلك وترك العمل، فكان اقتراح عمر أن يَدَع الناس يعملون، فقال: «**خلِّهم يعملون!**»[1].

كما أنه لا يَدَع لهم الحبل على الغارب، أو يجرئهم على التطاول على مقام مَن يعلِّمهم، بحيث يجترئون عليه، ويسيئون الأدب معه، فقد علَّمنا النبي الكريم أن نعرف للكبير حقَّه، وللعالم قدره، ولكلِّ ذي فضل فضله. كما قال عليه الصلاة والسلام: «**ليس منا مَن لم يرحم صغيرنا، ويوقِّر كبيرنا، ويعرف لعالمنا**»[2]. فكيف إذا كان الكبير عالمًا، أو كان العالم كبيرًا؟ فقد اجتمع له الحقَّان معًا.

---

(١) رواه مسلم في الإيمان (٣١).

(٢) رواه أحمد (٢٢٧٥٥)، وقال مخرجوه: صحيح لغيره دون قوله: «ويعرف لعالمنا حقه». والطحاوي في مشكل الآثار (٣٦٥/٣)، والحاكم في العلم (١٢٢/١)، وقال: ومالك بن خير الزيادي مصري ثقة، وأبو قبيل تابعي كبير. وقال الذهبي: مالك ثقة مصري. وحسن إسناده المنذري في الترغيب والترهيب (٦٤/١)، وحسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (١٠١)، عن عبادة بن الصامت.

QaradawiBooks.com

وقد قيل لأحد العظماء: نراك تحترم معلِّمك أكثر من أبيك! فقال: إن أبي سبب حياتي المادية، وهي فانية، ومعلمي سبب حياتي المعنوية، وهي باقية! فنظم هذا الشاعر فقال:

فهذا مُربِّي الروح، والروحُ جوهر ... وذاك مُربِّي الجسم، والجسم كالصدفْ(١)!

أدب المتصوفة بين الغُلوِّ والجفاء:

وقد قال العلامة إسماعيل الهروي في «منزلة الأدب» من رسالته الشهيرة «منازل السائرين إلى مقامات ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾»: الأدب: حفظ الحد بين الغُلوِّ والجفاء، بمعرفة ضرر العدوان(٢).

وشرح هذا ابن القيم في «المدارج» فقال: «هذا من أحسن الحدود. فإن الانحراف إلى أحد طرفي الغُلوِّ والجفاء: هو قلَّة الأدب. والأدب: الوقوف في الوسط بين الطرفين، فلا يقصر بحدود الشرع عن تمامها، ولا يتجاوز بها ما جعلت حدودا له. فكلاهما عدوان. والله لا يحبُّ المعتدين. والعدوان: هو سوء الأدب. وقال بعض السلف: دين الله بين الغالي فيه والجافي عنه.

فإضاعة الأدب بالجفاء: كمَن لم يكمل أعضاء الوضوء. ولم يوفِّ الصلاة آدابها التي سنَّها رسول الله ﷺ، وفعلها. وهي قريب من مائة أدب: ما بين واجب ومستحب.

وإضاعته بالغُلوِّ: كالوسوسة في عقد النية، ورفع الصوت بها، والجهر بالأذكار والدعوات التي شرعت سرًّا. وتطويل ما السنة تخفيفه وحذْفُه، كالتشهد الأول، والسلام الذي حذْفُه سنة، وزيادة التطويل على ما فعله

(١) البيت لأبي الفتح النطنزي، كما في الوافي بالوفيات للصفدي (١١٧/٤)، تحقيق أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، نشر دار إحياء التراث، بيروت، ١٤٢٠هـ ـ ٢٠٠٠م.
(٢) منازل السائرين صـ٦٧، نشر دار الكتب العلمية، بيروت.

QaradawiBooks.com

رسول الله ﷺ. لا على ما يظنُّه سُـرّاق الصلاة والنقَّارون لها ويشتهونه. فإن النبي ﷺ لم يكن ليأمر بأمر ويخالفه، وقد صانه الله من ذلك. وكان يأمرهم بالتخفيف ويؤمهم بالصافَّات. ويأمرهم بالتخفيف، وتقام صلاة الظهر فيذهب الذاهب إلى البقيع، فيقضي حاجته، ويأتي أهله ويتوضَّأ، ويدرك رسـول الله في الركعة الأولى. فهذا هو التخفيـف الذي أمر به، لا نقر الصلاة وسرقها، فإن ذلك اختصار.

ومثال هذا التوسـط في حقِّ الأنبياء عليهم السلام: ألا يغلو فيهم، كما غلت النصارى في المسـيح، ولا يجفـو عنهم كما جفت اليهـود. فالنصارى عبدوهم، واليهود قتلوهم وكذَّبوهم، والأمة الوسط: آمنوا بهم، وعزَّروهم ونصروهم، واتَّبعوا ما جاؤوا به.

ومثال ذلك في حقوق الخلق: ألا يفرط في القيام بحقوقهم، ولا يستغرق فيها، بحيث يشتغل بها عن حقوق الله، أو عن تكميلها، أو عن مصلحة دينه وقلبه، وألا يجفو عنها حتى يعطِّلها بالكلية. فإن الطرفين من العدوان الضار. وعلى هذا الحد، فحقيقة الأدب: هي العدل. والله أعلم»[(١)] اهـ.

مدرسة حسن البنا نموذج في التربية الوسطية:

ومما ينبغي أن نذكره ونُذكِّر به هنا: التربية الوسـطية التي تميَّز بها الإمام حسن البنا، ومدرسته، وقد شرحناها في كتابنا: «التربية الإسلامية ومدرسة حسن البنا».

فإذا كان المسلمون وسَطًا بين الأمم والملل، وكان أهل السنة وسطًا بين الفرق، فالإخوان وسـط بين الجماعات؛ فهم يوازنـون بين العقل

(١) مدارج السالكين (٢/٣٧٠، ٣٧١).

QaradawiBooks.com

والعاطفة، وبين المادة والروح، وبين النظر والعمل، وبين الفرد والمجتمع، وبين الشورى والطاعة، وبين الحقوق والواجبات، وبين القديم والجديد.

التوسُّط في الموقف من التراث الإسلامي:

وقد انتفعت مدرسة البنا بالتراث الإسلامي كلِّه، فأخذت من علماء الشريعة العناية بالنصوص والأحكام، ومن علماء الكلام الاهتمام بالأدلة العقلية وردِّ الشُبهات، ومن علماء التصوُّف العناية بتربية القلوب وتزكية النفوس، مع الحرص البالغ على التحرُّر مما علق بهذا التراث من شوائب ومحدثات، والرجوع إلى النبع الصافي من كتاب الله وسنَّة رسوله.

بين التعصُّب المذهبي واللامذهبية:

لم يقف حسن البنا من التراث الفقهي بمذاهبه ومدارسه موقف الرفض المطلق، كما صنع بعض الناس، الذين يسمُّونهم «اللامذهبيين»، ولا موقف القبول أو التقليد المطلق للمذهب، كما فعل آخرون، فلم يوجب التقليد أبدا للمذاهب، ولم يُحرِّمه كذلك أبدا على كلِّ الناس، لكنه أجازه لبعض الناس بقيود وشروط هي غاية في الاعتدال، فقال: في «الأصل السابع» من «الأصول العشرين»: «ولكلِّ مسلم لم يبلغ درجة النظر في أدلة الأحكام الفرعية أن يتبع إمامًا من أئمة الدين، ويحسن به ـ مع هذا الاتباع ـ أن يجتهد ما استطاع في تعرُّف أدلة إمامه، وأن يتقبَّل كلَّ إرشاد مصحوب بالدليل، متى صحَّ عنده صلاح مَنْ أرشده وكفايته، وأن يستكمل نقصه العلمي إن كان من أهل العلم حتى يبلغ درجة النظر». أي القدرة على الترجيح والاجتهاد ولو جزئيًّا.

QaradawiBooks.com

الاعتدال في الموقف من تراث السلف:

وليس معنى هذا أن كل ما قاله إمام من أئمة الدين حقٌّ وصواب، فإنما هو مجتهد في الوصول إلى الحقِّ، فإن أصاب فله أجران، وإن أخطأ فله أجر، وليس علينا ـ بل ليس لنا ـ إذا تبيَّن خطؤه أن نتَّبعه. ولهذا قال في «الأصل السادس» بصريح العبارة: «**وكلُّ أحد يؤخذ من كلامه ويُترك إلا المعصوم ﷺ. وكلُّ ما جاء عن السَلَف ـ رضوان الله عليهم ـ موافقًا للكتاب والسنة قبلناه، وإلا فكتاب الله وسنَّة رسوله أولى بالاتباع، ولكنا لا نعرض للأشخاص ـ فيما اختُلِف فيه ـ بطعن أو تجريح، ونكِلهم إلى نياتهم، وقد أفضوْا إلى ما قدَّموا**».

وهذا هو الاعتدال، كما أنه هو الإنصاف الذي لا يستطيع أحد أن يماري فيه، وهو موقف شيخ الإسلام ابن تيمية في كتابه المركَّز الجليل «رفع الملام عن الأئمة الأعلام».

ما تلوَّن بلون عصره وبيئته لا يلزم العصور الأخرى رعايته:

ولم يقف رائد الحركة الإسلامية عند هذا الحدِّ، بل أعلن أن كلَّ الآراء والعلوم التي تلوَّنت بلون عصرها وبيئتها لا تلزمنا نحن دعاة الإسلام في القرن الرابع عشر الهجري ـ وما بعده ـ ولنا الحرية أن نجتهد لأنفسنا كما اجتهدوا، وإن كنا لا نهمل دراستها والانتفاع بها، فهي ثروة عظيمة بلا شك.

يقول في «رسالة المؤتمر الخامس»: «يعتقد الإخوان المسلمون أن أساس التعاليم الإسلامية، ومَعينها هو كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، اللذان إن تمسَّكت بهما الأمة فلن تضلَّ أبدًا، وأن كثيرًا من الآراء والعلوم التي اتصلت بالإسلام، وتلوَّنت بلونه تحمل لون العصور التي أوجدتها، والشعوب التي

QaradawiBooks.com

عاصرتها، ولهذا يجب أن تستقي النُظم الإسلامية التي تُحمل عليها الأمة من هذا المَعين الصافي: معين السهولة الأولى، وأن نفهم الإسلام كما كان يفهمه الصحابة والتابعون من السلف الصالح رضوان الله عليهم، وأن نقف عند هذه الحدود الربانية، حتى لا نُقيِّد أنفسـنا بغير ما قيَّدنا الله به، ولا نُلزم عصرنا لون عصر لا يتفق معه، والإسلام دين البشرية جميعًا».

هذه هي رُوح التجديـد الحق، تجديد الاعتدال لا تجديد الشـطح والتطرف.

هذا موقفه مـن قضية الفقه وقضيـة الاجتهاد والتقليـد، والمذهبية واللامذهبية، وسَطًا معتدلًا، لا غلو ولا تقصير.

التوسط في الموقف من قضايا العقيدة:

وكذلك كان موقفه في قضيـة «العقيدة» وما جرى حولها من خلاف في بعض المسائل، وفَهم بعض النصوص، واختلاف الفِرَق والمذاهب في ذلك.

لقد كان يعتنق عقيدة أهل السنة والجماعة، ويتبنَّى طريق السلف في فَهم الآيـات والأحاديث المتعلِّقة بصفات الله تعالـى. وكان حريصًا كل الحرص على تحقيق التوحيد، ومحاربة الشرك بكلِّ ألوانه وأنواعه: أكبره وأصغره، وجليّه وخفيّـه، منكرًا على مظاهر الوثنيـة، وكلِّ المبتدعات الشركية التي دخلت على حياة كثير من المسلمين، مثل الزيارات الشركية للأضرحة، والاسـتغاثات الشـركية بالأولياء، وإتيان الكَهَنـة العرَّافين وتصديقهم، إلى غير ذلك من صور الأباطيل والانحرافات.

ولكنه يُمَهِّد لهذه الحملة على الشـركيات والبدع، بما يهيِّئ الأنفس والعقول لتقبُّلهـا، ويصوغ إنكاره في عبارات لبِقـة حكيمة، تجمع بين مرارة الحقِّ وحلاوة الدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة.

QaradawiBooks.com

التوسط في الموقف من الأولياء ومقابرهم:

اصغِ إليه في «الأصول العشرين» وهو يقول: «محبة الصالحين واحترامهم، والثناء عليهم بما عُرِف عليهم من طيب أعمالهم، قُربة إلى الله تبارك وتعالى. والأولياء هم المذكورون في قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ﴾ [يونس: ٦٣]. والكرامة ثابتة لهم بشرائطها الشرعية، مع اعتقاد أنهم ـ رضوان الله عليهم ـ لا يملكون لأنفسهم نفعًا ولا ضرًّا، في حياتهم، أو بعد مماتهم، فضلًا عن أن يهبوا شيئًا من ذلك لغيرهم.

وزيارة القبور أيًّا كانت: سنَّة مشروعة بالكيفية المأثورة، ولكن الاستعانة بالمقبورين أيًّا كانوا، ونداءهم لذلك، وطلب قضاء الحاجات منهم، عن قُرب أو بُعد، والنذر لهم، وتشييد القبور، وسترها، وإضاءتها، والتمسُّح بها، والحَلِف بغير الله، وما يلحق بذلك من المبتدعات: كبائر تجب محاربتها، ولا نتأوّل لهذه الأعمال سدًّا للذريعة»(١).

وهكذا نراه يهتم ببيان الحقِّ قبل فضح الباطل، ويقدِّم التعريف بالمعروف قبل إنكار المنكر. وبذلك يلين النفوس التي شبَّت على الباطل وشابت عليه، ويدخل إليها دخول الداعية الموفَّق، والمربِّي الحكيم، دون استثارة المعاندين، أو تأليب المخالفين.

التوسط في قضية الصفات الإلهية الخبرية:

وكذلك كان الشأن في موضوع «الصفات الإلهية» وما ثار فيها من جدل بين العلماء من مؤولين وغير مؤولين، فهو يغضُّ الطرف عن هذا الخلاف، راجعًا إلى معين السهولة الأولى، بعيدًا عن تكلُّف التأويل، وإثم التعطيل،

---

(١) رسالة التعاليم ضمن رسائل الإمام الشهيد حسن البنا صـ ٣٥٨، الأصل الرابع عشر، نشر المؤسسة الإسلامية، بيروت، ط٣، ١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٤م.

QaradawiBooks.com

يقول في «الأصل العاشــر»: «ومعرفة الله تبارك وتعالى، وتوحيده، وتنزيهه، أسمى عقائد الإسلام. وآيات الصفات وأحاديثها الصحيحة، وما يليق بذلك من المتشــابه، نؤمن بها كما جاءت من غير تأويل ولا تعطيل، ولا نتعرَّض لمــا جاء فيها مــن خلاف بين العلماء. ويسـعنا ما وسـع رسـول الله ﷺ وأصحابه: ﴿وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلّٞ مِّنۡ عِندِ رَبِّنَا﴾ [آل عمران: ٧]».

الاعتدال في تقويم التصوف:

وبمثل هذه الروح المنصفة المعتدلة وقف مــن التصوُّف: فلم يقبله كلَّه بعُجَره وبُجَره، وســنيِّه وبدعيِّه، ولم يرفضه كلَّه بما فيه من صواب وخطأ، وحسن وسوء، بل كان مبدؤه هنا: خُذ ما صَفَا ودَعْ ما كَدَر. فليس كلُّ ما في التصوف باطلًا، وليس كلُّه حقًّا، وليس كلُّ المتصوفة مبتدعة، وليس كلُّهم على ســنَّة، فلا بد من الانتقاء، والاختيار، والاســتفادة من تراث القوم، وفيه من الحرارة والتأثيــر ما ليس لدى غيرهم، ولكلامهم صَوْلة ليس لكلام مَن سواهم، وقد سجَّل رأيه في التصوف بصراحة في كتابه «مذكرات الدعوة والداعية»[١].

ورغم أنه بدأ في أول الأمر على صلة بإحدى الطرق، فهو لم يُسلم زمامه إليها، بل أخذ منها وترك، وقال عن نفســه وعن صديقه السكري: كنا مريدين أحرارا في تفكيرنا، وإن كنــا مخلصين كلَّ الإخلاص ـ في تقديرنا ـ للعبادة والذكر وأدب السلوك.

مع أن الطريقة نفســها كانت أبعد من غيرها عن البدع، وكان يعجبه من شيخها شــدَّته في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر حتى للملوك والكبراء، واتباعه للسُّــنن ومحاربته للبدع، ولم يكــن يصغي كثيرا لما

(١) مذكرات الدعوة والداعية صـ ١٩ ـ ٢٢، نشر مكتبة آفاق، الكويت، ط ١، ١٤٣٣هـ ـ ٢٠١٢م.

QaradawiBooks.com

يسمعه من كرامات الشيخ وخوارقه الحسيَّة، فعمله في هداية الخلق، ونشر الحقِّ أعظم من الكرامات في نظره.

التوسط في الموقف من البدعة:

ولم تلِن قناة حسن البنا للبدع والمُحْدَثات التي راجت بين كثيرين من المتصوِّفة عن الزيارات البدعية للأضرحة، والتبرُّك بالقبور، ودعاء الأموات، وتعليق التمائم، وغيرها، فأعلن الحرب على هذه الأمور في «الأصول العشرين»، واعتبرها كبائر تجب محاربتها، ولا نتأوَّل لها سدًّا للذريعة.

ومع هذا قال في إنكار البدع ومقاومتها: «كلُّ بدعة في دين الله لا أصل لها ـ استحسنها الناس بأهوائهم ـ سواء بالزيادة فيه أو بالنقص منه: ضلالة تجب محاربتها والقضاء عليها بأفضل الوسائل التي لا تؤدِّي إلى ما هو شر منها»(١).

وهذا هو الفقه حقًّا، فإنّ السكوت على المنكر واجب إذا أدَّت مقاومته إلى منكر أكبر منه. ولهذا أصلٌ في القرآن والسنة كما هو معلوم في موضعه. ولهذا كان يصلي التراويح في رمضان ثماني ركعات حسبما صحَّ من الحديث عن عائشة، ولكن لم ينكر على مَن صلَّى عشرين، فلكلٍّ من الفريقين وجهةٌ ودليل، وسيظلُّ الخلاف في الفروع قائمًا لأسباب ذكرها هو في أكثر من رسالة من رسائله.

وقد حكوا عنه أنه زار بلدًا اختلف أهله بين صلاة الثمانية وصلاة العشرين، وقام بينهما النزاع على أشُدِّه، حتى كادوا يقتتلون، واجتمع الفريقان ليسألوه، لم يجبهم بل سألهم هو عن صلاة التراويح: أسنَّة هي أم

---

(١) الأصل الحادي عشر من الأصول العشرين.

QaradawiBooks.com

فريضة؟ فقالوا جميعًا: بل سنَّة. فقال: والأُخُوَّة بين المسلمين واتحاد كلمتهم: سنَّة أم فريضة؟ قالوا جميعًا: بل فريضة. فقال في قوَّة ووضوح: كيف تهدمون فريضة من أجل سنَّة؟ خير لكم أن تَدَعوا صلاة التراويح نهائيًّا في المسجد، وتحتفظوا بأُخُوَّتكم سليمة، بدل أن تُصلُّوا ويضرب بعضكم وجوه بعض.

كانت مزيَّة حسن البنا الجمع بين عقل السلفي المتَّبِع، وقلب الصوفي المتذوِّق. وكذلك أراد لأصحابه.

فهو في العقيدة سلفيٌّ خالص، يؤمن بالتوحيد، ويحارب الشرك أكبره وأصغره، وجليِّه وخفيِّه، ويتبنَّى منهج السلف في آيات الصفات وأحاديثها، كما بيَّن ذلك في رسالته عن «العقائد» وفي «أصوله العشرين».

وهو في العبادة كذلك متَّبع لا مبتدع، فكلُّ بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار. ولكنه في تزكية الأنفس، وتهذيب الأخلاق، وعلاج أمراض القلوب، ومقاومة الهوى، وسدِّ مداخل الشيطان إلى قلب الإنسان متصوف سُنِّي، ذوَّاقة نقَّادة، يأخذ لنفسه ولأتباعه من كتب القوم ومناهجهم ما يرقِّي الروح، ويطهِّر القلب، ويوثِّق الصلة بالله، والحب بين الإخوان.

وموقفه هنا يشبه إلى حدٍّ كبير موقف شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه العلامة ابن القيم، فقد استفادوا من التصوف ـ علمًا وعملًا وتعليمًا ـ وكتبا في ذلك رسائل وكتبًا عديدة، منها لابن تيمية مجلدان في فتاويه: أحدهما تحت عنوان: «التصوف»، والثاني تحت عنوان: «السلوك».

أما ابن القيم فله مؤلفات عدَّة منها: «الداء والدواء»، و«طريق الهجرتين»، و«عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين»، وأعظمها كتابه الجليل «مدارج السالكين، شرح منازل السائرين إلى مقامات: ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ﴾».

QaradawiBooks.com

و«المنازل» رسـالة موجزة مكثَّفة لشيخ الإسـلام إسماعيل الهروي الحنبلي، ولكنه طالما خالفه فيما ذهب إليه فيها، قائلا: «شـيخ الإسلام حبيب إلينا، ولكن الحق أحب إلينا منه»[١].

وكان ابن تيمية وتلميذه من كبار الربَّانييـن، أرباب القلوب الحية، والنفوس الزاكيـة، والأرواح الموصولة بالمـلأ الأعلى، وقد حكى ابن القيم عن بعض العارفين أنه قال: إنه لتَمُرُّ عليَّ أوقات أقول فيها: لو كان أهل الجنة على مثل ما أنا فيه لكانوا في حال طيبة[٢]!

ولمّا حبسـوه في القلعة لم يوهن ذلك من عزمـه، ولم يضعف من أُنسـه بمولاه، وقال في ذلك: إنما المحبوس من حُبِـس قلبه عن ربه، والمأسـور من أسـره هواه. وقال: ماذا يصنع بي أعدائي؟ إن سجنوني فسجني خلوة، وإن نفوني فنفيي سياحة، وإن قتلوني فقتلي شهادة[٣]!

ويبدو لي من تتبُّع حياة حسـن البنا ومراحل تفكيره ودعوته: أنه بدأ أقرب إلى الصوفية، وانتهى أقرب إلى السـلفية، ولكنه لم يُقِم بينها يوما حربا، بل طعَّم صرامة السلفية بروحانية التصوُّف، وضبط مواجيد التصوُّف بالتزام السلفية، وكان ذلك هو الطابع الغالب على أتباعه إلا ما ندر.

الاعتدال في النظرة إلى المجتمع وتحديد هُويته:

ومن دلائل الاعتدال والتوازن في تربية الإخوان، كما فهمها حسـن البنا ونفَّذها: نظرته إلى المجتمع وعلاقة الإخوان به، فهي نظرة وَسَطية

(١) مدارج السالكين (٣٨/٢).
(٢) المصدر السابق (٤٥٢/١).
(٣) نقل ذلك عنه تلميذه ابن القيم في الوابل الصيب صـ ٤٨، تحقيق سـيد إبراهيم، نشـر دار الحديث، القاهرة، ط ٣، ١٩٩٩م.

QaradawiBooks.com

معتدلة، تنظر إلى المجتمع من أفق رَحْب، ومن زوايا متعدِّدة، وبمنظار سليم لم يَشُبه الغبش والقتام.

فليس هو مجتمعًا خالص الإسلام، كامل الإيمان، كما يتوهَّم السطحيون من الناس الذين يشيعون أن أمّة محمد بخير، وأنه لا ينقصنا إلا العلم و«التكنولوجيا»، وبذلك تنحلُّ كلُّ العُقد، وتنفضُّ كلُّ المشكلات.

فلا شك أن المجتمع في شتى بلاد الإسلام يعاني أمراضا خطيرة، عقدية، وفكرية، وخُلُقية، واجتماعية، وأن الفساد قد تغلغل في شتَّى نواحيه: فساد في العقول، اضطربت به العقائد والمفاهيم، وفساد في الضمائر، اضطربت به الأخلاق والأعمال، وفساد في التشريع، اضطربت به النظم والقوانين، وفساد في الأسرة، اضطربت به العلاقات بين الأزواج والوالدين والأولاد، وفساد في الحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية كلها، جعل بلاد المسلمين في مؤخرة العالم بعد أن كانت في الطليعة من قافلة البشر، ومأخذ الزمام منها.

ولا شك أن هذا كلَّه نتيجة ضمنية للانحراف عن الإسلام الصحيح، فَهمًا وإيمانًا وتطبيقًا. ولولا هذا ما كان المجتمع في حاجة إلى دعوة جديدة، تُصحِّح فَهمه للإسلام، وتُجدِّد إيمانه به، وتدفعه ـ بالتوجيه الراشد، والتربية السليمة ـ على حُسن تطبيقه.

مجتمعاتنا مجتمعات مسلمة:

ورغم هذا الانحراف والفساد الشائع في المجتمع، لم يذهب حسن البنا يومًا إلى أنه مجتمع جاهلي كافر. إنه قد يصف المجتمع بالانحراف أو الفسوق أو العصيان أو الابتداع. أما الكفر والردَّة فلا.

فما زالت شعائر الإسلام تُقام في هذا المجتمع، وما زالت بعض أحكام الإسلام تُرعى وتُنفَّذ، وما زال جمهور الناس مؤمنين بربِّهم ونبيهم وقرآنهم، وما زالت العاطفة الدينية تحتلُّ مكانها في الصدور، وما زالت كلمة الإسلام هي المحرِّك الأول للشعوب.

الاحتراز من خطيئة التكفير للمجتمعات والأفراد:

كان حسن البنا يربِّي أتباعه على الاحتراز من خطيئة «التكفير» للمسلمين، والوقوع فيما وقع فيه الخوارج من قبل، حيث كفَّروا مَنْ عداهم من المسلمين، واستحلُّوا دماءهم وأموالهم، حتى كان من سماتهم البارزة: أنهم «**يقتلون أهل الإسلام، ويدعون أهل الأوثان**»[1].

وكان ينكر على الجماعات الدينية التي تتراشق فيما بينها بسهام التكفير، والاتهام بالشرك والردَّة.

والأصل الأخير من أصوله العشرين يقول في صراحة: «لا نُكفِّر مسلمًا أقرَّ بالشهادتين، وعمل بمقتضاهما، وأدَّى الفرائض: برأي أو معصية، إلا إن أقرَّ بكلمة الكفر، أو أنكر معلومًا من الدين بالضرورة، أو كذَّب صريح القرآن، أو فسَّره على وجه لا تحتمله أساليب اللغة العربية بحال، أو عمل عملًا لا يحتمل تأويلًا غير الكفر»[2].

إن تكفير الأفراد والمجتمعات ـ الذي تبنَّاه بعض الدعاة إلى الإسلام فيما بعد ـ خطأ ديني، وخطأ علمي، وخطأ حركي.

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري في أحاديث الأنبياء (٣٣٤٤)، ومسلم في الزكاة (١٠٦٤)، عن أبي سعيد الخدري.

(٢) الأصل العشرون من الأصول العشرين.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

وفي تحديد علاقة الإخوان بالمجتمع، قامت تربية الإخوان على هذه النظرة المتزنة. فلم تقُم على الذوبان في المجتمع، أو مسايرته في خيره وشرِّه، وحلاله وحرامه، باسم «التطور» أو «التحديث» ونحو ذلك من العناوين التي يتَّكئ عليها دعاة «التغريب» وأدعياء «التجديد» في ديار المسلمين. كما لم تقُم أيضًا على رفض المجتمع، والاستعلاء عليه، ومعاملته معاملة العدو للعدو، ومخاطبته من بعيد، ومن عَلٍ، بأنف شامخ، وخدٍّ مُصَعَّر، وشعور بالعزلة والاستكبار.

إنما قامت التربية على أساس الاهتمام بالمجتمع، والتفاعل مع أحداثه، والإحساس بآلامه وآماله، بحيث يفرح الأخ المسلم لأفراحه، ويأسى لأساه، ويعمل لإسعاده وإنقاذه وإصلاحه، فهو كالعضو من الجسد، أو كاللبنة من البنيان.

وهكذا صوَّر لنا النبي ﷺ مجتمع المؤمنين: «**المؤمن للمؤمن كالبنيان يشدُّ بعضه بعضا**»(١)، «**مثل المسلمين في توادّهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد**»(٢)، «**مَن لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم**»(٣).

حبُّ الوطن والعمل على رُقيِّه:

والأخ المسلم كذلك محبٌّ لوطنه، عاملٌ على تخليصه من كلِّ غاصب، وتحريره من كلِّ قيد يعوقه عن النهوض بواجبه عزيزًا مستقلًّا.

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري في المظالم (٢٤٤٦)، ومسلم في البر والصلة (٢٥٨٥)، عن أبي موسى.

(٢) متفق عليه: رواه البخاري في الأدب (٦٠١١)، ومسلم في البر والصلة (٢٥٨٦)، عن النعمان بن بشير.

(٣) رواه الطبراني في الأوسط (٧٤٧٣)، والصغير (٩٠٧)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٢٩٤): رواه الطبراني في الأوسط والصغير، وفيه عبد الله بن أبي جعفر الرازي، ضعفه محمد بن حميد، ووثقه أبو حاتم وأبو زرعة وابن حبان. عن حذيفة.

QaradawiBooks.com

يقول الشهيد البنا في رسـالته «دعوتنا في طور جديد»: «إننا مصريون بهذه البقعة الكريمة التي نبتنا فيها، ونشـأنا عليها. ومصر بلد مؤمن تلقَّى الإسلام تلقِّيًا كريمًا، وذادَ عنه، وردَّ عنه العدوان في كثير من أدوار التاريخ، وأخلص في اعتناقه، وطوى عليه أعطف المشـاعر، وأنبل العواطف. وهو لا يصلح إلا بالإسلام، ولا يُداوَى إلا بعقاقيره، ولا يُطبُّ إلا بعلاجه. وقد انتهت إليه ـ بحكم الظروف الكثيرة ـ حضانة الفكرة الإسـلامية، والقيام عليها، فكيف لا نعمل لمصر ولخير مصر؟ وكيف لا ندفع عن مصر بكلِّ ما نسـتطيع؟ وكيف يقال: إن الإيمان بالمصرية لا يتفـق مع ما يجب أن يدعو إليه رجل ينادي بالإسلام ويهتف بالإسلام!»[1] انتهى.

ثالثًا: الوسطية في ميدان الإفتاء والأحكام:

وإذا كان مطلوبـا مـن كلٍّ من الداعيـة والمربِّـي: أن يأخذ الناس بالمنهج الوسط في الدعوة وفي التربية، وينأى بهم عن الغُلوِّ والتطرُّف من ناحية، وعن التفْريط والتسـيُّب من ناحية أخرى، فكذلك يُطلَب من المفتي ورجل الفقـه والأحكام: أن يتَّبع هذا المنهج الوسـطيَّ إذا أفتى الناس فيما يسـألون من أحكام دينهم، في العبادات، أو المعاملات، أو الحلال والحرام، أو علَّمهم ذلك في دروسـه، وإن لم يسـألوه. أو كان قاضيًا يحكم بينهم في قضية من القضايا، أو ألَّف كتابا في فقه العبادات أو المعاملات أو الفقه الجنائي، أو الفقه المالي أو السياسي أو الإداري.

فلا يكون مع المتشـدِّدين الذين يميلون إلى التضييق أبدا في كلِّ شـيء، حتى لا نكاد نسـمع منه ـ أو نقرأ له ـ كلمة «حـلال»، وكأن

(١) انظر: التربية الإسـلامية ومدرسة حسن البنا صـ٧٨-٨٧، نشـر مكتبة وهبة، القاهرة، ط٦، ١٤٣١هـ ـ ٢٠١٠م.

QaradawiBooks.com

الأصل هو التحريم، والحلال طارئ، وهو يُقدِّم الأحوط على الأيسر دائما، وهذا ينتهي به في المُحصِّلة النهائية أو التراكميَّة إلى أن يصبح الدين مجموعة «أَحْوَطيَّات»، وكل أحوط فيها يميل بقدرٍ ما إلى التشديد والإثقال على عباد الله المسلمين، فالنتيجة ستصبح آصارا وأغلالًا على الناس، وهي التي جاء النبيُّ ليضعها عن الناس، بعد أن عاقب الله بها فترة من الزمن أهل الكتاب، كما قال تعالى عن اليهود: ﴿**فَبِظُلْمٍ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَٰتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ كَثِيرًا**﴾ [النساء: ١٦٠].

فوصف الله رسوله في كتبهم ـ في التوراة والإنجيل ـ بأنه: ﴿**يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ**﴾ [الأعراف: ١٥٧].

وكان من الأدعية القرآنية التي علَّمها الله تعالى للمؤمنين أن يدعوه بها: ما جاء في خاتمة سورة البقرة: ﴿**رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ**﴾ [البقرة: ٢٨٦].

والوسطية هنا هي: التيسير الذي يدفع التعسير، والتبشير الذي يردُّ التنفير، دون إخلال بالإتقان أو الإحسان الذي يوجبه الله على عباده في كلِّ شيء، ولا تفريط في حدود الله، ولا في أركان العمل وشروطه التي لا يقبله إلا باستيفائها، ففي الصحيح: «**إن الله كتب الإحسان على كلِّ شيء**»(١). وفي حديث آخر: «**إن الله يحبُّ من أحدكم إذا عمل عملًا أن يتقنه**»(٢).

فقد قال تعالى: ﴿**مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَٰكِن يُرِيدُ**

(١) سبق تخريجه صـ٨٢.

(٢) سبق تخريجه صـ٨٢.

QaradawiBooks.com

لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [المائدة: ٦]، وقال سبحانه: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾ [البقرة: ١٨٥]، وقال: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ [الحج: ٧٨].

وهذا ما نصَّ عليه الأئمة الربَّانيون، والعلماء الراسخون في العلم، الذين لا يغلون مع الغالين، ولا يقصِّرون مع المقصِّرين.

وهو ما اتخذتُه منهجا لي طوال حياتي العلمية، حتى اتَّهمني مَن اتَّهمني بالتساهل في الدين، أو التهاون فيه. ومعاذ الله أن أتهاون فيما أمر الله به أو ما نهى الله عنه، فأُحلُّ ما حرَّم، أو أُحرِّم ما أَحلَّ، أو أُسقط ما فرض. ولكني اتبعتُ المنهج النبوي في التيسير على خلق الله، وقد وجدتُه ﷺ، أكثر الناس تيسيرًا على البشر؛ فما خُيِّر بين أمرين إلا اختار أيسرهما ما لم يكن إثما، وكان ينكر بشدَّة على مَن شدَّد على نفسه، ويقول: «**إن الله عن تعذيب هذا نفسه لغني**»[1].

وقال للصائم الذي ترك رخصة الفطر في السفر، رغم ما عانى من مشقَّة الصيام حتى ظُلِّل عليه، وبدا عليه الإعياء: «**ليس من البر الصيام في السفر**»[2] أي: في مثل هذا السفر.

ويسَّر على الرجل الذي جامع امرأته في نهار رمضان، فنزل به من وجوب صيام شهرين متتابعين عليه، إلى إطعام المساكين «**ستين مسكينًا**»، إلى أن انتهى به إلى أن أخذ هو التمر الذي كان يجب أن يدفعه للمساكين؛ لأنه لا يوجد مَنْ هو أحوج منه[3]!

(١) متفق عليه: رواه البخاري في جزاء الصيد (١٨٦٥)، ومسلم في النذر (١٦٤٢)، عن أنس.
(٢) متفق عليه: رواه البخاري (١٩٤٦)، ومسلم (١١١٥)، كلاهما في الصوم، عن جابر.
(٣) متفق عليه: رواه البخاري (١٩٣٦)، ومسلم (١١١١)، كلاهما في الصوم، عن أبي هريرة.

QaradawiBooks.com

لقد أنكر عليَّ بعض إخواننا المتشـدِّدين: أني وسَّعت دائرة الحلال في كتابي «الحلال والحرام في الإسـلام»، وضيَّقت دائرة الحرام، حتى قال بعضهم ساخرا: كان يجب أن يُسمَّى «الحلال والحلال في الإسلام»! فلمَّا بلغني ذلك، قلتُ لهم: أقترح عليكم أن تؤلِّفوا كتابا مضادا تسمُّونه «الحرام والحرام في الإسلام»!

أجَلْ، على هذا النهج الوسطي كتبتُ «الحلال والحرام» منذ نصف قرن، وعليه مضيتُ في تصنيفي لكتب الفقه كبيرة وصغيرة ومتوسـطة، ومضيتُ في سلسـلة «تيسـير الفقه للمسـلم المعاصر» مثل: «فقه الطهارة»، و«فقه الصيام»، و«فقه الترويح»، و«فقه الغناء والموسـيقى»، ثم في كتابي الأخير الكبير «فقه الجهاد». وكذلك في برامجي في أجهزة الإعلام ولا سـيما في قطر، ابتداءً من برنامجي «نور وهداية» في إذاعة قطر، مرورًا ببرنامج «هَدْي الإسـلام» في تلفزيون قطر، وبرنامـج «المنبر» و«المنتـدى» في تلفزيون أبو ظبي، وانتهاءً ببرنامج قناة «الجزيرة» الشهير «الشريعة والحياة».

ومثل ذلك الإعلام المقروء أو المكتوب، ابتـداءً مما كنتُ أكتبه في مجلة «منبر الإسـلام» التي كانت تصدر مـن «وزارة الأوقاف» المصرية، وكنتُ أكتب فيها بعد خروجي من السجن الحربي باسم «يوسف عبد الله» دون ذكر القرضاوي، خشيةَ أن يعترض رجال المباحث، إلى سلسلة كتبي الكبيرة «فتاوى معاصرة» التي صدر منها أربعة مجلدات. وقد التزمتُ فيها منهجي الذي لم أحِدْ عنه، وهو منهج الوسطية والاعتدال. والحمد لله.

من مقدمة الجزء الثالث من «فتاوى معاصرة»:

ويحسن بي أن أذكر هنا ما كتبتُه في مقدمة الجزء الثالث من «فتاوى معاصـرة»، حيث قلـتُ: (ولم أخرج في هـذا الجزء عـن النهج الذي

QaradawiBooks.com

التزمتُــه، وأيقنتُ أنه الحــق، وهو «النهج الوســط» الــذي يجمع بين النصوص الجزئيَّة والمقاصد الكليَّة للشــريعة، وينظــر إلى تراثنا الغني بعين، وإلى عصرنا ومشــكلاته بالعيــن الأخرى، محتفظًــا بكلِّ قديم صالح، ومُرحِّبًا بكلِّ جديد نافع، ثابتًا في الأهداف والكليات، مرنًا في الوسائل والجزئيات، مُشدِّدًا في الأصول، مُيسِّرًا في الفروع، غير متعصِّب لمذهب من المذاهب، ولا محبوس في مدرسة من المدارس، ولا مبهور بإمام من الأئمة. بل آخذ من الجميع، وأســتفيد مــن الجميع، دون أن أطعن في مذهب أو إمام، فكلُّهــم قدوة، وكلُّهم إلــى خير، حتى إنهم مأجورون على ما أخطؤوا فيه.

المفتي البالغ الذروة مَن يحمل الناس على الوسط:

وقد قرأتُ للإمام الأصولي المحقق أبي إســحاق الشاطبي (ت ٧٩٠هـ) كلمات نيِّرة في الجزء الرابع من «الموافقات» تحثُّ أهل الفتوى على اتِّباع المنهج الوسط، الذي لا طغيان فيه ولا إخســار، قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «المفتي البالغ ذروة الدرجة هــو الذي يحمــل الناس علــى المعهود الوســط فيما يليق بالجمهور، فلا يذهب بهم مذهب الشدَّة، ولا يميل بهم إلى طرف الانحلال.

والدليل على صحــة هذا، أنه الصراط المســتقيم الــذي جاءت به الشريعة، فإنه قد مرَّ أن مقصد الشارع من المكلَّف الحمل على التوسُّط من غير إفراط ولا تفريط، فإذا خرج عن ذلك في المستفتين، خرج عن قصد الشــارع، ولذلك كان ما خرج عن المذهب الوســط مذمومًا عند العلماء الراسخين.

وأيضًا، فإن هــذا المذهب كان المفهوم من شــأن رســول الله ﷺ، وأصحابه الأكرمين، وقد ردَّ عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، التبتُّــل، وقال لمعاذ لما أطال بالناس

QaradawiBooks.com

في الصلاة: «**أفتَّانٌ أنت يا معاذ**»[١]، وقال: «**إنَّ منكم منفِّرين**»[٢]، وقال: «**سدِّدوا، وقاربوا، واغْدُوا وروحوا وشيء من الدُّلجة، والقَصْدَ القَصْدَ تبلغوا**»[٣]، وقال: «**عليكم من العمل ما تطيقون؛ فإنَّ الله لا يملُّ حتى تملُّوا**»[٤]، وقال: «**أحبُّ العمل إلى الله ما دام عليه صاحبه وإن قلَّ**»[٥]، وردَّ عليهم الوصال[٦]. وكثير من هذا.

وأيضًا، فإن الخروج إلى الأطراف خارج عن العدل، ولا تقوم به مصلحة الخلق: أما في طرف التشديد فإنه مهلكة، وأما في طرف الانحلال فكذلك أيضًا؛ لأن المستفتي إذا ذُهِبَ به مذهب العنت والحرج بُغِّض إليه الدين، وأدَّى إلى الانقطاع عن سلوك طريق الآخرة. وهو مشاهد. وأما إذا ذُهب به مذهب الانحلال كان مظنَّة للمشي مع الهوى والشهوة، والشرع إنما جاء بالنهي عن الهوى، واتِّباع الهوى مهلك. والأدلة كثيرة.

فعلى هذا يكون الميل إلى الرخص في الفتيا بإطلاقٍ مُضادًّا للمشي على التوسط، كما أن الميل إلى التشديد مضادٌّ له أيضًا.

وربما فهم بعض الناس أن ترك الترخُّص تشديد، فلا يجعل بينهما وسطًا وهذا غلط، والوسط هو معظم الشريعة وأمُّ الكتاب. ومَن تأمَّل موارد الأحكام بالاستقراء التامِّ عرف ذلك. وأكثر من هذا شأنه ـ من أهل الانتماء

(١) سبق تخريجه صـ٧٢.
(٢) سبق تخريجه صـ١٥٤.
(٣) سبق تخريجه صـ٦٩.
(٤) سبق تخريجه صـ٧٢.
(٥) متفق عليه: رواه البخاري في اللباس (٥٨٦١)، ومسلم في صلاة المسافرين (٧٨٢)، عن عائشة.
(٦) سبق تخريجه صـ٧٤.

QaradawiBooks.com

إلى العلـــم ـ يتعلق بالخلاف الوارد في المســـائل العلميـــة، بحيث يتحرَّى الفتوى بالقول الذي يوافق هوى المستفتي، بناء منه على أن الفتوى بالقول المخالف لهواه تشـــديد عليه، وحرج في حقِّه، وأن الخلاف إنما كان رحمة لهذا المعنى، وليس بين التشـــديد والتخفيف واســـطة. وهذا قلب للمعنى المقصود في الشـــريعة. وقد تقدَّم أن اتِّباع الهوى ليس من المشـــقات التي يترخَّص بســـببها، وأنَّ الخلاف إنما هو رحمة من جهة أخرى، وأن الشريعة حمل على التوسُّط: لا على مطلق التخفيف، وإلا لزم ارتفاع مطلق التكليف من حيث هو حرج ومخالف للهوى، ولا على مطلق التشديد، فليأخذ الموفق في هذا الموضع حذره، فإنه مزلَّة قدم على وضوح الأمر فيه»[1] انتهى»[2].

فقه الإعلام يجب أن يقوم على التيسير والتدرج:

وحين أراد صديقنا الشيخ صالح كامل إنشاء قناة «اقرأ» الإعلامية الإســـلامية، عقد أول «ندوة فقهيـــة إعلامية» في القاهـــرة قبيل افتتاح القناة، وطلب مني أن أفتتحها بمحاضرة في «فقه الإعلام». وكان مما قلتُه في محاضرتي: إن فقه الإعلام يجـــب أن يقوم أول ما يقوم على قاعدتين أساسيتين:

الأولى: قاعدة «التيسير»:

وهذه لا خلاف عليهـــا. من ناحية المبدأ، ولكـــن الخلاف يأتي في التطبيق. فكثيرا ما يردِّد علماء الفقه القواعد المقرَّرة، مثل: المشقَّة تجلب التيســـير، إذا ضاق الأمر اتَّســـع، الفتوى تتغيَّر بتغير الزمـــان والمكان والحال، ولكن عند التطبيق ننساها، وننكر على مَن يراعيها. والتيسير هنا

(١) الموافقات (٢٥٨/٤ ـ ٢٦٠).

(٢) من مقدمة كتابنا: فتاوى معاصرة (٩/٣ ـ ١١)، نشر دار القلم، الكويت، ط١، ١٤٢١هـ.

QaradawiBooks.com

مطلوب في مجالات كثيرة: في قضايا المــرأة، وقضايا الفن، والدراما، والأغاني، والموسـيقى، وغيرهـا. فمَن تبنَّى رأي المتشـدِّدين في هذه القضايا، فأولى له ألا يدخل ميدان الإعلام.

الثانية: قاعدة «التدرج»:

والتدرج سنة كونية، وسنة شرعية، وقد دلَّلنا على ذلك في موضعه، فلا يُتصوَّر أننا نستطيع أن نغيِّر الإعلام الحاضر مما دخله من انحرافات وتجاوزات في التصور والسلوك، في النظر وفي التطبيق، وخصوصا في الأعمال الدرامية، ابتداء من كتابة النصِّ، إلى تحويله إلى سيناريو، إلى إخراجه وتمثيله وتصويره وإنتاجه وتنفيذه وتسـويقه، فلا بدَّ من دخول هذا المعترك والصبر عليه، والتدرُّج فيه، حتى يتطوَّر إلى فن إسـلامي حقيقة، وليس هــذا بالأمر اليسـير، ولكنه ممكــن إذا توافرت الأفكار والعزائم والأيدي والأموال.

وقد ذكر الفقهاء هنــا قصة عمر بن عبد العزيز مــع ابنه عبد الملك الشاب التقي المتحمِّس الذي قال لأبيه يومًا: ما لي أراك يا أبت، تتهاون في إنفاذ الأمور؟! فو الله ما أبالي لو غلت بي وبك القدور في سبيل الله! قال عمر: يا بنيَّ لا تعجل، فإن الله ذمَّ الخمر في القرآن مرَّتين، ثم حرَّمها في الثالثة! وإني أخشــى أن أحمل الناس على الحــقِّ جملةً، فيدفعونه جملةً، فيكون من وراء ذلك فتنة[1]!

وفي رواية أنه قال له: إن قومك قد أحكموا هذا الأمر عُقدة عقدة. أما يسرُّك ألا يمرَّ على أبيك يوم إلا أحيا فيه سنة، أو أمات فيه بدعة[2].

(١) انظر: الموافقات للشاطبي (٩٤/٢).
(٢) رواه أبو نعيم في حلية الأولياء (٢٨٢/٥).

QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

الفصل السادس

حاجة الأمة والبشرية اليوم إلى الوسطية الإسلامية

تبنِّي الوسطية الإسلامية المجدِّدة:

إن أمتنا اليوم تُعَدُّ في ذيل القافلة البشرية، بعد أن كانت في مقدِّمتها، وكلُّ بلادها معتبرة في العالم الثالث، وربما لو كان هناك عالم رابع لدخلت فيه عدَّة أقطار منها. وكلُّها محسوبة ضمن «البلاد النامية»، وكلُّها في حاجة إلى الخروج من هذه المآزق، ومن مشكلاتها الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والثقافية المزمنة. ولن تخرج منها إلا بتبنِّي الوسطية الإسلامية. إنها بذلك تصلح نفسها، وتصلح البشرية معها.

إن البشرية اليوم ـ تحت سلطان الحضارة المادية ـ مهدَّدة بطوفان كطوفان نوح، يمكن أن يأتي على بنيانها من القواعد، ولا بدَّ لها من سفينة كسفينة نوح، بها يعصمها الله من الهلاك والدمار. ولن تكون هذه السفينة إلا رسالة الإسلام، التي جعلها الله رحمة للعالمين، وهداية للحائرين، وأودع الله فيها كلَّ مواريث النبوَّات الهادية، مُصَفَّاة من الزوائد والشوائب والنواقص.

ولكن هذه الرسالة في حاجة إلى أمَّة تُمثِّلها وتتمثَّلها، بحسن فَهم، وعمق إيمان، واستقامة سلوك، وتعطي للبشرية الأسوة والنموذج. كما أعطت أمة الإسلام في القرون الأولى، ودخلت الأمم في دين الله أفواجًا.

نسخة مجانية

أُمّة يتجسَّد فيها الإسلام: توحيدًا خالصًا، وإيمانًا صادقًا، وعلمًا نافعًا، وعملًا صالحًا، وخُلقًا فاضلًا، ودعوة إلى الخير، وتواصيا بالحقّ والصبر، وتعاونا على البرّ والتقوى، ونشـرًا للحبّ والتسامح، وجهادًا في سبيل ذلك كلِّه، حتـى تكون بحقٍّ خير أمة أُخرجت للنـاس، تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر وتؤمن بالله. أمَّة يرى الناس فيها نموذجا حيًّا للمجتمع الإسلامي، الذي طال انتظار ميلاده.

المجتمع الإسلامي بعقائده وتصوُّراته، بشـعائره وتعبُّداته، بأفكاره ومشـاعره، بأخلاقه وفضائله، بآدابه وتقاليده، بقيمه ومُثُله، بتشـريعاته وقوانينه، باقتصـاده وماله، بلهوه وفنونه[1]. وهـو ليس مجتمع ملائكة، ولكنه مجتمع بشر تحكمهم في الأرض هداية السماء، توجِّهُهم العقيدة، وتحكمهم الشريعة، وتقودهم الأخلاق.

أمة وسط، لا تنتمي إلى اليمين ولا إلى اليسار، لا إلى الشرق الشيوعي ولا إلى الغرب الرأسـمالي، أمة متميِّزة الوجهة، مسـتقلَّة الشخصية، ﴿لَّا شَرۡقِيَّةٖ وَلَا غَرۡبِيَّةٖ يَكَادُ زَيۡتُهَا يُضِيٓءُ وَلَوۡ لَمۡ تَمۡسَسۡهُ نَارٞۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٖ﴾ [النور: ٣٥].

أمة لا تعيش لنفسـها، ولا لهمِّ يومها، ولا لملء بطنها، ولا لشهوة فرجها، بل تعيـش لغيرها وتحمل علـى كاهلها همَّ البَشـرية المعذَّبة، والإنسـانية الحائرة، فهي أمَّة ذات رسـالة عالمية، أخرجها الله للناس، وأرسلها برسـالة نبيِّها رحمةً للعالمين، وهدايةً للناس أجمعين، كما قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧]. ولن تسـتطيع هذه الأمة أن تقوم بدروها في إنقاذ البشرية من سـعار الحضارة المادية، إذا

(١) انظر في ذلك كتابنا: ملامح المجتمع المسـلم الذي ننشـده، نشـر مكتبة وهبة، القاهرة، ومؤسسة الرسالة، بيروت.

QaradawiBooks.com

أصابها هي من شـرها وشـرورها ما أصاب الآخرين من أدواء المادية والإباحية والنفعية والأنانية.

لهـذا كان على هذه الأمة أن تُحصِّن نفسـها بالإسـلام، وأن تجدِّد شبابها بالإيمان، وأن تعرض عمَّا تشـكو منه حضارة اليوم من أوصاب وأمراض، وأن تنصر الله لينصرها الله، ويُمكِّن لها في الأرض، ويحقِّق لها وعده: ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ۝ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ﴾ [الحج: ٤٠، ٤١].

لن نصلح بديلًا إذا قلَّدنا حضارتهم:

لن تستطيع أمتنا أن تقدِّم البديل للحضارة المعاصرة، إذا هي قلَّدت هذه الحضارة واتَّخذتها مَثلها الأعلى، واتَّبعت سننها شبرًا بشر، وذراعًا بذراع، كما دعا إلى ذلك مَـن دعا من قومنا، في وقـت من الأوقات، زاعمين أننا لن نسلك سبيل الرقي، ما لم «نَفْنَ» في الأوروبيين، وما لم ننقـل حضارتهم بجذورها وفروعهـا، أو ـ كما قال ـ بخيرها وشـرِّها، وحلوها ومرِّها، ما يُحَبُّ منها وما يُكرَه، وما يُحمَد منها وما يُعاب.

لقد أُريد لنا يومًا أن نتخلَّى عن هُويتنا العربية الإسلامية، لنلحق بالبحر الأبيض المتوسط ـ وبعبارة أخرى ـ بالشاطئ الأوروبي منه. كما يُراد اليوم أن ننسى هذه الهُوية أو نتناساها، لنلحق بما سمَّوه «الشرق الأوسط الجديد أو الكبير»! ـ وهو التعبير البديل للعالم العربي والعالم الإسـلامي ـ حتى ننصهر مع «إسـرائيل» في بوتقة واحدة، وتجمعنا حضارة «شرق أوسطية» جديدة، لا تفرِّق بين عربي وإسـرائيلي، ولا بين إسلام ويهودية! وبذلك نفقد حضارتنا المتميِّزة، ورسالتنا المتفرِّدة، ودورنا المنشود.

QaradawiBooks.com

إنما تستطيع أمتنا أن تقدِّم البديل إذا تمسَّكت «بمشروعها الحضاري المتوازن المتكامـــل»، بجذوره الإيمانية، وفلســفته الأخلاقية، ووجهته الإنسانية، ونزعته العالمية. واستماتت في الحفاظ على هُويتها ورسالتها، وسيكون هذا في صالحها، وصالح البشرية معها.

ليس معنى ذلك: أن تلفظ أُمتنا الحضارة الغربية كلَّها لفظ النواة، وأن تقف موقف الرفض لكلِّ منجزاتها العلمية والعملية، بدعوى أنها حضارة مادية الوجهة، علمانية النزعة، نفعية الصبغة، عدوانية الحركة. فالواقع أن في هذه الحضارة جوانب إيجابية لا بدَّ لنا من الاســتفادة منها، ومن ذلك:

١ ـ العلم وتطبيقاته التكنولوجية، وهو فــي الحقِّ بضاعتنا تُرَدُّ إلينا، فأسسه قد اقتُبســت من حضارتنا، ولكنه اليوم بوثباته الهائلة علم غربيٌّ بلا ريب.

٢ ـ حسن الإدارة والتنظيم لشؤون الحياة، وقد بلغوا فيه مبلغًا عظيمًا. وهو السرُّ وراء نجاحاتهم في شتى الميادين.

٣ ـ العناية بحرية الإنســان الفرد وحقوقه، والشــعوب وحقوقها في الرخاء والأمن والحرية، ووضع الضمانات العملية اللازمة لحمايتها، من مخالب الســلطات الحاكمة وتجاوزاتها، وهذا من حسنات الديمقراطية السياســية الغربية، وإن كان لدينا في أصول حضارتنــا ما يغنينا، ولكن لا بأس بأخذ الأساليب والآليات والضمانات من القوم، والحكمة ضالة المؤمن أنَّى وجدها فهو أحقُّ الناس بها.

فهذه جوانب من حضارة القوم لا يســعنا إغفالها أو الإعراض عنها، وإن كان علينــا أن نُحوِّر فــي كلِّ ما نأخذه منهم، بالحــذف والإضافة

والتعديل، وإضفاء روحنا الإيمانية والإسلامية عليه، حتى يتلاءم مع عقائدنا وقيمنا، وينسجم مع أوضاعنا وتقاليدنا، ويفقد نسبه الأول، ويندمج في كياننا الثقافي ومنظومتنا الحضارية.

وقد أقرَّ النبي ﷺ أشياء كانت في الجاهلية، مثل: بعض أنواع النكاح، والبيوع كالسَّلَم، والشركات كالمضاربة، والعقوبات كالدية. ولكنه أدخل عليها من الشروط والقيود، ما جعلها إسلامية صِرْفًا. كما اقتبس المسلمون من الحضارات المجاورة ما انتفعوا به، بعد أن تركوا من «بصماتهم» عليه، ما جعله جزءًا من النُّظم الإسلامية.

هذا هو الشرط الأول لتقوم أمَّتنا برسالتها الحضارية.

الإسلام الذي نقدِّمه منقذًا للبشرية:

أما الشرط الثاني، فيتعلق بالبديل الذي تقدِّمه أمتنا للعالَم الظامئ، أعني به: الإسلام ورسالته الحضارية. فإنّ كثيرًا من المسلمين ظلموا الإسلام ظلمًا مبينًا، ومسخوه مسخًا شائهًا.

موقف المدرسة التبريرية:

فمن الناس مَن يريد أن يفسِّر الإسلام تفسيرًا يجعله «طبعة عربية» من الحضارة الغربية، فهو يريد أن يأخذ الحضارة الغربية بكلِّ قيمها وتصوراتها وأوضاعها، ولكن بعد أن يخلع عن رأسها «القبعة» ليضع مكانها «العمامة»! وبهذا يغدو «الخواجة» الأوربي ـ أو الأمريكي ـ المادي النفعي الدنيوي «شيخا» عربيا مسلما!

وهذا هو موقف «المدرسة التبريرية»، التي تريد أن تُضْفِي الشرعية على الواقع الذي صنعه الغرب في أوطاننا. وزادت على ذلك، بشرح

QaradawiBooks.com

الإسلام شرحًا يجعل المفاهيم الغربية والقيم الغربية، مفاهيم إسلامية! وقيمًا إسلامية! وسَوْقِ النصوص قسرًا لتأييد هذا التوجُّه.

إن هذا الاعتساف تحريف للإسلام من ناحية، وتنفير للغربيين من الاهتداء بنوره من ناحية أخرى، لأنهم لن يجدوا فيه بديلًا عن حضارتهم التي يشكون من وَيْلاتها، بل سيجدون فيه رُوح هذه الحضارة ولبَّها في ثياب عربية إسلامية!

ليس إسلام الغلاة الذي ينفِّر ولا يبشِّر:

وفي مقابل هؤلاء أناس يُقدِّمون الإسلام في صورة تقشعرُّ من هولها الجلود، وترتعد من قساوتها الفرائص، وتَوْجَل من ذكرها القلوب.

إنه إسلام الغلاة والمتنطِّعين، الإسلام الذي يدعو إلى «الجبرية» في العقيدة، و«الشكلية» في العبادة، و«السلبية» في السلوك، و«السطحية» في التفكير، و«الحَرفية» في التفسير، و«الظاهرية» في الفقه، و«المظهرية» في الحياة!

إنه الإسلام المقطِّب الوجه، العبوس القمطرير، الذي لا يعرف غير العنف في الدعوة، والخشونة في المجادلة، والغلظة في التعامل، والفظاظة في الأسلوب.

إنه الإسلام الجامد كالصخر، الذي لا يعرف تعدُّد الآراء، ولا يعترف بتنوع الاجتهادات، ولا يقرُّ إلا الرأي الواحد، والوجه الواحد، ولا يسمع للرأي الآخر، ولا للوجهة الأخرى، بل يرى أحدهم أن رأيه صواب لا يحتمل الخطأ، وأن رأي غيره خطأ لا يحتمل الصواب.

إنه الإسلام الذي لا يكاد يرى في الإسلام إلا التشريع، ولا يكاد يرى في التشريع إلا الحدود والعقوبات.

QaradawiBooks.com

إنه الإسلام الذي لا يعرف التسامح مع المخالفين في الدين، ولا يقبل الحوار مع المغايرين في الفكر، ولا يأذن بوجود للمعارضين في السياسية.

إنه الإسلام الذي ينظر بريبة إلى المرأة، فهو يدعو إلى حبسها في البيت، وحرمانها من العمل، ومن المشاركة في الدعوة والحياة الاجتماعية، ومنعها من التصويت بلْهَ الترشيح للمناصب السياسية والنيابية.

إنه الإسلام الذي لا يعنيه العدالة في توزيع الثروة، ولا توكيد قاعدة الشورى في السياسة، ولا إقرار الحرية للشعب، ولا مساءلة اللصوص الكبار عما اقترفوه أو سرقوه بالملايين، ولكن يشغل الناس بما سرقه الصغار بالملاليم! وهو يزحم وقته بالجدال في فرعيات فقهية، وجزئيات خلافية، في العبادات أو المعاملات، لا يمكن أن ينتهي فيها الخلاف.

إنه الإسلام الذي يتوسَّع في «منطقة التحريم» حتى يكاد يجعل الحياة مجموعة من المحرَّمات، فأقرب كلمة إلى ألسنة دعاته، وأقلام كتابه: كلمة: «حرام».

إن الإسلام بهذه الصورة القاتمة السوداء ـ الذي يقدِّمه بها نفر من أبنائه المخلصين غالبًا في نيَّاتهم، القاصرين عادة في أفهامهم ـ لن يمكنه القيام بدور «البديل» أو «الوارث» للحضارة الغاربة أو التي توشك ـ وفق سنة الله ـ على الغروب.

ننشد الإسلام الأول:

إن الإسلام المنشود، هو إسلام الأمة الوسط، هو «الإسلام الأول»، إسلام القرآن والسنة، سنة النبي ﷺ، وسنَّة الراشدين المهديين من بعده.

QaradawiBooks.com

إسلام التيسير لا التعسير، والتبشير لا التنفير، والرفق لا العنف، والتعارف لا التناكر، والتسامح لا التعصُّب، والجوهر لا الشكل، والعمل لا الجدل، والعطاء لا الادعاء، والاجتهاد لا التقليد، والتجديد لا الجمود، والانضباط لا التسيُّب، والوسطية لا الغُلو والتقصير.

إسلام يقوم على عقيدة روحها التوحيد، وعبادة روحها الإخلاص، وأخلاق روحها الخير، وشريعة روحها العدل، ورابطة روحها الإخاء، وثمرة ذلك كلِّه حضارة رُوحها التوازن والتكامل، وملاكها الوسطية والتجديد. ومفتاحها الانتفاع بكلِّ قديم صالح، والترحيب بكلِّ جديد نافع.

إن «منهج الوسطية الإسلامية» هو حبل النجاة، وسفينة الإنقاذ اليوم، لأمتنا العربية والإسلامية من التيه والضياع ـ بل الهلاك والدمار ـ الذي يُهدِّد حاضرها ومستقبلها، ويهدِّد البشرية من ورائها، التي تأمل فيها خيرا.

هذا الإسلام وحده هو حبل النجاة لنا وللبشرية من ورائنا، وهو القادر على إنقاذ سفينة الحضارة قبل أن تغرق ونغرق كلنا معها. فهل تستطيع أمتنا أن تقوم بالدور المطلوب منها؟ وبعبارة أخرى: هل تريد أن تقوم بهذا الدور؟ بمعنى أن تتبنَّى الإسلام عقيدة ورسالة ومنهاج حياة، على المنهج الوسطي، فتحسن الفقه له، والإيمان به، والتطبيق له، والدعوة إليه.

هذا ما نأمله ويأمله كلُّ المخلصين، وما ينتظره التاريخ منا، ﴿وَمَنۡ أَحۡسَنُ قَوۡلٗا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ﴾ [فصلت: ٣٣].

ضياع الحقيقة بين طرفين متباعدين:

فمعظم قضايا الأمة الفكرية والعملية الكبرى تضيع فيها الحقيقة بين طرفين متباعدين:

الطرف الأول: طرف الغُلوّ أو التطرُّف أو التشـدُّد أو الإفراط، سمِّه ما تُسمِّيه، المهم أنه هو الطرف الذي يُرهق الأمة من أمرها عُسْرًا، ويوسِّع دائرة المحرمـات، ويقدِّم الأحـوط دائمًا على الأيسـر، ويأخذ بحرفية النصِّ، ولا يُراعي مقاصد الشرع، ويُوقع الأمة في الحرج، ويُعسِّر عليها ما يسَّر الله، ويُعقِّد ما سهَّله الدين، ويُضيِّق ما وسَّعه الشرع، لا يسمح لها برخصة، ولا يبيح لها ما تُوجبه الضرورة، ولا يعرف الظروف المُخَفِّفة، ولا يؤمن بتغيُّر الفتوى بتغيُّـر الزمان والمكان والحـال. ينكفئ على الماضي، ولا يعايش الحاضر، ولا يستشـرف المسـتقبل، أعمق حكمة عنده قول مَن قال: ما ترك الأول للآخر شـيئًا، وليس في الإمكان أبدع مما كان!

لا يقبل الآخر، ولا يحاوره، ولا يتسامح مع مخالف، ولا يرى العالم إلا من منظار أسـود. يرى كلَّ الناس أعداء للإسلام يجب أن يقاتَلوا في عقر دارهم ولو كانوا مسالمين للمسلمين، حتى يسلموا أو يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون. فهو يرى الأصل في علاقات المسـلمين بغيرهم: الحرب لا السِّلْم.

والطرف الآخر: طرف التسـيُّب والتفريـط والتقصير والإضاعة. فلا يكاد يتشبَّث بعقيدة، أو يتمسَّـك بفريضة، أو يُحرِّم حرامًا، الدين عجينة لينة في يديه، يُشـكِّله كيف يشاء، ومتى شـاء، ليس فيه ثوابت، بل كلُّ شـيء فيه قابل لاجتهاد جديد، أو لقراءة جديـدة، تنقله من اليمين إلى

QaradawiBooks.com

اليسار، ومن اليسار إلى اليمين، ما كان ثابتًا يمكن أن يُنفى، وما كان منفيًا يمكن أن يثبت. ما كان حقًّا يمكن أن يصبح باطلًا، وما كان باطلًا يمكن أن يصبح حقًّا! وكيف لا، وقد رفضوا الفقه وأصوله وأئمته، وتلاعبوا بالسنة، أو أنكروها، وعبثوا بالقرآن وتفسيره؟!

دعوى القراءات الجديدة للقرآن وللسنة:

يمكن أن يخرج أصحاب «القراءات الجديدة» للقرآن وللسنة بدين جديد، غير الدين الذي علَّمه الرسول للصحابة، وعلَّمه الصحابة للتابعين. ومضى عليه خير قرون الأمة، وحمله الخَلَف العدول من علماء الأمة وأئمتها الربانيين، وتوارثه الخلف عن السلف، والأحفاد عن الأجداد. ونشأ عليه الصغير، وهرم عليه الكبير. دين جديد يُحرِّم ما استيقنت الأمة بحِلِّه طوال أربعة عشر قرنًا، أو يحلُّ ما استيقنت الأمة بتحريمه طوال هذه القرون، يمكن أن يغيِّر العقائد، ويُبدِّل القيم، ويسقط الفرائض، ويشرع في الدين ما لم يأذن به الله.

وبهذا يمكن أن يكون لكلِّ عصر دين، ولكلِّ بلد دين، بل لكلِّ مجموعة دين، بل لكلِّ شخص دين، فليس الدين أمرًا يجمع الأمة على كلمة سواء، وعلى الاعتصام بحبل الله جميعًا، بل لا يمكن أن تتكوَّن بهذا الدين أمة، لها عقيدة واحدة، وشريعة واحدة، وقيم واحدة، ورسالة واحدة. بل الدين في هذه الحالة يفرِّق ولا يجمع، ويُباعد ولا يقرِّب، ويهدم ولا يبني. لأنه يتعدَّد بتعدُّد المتغيِّرات، والمتغيِّرات تتنوَّع ـ بل تتناقض ـ بتعدُّد الثقافات والمؤثِّرات، المعرفية والفلسفية من العلوم الاجتماعية، والدراسات اللسانية، والأنثروبولوجية والإبستمولوجية، وكل «اللوجيات» المعروفة وغير

QaradawiBooks.com

المعروفة، مما يمكــن أن يتمخَّض عنه الغد القريــب أو البعيد، من ثمرات الحداثة وما بعد الحداثة، وما بعد بعد! كل ما أصَّله الراسخون في العلم من أعلام الأمة وأئمتها الكبار، في أصول الدين، أو أصول الفقه، أو أصول التفسير، أو أصول الحديث: كل هذا دَبْر أذان هؤلاء، وتحت أقدامهم.

إنَّ لهم أئمة خارج أرضنا، ومن غير أمتنا، ولا ملَّتنا ولا ثقافتنا! أئمة «معصومين» يقلِّدونهم، ويأخذون عنهم، ولا يناقشــونهم فيما ذهبوا إليه من دعــاوى؛ لأن كلَّ ما يقولونــه صدق، وكلَّ ما يعتقدونــه حقٌّ! وكلَّ ما يرونه صواب! في حين يعيبون ويشــدِّدون النكيــر على مَن أخذ عن أئمة الأمة، ابتداء مــن الصحابة، وتابعيهم بإحســان، ومَن تخرج على أيديهم من الأئمة الكبار، الذين كانوا مُثُلًا تُحْتذَى في طلب العلم وحُسن فَهمه، وفي تقوى الله، وسلوك سبيل الهداية والخير.

إن هؤلاء التجديديين أو الحداثيين أو المستغربين ـ سمِّهم ما شئتَ ـ يســيرون وراء أئمتهم من الغرب، ويتَّبعون سنتهم شــبرًا بشبر، وذراعًا بذراع، وينقلون عنهــم كلَّ ما يقولون وما يُقــرِّرون، دون اعتراض ولا ملاحظــة، ولا مناقشــة. ثم يزعمــون لنــا ـ ويحلفون ـ أنهــم الأحرار المتحــرِّرون أو المتنوِّرون! وما تحرَّروا إلا من قِيَم الإســلام، ومفاهيم الإسلام؛ إن صحَّ أن يُســمَّى ذلك تحرُّرًا، والحقُّ: أنه التحلُّل لا التحرُّر. إنهم ـ كما سمَّيتهم من قديم ـ عبيد الفكر الغربي.

إنَّ الأمة التــي وصفها الله بالوســط: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةٗ وَسَطٗا﴾ [البقرة: ١٤٣]، وهي معصومة في مجموعها، فلا تجتمع على ضلالة: ترفض منهج هؤلاء المتســيِّبين المُتحلِّلين من العروة الوثقى. كما ترفض منهج

الغلاة المتنطِّعين الذين أخبر رسول الإسلام بأنهم هالكون: «**هلك المتنطعون**» قالها ثلاثا[1].

الميثاق الإسلامي للاتحاد العالمي لعلماء المسلمين:

لهذا كان لزامًا على وَرَثة الأنبياء من العلماء الربَّانيين، الذين يحملون عِلْم النبوة، وميراث الرسالة، ينفون عنه تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين: أن يتبنَّوا منهج الوسطية، ويبيِّنوه للناس، ويدافعوا عنه، ويُجَلُّوا مزاياه، وهو ما تبنَّاه «الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين» وأقرَّه ضمن ميثاقه، المتضمِّن للأصول والمبادئ المتفَق عليها بين المنتمين إليه.

وحين كلَّفني الإخوة في المكتب التنفيذي للاتحاد أن أكتب «الميثاق الإسلامي» للاتحاد، كان نُصْب عيني ـ وأنا أكتبه ـ أن يكون مُجسِّدا للفكر الوسطي، والمنهج الوسطي الذي أدعو إليه، والتجديد جزء من مفهومه، وهو الذي يؤمن به علماء الأمة، ويدعو إليه جمهرة علماء الأمة، الذين يؤمنون بسموِّ عقيدتهم، وبعدالة شريعتهم، ويستلهمون تراثهم، ولا يغفلون عصرهم، والحمد لله، فقد تحقَّق فيه ما يريد العلماء. وأقرَّ إخواني في المكتب التنفيذي، وفي مجلس الأمناء مجمل ما كتبته، إلا بعض ملاحظات تناولته بالتحسين والإضافة والتعديل، حتى ظهر في صورته الأخيرة، وأقرَّه الجميع على اختلاف مذاهبهم. وقد طُبع منه عشرات الألوف من النسخ، وتُرجم إلى عدَّة لغات. وأمست فكرة الوسطية المتكاملة العادلة المتوازنة المجدِّدة من المبادئ المتبنَّاة من قِبَل علماء الأمة.

(١) سبق تخريجه صـ٧٢.

QaradawiBooks.com

المهم هنا: أن نُبقي على حُســن فَهم الوسطية، وأن ننشر فكرتها في العالم، وأن نُربِّي عليها أجيال الأمة، وأن نعمل على تطبيقها على أرض الواقع، حتى يتلاقى العلم والعمل، والفكر والسلوك، والنظر والتطبيق.

وهذه الوسطية بطبيعتها وسطية مجدِّدة، والتجديد جزء منها، لا ينفكُّ عنها، كما سنبيِّن ذلك في الفصل القادم.

* * *

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

الفصل السابع

مفهوم التجديد ومظاهره

وسطية مجدِّدة وتجديد وسطي:

بعد أن ألقينا الضوء على مفهوم «الوسطية»، بقي أن نقول كلمة عن مفهــوم «التجديد». والحق أن التجديد داخل في مدلول الوســطية، كما ننشدها، وكما نفهمها، وكما شــرحناها هنا، كما أن الوسطية داخلة في مدلول التجديد الحقيقي كما ننشده، وكما نفهمه. وأحد معالم الوسطية، كما عرضناها: تجديد الدين من داخله، والاجتهــاد من أهله في محله. فهي وسطية مجدِّدة، وهو تجديد وسطي.

تجديد المسرفين المتسيِّبين:

فليس التجديد المقصود هو تجديد المســرفين والمُتســيِّبين، الذين يريدون أن يبدِّلــوا مرجعيَّة الأمة إلــى غير القــرآن، وزعامتها إلى غير محمد، وقبلتها إلى غير مكة، وقانونها إلى غير الشــريعة. هؤلاء ليسوا بمُجدِّديــن، بل هم مخرِّبون مبــدِّدون. وهم مقلِّــدون لا مُجَدِّدون، هم تابعون للغرب، وليسوا سادة أنفسهم. إنهم يريدون أن يُجدِّدوا كلَّ شيء، وكما قال الدكتور محمد إقبال لبعض هؤلاء: إنَّ الكعبة لا تُجدَّد بجلب حجارة لها من أوربا.

QaradawiBooks.com

وقد ندَّد شوقي بهؤلاء الذين يرفضون كلَّ قديم ولو كان نافعًا، ويرحِّبون بكلِّ جديد ولو كان ضارًّا، فقال في قصيدته عن «الأزهر»:

دع عنك قول عصابة مفتونة ... يجدون كلَّ قديمٍ أمرٍ مُنْكرا
ولو استطاعوا في المجامع أنكروا ... من مات من آبائهم أو عُمِّرا
من كل ساعٍ في القديم وهدمه ... وإذا تقدم للبناية قصَّرا(١)

خصوم التجديد بإطلاق:

وهناك جماعة يرفضون التجديد في الدين مطلقًا، وبعضهم علماء دين كبار. سمعت بعضهم يقول: كيف يُجدَّد الدين؟ هل يطبع القرآن طبعة منقَّحة؟ إن الله قد أكمل لنا الدين، فلا معنى لتجديده. وأعتقد أن الدافع إلى هؤلاء هو خوفهم من استخدام كلمة «التجديد» ذريعة إلى تغيير حقيقة الدين من داخله، وهدمه بأيدي أهله. ولكن إذا صحَّ الحديث بالتجديد، فلا معنى للخوف من أهله، وإنما الواجب تحديد مفهومه، وبيان مضمونه، حتى لا يتلاعب به المتلاعبون، ويعبث بتعاليمه العابثون. وهذا هو موقفنا.

التجديد الحقُّ:

فالتجديد الحق هو الذي يبني على الأصول، ويرتبط بالجذور، ويستلهم التراث، ويستنطق التاريخ، ويصل اليوم بالأمس، ولا يتنكَّر لأسلافه. وإنما يضيف إليهم، وينمِّي تراثهم العلمي والحضاري، ينتقي منه أفضل ما فيه، ويَدَع ما لا خير فيه، أو كما قال السلف: خذ ما صفا، ودع ما كدر. يجمع بين العلم النافع والإيمان الراسخ، يحتفظ بكلِّ قديم راشد، ويُرحِّب بكلِّ جديد صالح، يؤمن بالثبات في الأهداف والغايات، والمرونة في الوسائل والآليَّات.

---

(١) الشوقيات صـ ٣١٨، تعليق د. يحيى الشامي، نشر دار الفكر العربي، بيروت.

QaradawiBooks.com

هذا هـو التجديد الحقُّ: يرفـض موقف «المتغرِّبيـن» الذين يُروِّجون للتغريب باسـم التجديد، ويريـدون أن يُغيِّروا هُويَّة الأمـة تحت عنوان التحديث أو الحداثة. كما يرفض موقف الذيـن يريدون تجميد الأمة، فلا تبتكر في العلم، ولا تبدع في الأدب، ولا تجتهد في الدين، ولا تخترع في الصناعة، ولا تفكِّر تفكيرًا مسـتقلًّا في شـؤون الحياة. هكذا التجديد في نظرنا يكمِّل الوسطية، بل هو جزء منها، كما نلمس ذلك في عدد من معالم الوسطية كما عرضناها. فالوسطية عندنا مجدِّدة، والتجديد عندنا وسطي.

التجديد هو البديل الإسلامي للحداثة الغربية:

«التجديد» هو البديل الإسـلامي لمفهوم «الحداثة» الغربي بوصفه: «مصطلحًا» يحمل مضمونًا ومعاني ودلالات معينة، لا بمفهومه اللغوي. فإن الحداثـة بالمفهوم اللغوي العربي، تعني الجِـدَّة، والتحديث يعني: التجديد. ولهذا ذكرتُ في كتابي «بيِّنات الحل الإسلامي» فصلا عنوانه: نعم للتحديث، لا للتغريب. فالتحديث هنا بمعناه اللغوي وهو ما نقصده تماما بكلمة «التجديد» التي صحَّ بها الحديث النبوي.

ولم نقصد ما تعنيه الحداثة الغربية التي تتضمَّن إنكار الغيبيات، أو تأخيرها عن الصـدارة والأهمية، وتقديم العلم علـى الإيمان، والمنفعة على الأخلاق، والماديات على القيم الروحية.

نرحِّـب بـ «التجديد» الذي يرفض «القديـم المتعفِّن» الذي لا يقوم على دين صحيـح، ولا عقل صريح، ولا على علم راسـخ، وإنما يقوم على الخرافات التـي ينكرها العقـل، والأعراف التي ينكرها الشـرع، والعلاقات التي تنكرها الأخلاق، والأوضـاع التي تنكرها قواطع العلم ومُثُل الحضارة.

QaradawiBooks.com

القرآن والتجديد:

مَن قرأ القرآن الكريم لم يجد في سوره المائة والأربعة عشر، لفظة التجديد لا مصدرًا ولا فعلًا، ومن الناس مَن يعتمد على هذا التتبُّع اللفظي فيجزم بأن القرآن لا يُقِرُّ التجديد. ولكن الراسخين في العلم يعلمون أنَّ العبرة ليست للألفاظ والمباني، بل للمقاصد والمعاني: ولفظة التجديد لا توجد في القرآن حقًّا، ولكن مضمون التجديد ومقصوده نجده في القرآن. إذ المقصود بالتجديد ليس مجرَّد أن تغيِّر الشيء القديم إلى آخر جديد، وإن كان الجديد مثل القديم، أو أدنى منه. بل المقصود أن تنتقل بالشيء من حالة إلى حالة أخرى أفضل وأرقى من الحالة السابقة. وهذا هو المقصود بالتجديد.

الارتقاء إلى الأحسن:

والقرآن يدعو دائمًا إلى الارتقاء إلى «الأحسن»، ويعلق عين المسلم وقلبه ﴿بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾، في الجدال، وفي دفع السيئة، وفي قربان مال اليتيم. يقول تعالى: ﴿وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ [النحل: ١٢٥]، ﴿وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ [فصلت: ٣٤]، ﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ [الأنعام: ١٥٢، والإسراء: ٣٤]. ويؤكِّد القرآن أن الله خلق الناس ليبلوهم ﴿أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [الكهف: ٧]، ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [الملك: ٢]. كما بيَّن القرآن أن الله خلق السماوات والأرض: ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [هود: ٧].

فليس الابتلاء أو الاختبار هنا ليتميَّز الحسن من السيئ، بل ليتميز الأحسن من الحسن، كأنَّ المنافسة ليست بين السيئ والحسن، بل بين الحسن والأحسن. والقرآن يقول: ﴿وَٱتَّبِعُوٓا۟ أَحْسَنَ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن

QaradawiBooks.com

رَبِّكُم﴾ [الزمر: ٥٥]، ويقـول: ﴿فَبَشِّرْ عِبَادِ ۝ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمْ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَـٰبِ﴾ [الزمر: ١٧، ١٨].

تطلُّع المسلم إلى معالي الأمور:

ويقتضي هذا أنَّ المسلم الحقَّ لا يرضى بالدون، ولا بالموقف الهُوْن، ويتطلَّع أبدًا إلى معالي الأمور، ولا يتعلَّق بسفسافها. فهو يحبُّ وينشد دائمًا أن يتحوَّل من الركود إلى الحركة، ومن الضعف إلى القوة، ومن العجز إلى القدرة، ومن المرض إلى الصحة، ومن الهبوط إلى الصعود، ومن العِوَج إلى الاستقامة، ومن السيئ إلى الحسن، ومن الحسن إلى الأحسن، فهذا ما أرشد إليه القرآن. وهذا هو المراد من التجديد: الانتقال من حالة أدنى إلى حالة أعلى. فالقرآن يدعو إلى ذلك بقوة، ويُربِّي الأمة عليه، لأنه كما وصفه منزِّله سبحانه: ﴿يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ﴾ [الإسراء: ٩].

ولذلك أنكر القرآن بشدَّة على الذين يُصِرُّون على اتِّباع آبائهم، وإبقاء الأمر على ما هو عليه، رافضين كلَّ دعوة جديدة تدعوهم إلى منهج أهدى سبيلًا، وأقوم قيلًا، وأصح دليلًا. ولكنهم يَصُمُّون آذانهم، ويغلقون أعينهم، فلا يسمعون ولا يبصرون إلا ما كان عليه الأجداد والآباء، أو السادة والكبراء. قال تعالى منددًا بهم: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ۗ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾ [البقرة: ١٧٠]، ﴿وَقَالُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠﴾ [الأحزاب: ٦٧].

فالمسلم ليس جامدًا على الماضي، ولا متحجِّرًا على ما كان عليه سلفه الأقدمون، وإن كان حقًّا أم باطلًا، بل هو مع الحقِّ يدور معه حيث دار، مكانًا وزمانًا، فإذا وجد حقًّا أو خيرًا، عضَّ عليه بالنواجد، فعمل به، ودعا إليه غيره، ليستفيد منه كما استفاد: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ

QaradawiBooks.com

﴿وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [فصلت: ٣٣]. فهـذا هو ما نفهمه من موقف القرآن من التجديد، وهو موقف الترحيب والتأييد.

التجديد في السنة:

أما التجديد في السنة، فالأمر فيها واضح بلا ريب. وقد جاء في ذلك حديث أبي داود الشهير، الذي رواه في كتاب الملاحم، عن أبي هريرة أن رسـول الله ﷺ قال: «**إنَّ الله يبعث لهذه الأمة على رأس كلِّ مائة سنة مَن يُجدِّد لها دينهـا**»[1]. وقد صحَّحه أئمة هذا الشـأن، وتلقته الأمة بالقَبول، وحاولوا تطبيقه على الواقـع التاريخي، وكان الغالب علـى أفهامهم أنَّ المجدِّد واحد، ولذا اتفقوا عليه في بعض القـرون، واختلفوا في بعضها الآخر، لوجود عدد من الأئمة الذين لهم وزنهم وأثرهم في حياة الأمة.

ولكن هناك مـن العلماء من اتَّجهوا في شـرح الحديث إلى مفهوم أوسـع نطاقًا من المفهوم الشـائع، وهو أن «مَـنْ يُجَدِّد» الـواردة في الحديث، تصلح للجمع، كما تصلـح للمفرد، ولهذا رجَّحوا أن المجدِّد قد يكون أكثر من فرد، بل ربما يكون المجـدِّد أفرادًا عدة، بعضهم من الأمراء العادلين، وبعضهم من العلمـاء المتبحِّرين، وبعضهم من القادة العسكريين، وبعضهم من الزهَّاد المربِّين الصالحين. وحتى مَن كان منهم من العلماء، قد يكون بعضهم فقيهًا يبيِّن الأحكام، وبعضهم محدثًا يدافع عن السنة، وبعضهم مفسِّـرًا يخدم القرآن، وبعضهم متكلِّمًا يحامي عن العقائد، وبعضهم متصوفًا يزكِّي الأنفس، ويقاوم البدع.

---

(١) رواه أبـو داود في الملاحـم (٤٢٩١)، والطبراني في الأوسـط (٦٥٢٧)، والحاكم في الفتن والملاحم (٥٢٢/٤)، وسـكت عنه، ولكن نقل تصحيحه المناوي في فيض القدير (١٨٤٥)، فلعله سقط من المطبوع، وسكت عنه الذهبي. عن أبي هريرة.

QaradawiBooks.com

عمر بن عبد العزيز مجدِّد المائة الأولى:

وقد اتَّفق العلماء الذين عُنُوا بتحديد أسماء المجدِّدين في تاريخ الإسلام، على أن عمر بن عبد العزيز هو مجدِّد المائة الأولى (ت١٠١هـ)، على رغم قِصَر مدة خلافته، فلم تَزِدْ على ثلاثين شهرًا. وتجديد عمر لم يكن في الجانب الفكري، أو العلمي ـ كتجديد الشافعي في رأس المائة الثانية، أو تجديد الغزالي في المائة الخامسة ـ بل كان تجديدُه في مَيْدان العمل والحُكْم، حيث أَبْطَل تقاليدَ الجور، وأحيَا سُننَ العدل، وأزال المظالم، وردَّ الحقوقَ إلى أهلها، ورَفَضَ مطالبَ الطامعين من أهله، وأشاع جَوَّ التقوى لله، والخشية منه، والرغبة فيما عنده، ولهذا اعتبروه خامس الخلفاء الراشدين.

فعل ذلك كلَّه بلا ادِّعاء، ولا تظاهُر، ولا تفاخُر، بل كان يناجي ربَّه راجيًا خائفًا، فيقول: اللهم إنَّ عمر ليس أهلًا أن ينالَ رحمتَك، ولكنْ رحمتُك أهل أن تَنال عمرَ[1]! وقال له مرَّة أحدُ الناس بعد موقف من مواقفه المحمودة: جزاك الله عن الإسلام خيرًا يا أمير المؤمنين، فقال: بل جزى الله الإسلامَ عَنِّي خيرًا[2]! فردَّ الحقَّ لأهله، ووضع الأمر في نصابه، فالإسلام هو الذي صَنَعَ عمرَ، وليس عمرُ الذي صَنَعَ الإسلامَ.

هل المجدِّد فرد أو جماعة؟

وقد كتبتُ في أوائل القرن الخامس عشر الهجري بحثًا عن «التجديد في ضوء السنة النبوية» نشرته مجلة «مركز بحوث السنة والسيرة»، ثم ضمَّنتُه كتابي «من أجل صحوة راشدة تجدِّد الدين وتنهض بالدنيا»، يجمل بي هنا أن أنقل منه ما يناسب المقام.

(١) رواه ابن عساكر في تاريخ دمشق (٤٥/ ٢٢٤)، تحقيق عمرو بن غرامة العمروي، نشر دار الفكر للطباعة والنشر، ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٥م.

(٢) رواه أحمد في الزهد صـ ٢٩٧، نشر دار الكتب العلمية، بيروت.

QaradawiBooks.com

وقد أوردتُ فيه ما ذكره شيخ الإسلام الحافظ ابن حجر في كتابه «فتح الباري في شرح صحيح البخاري» وهو: ما نبَّه عليه البعض: أنه لا يلزم أن يكون في رأس كلِّ قرن واحدٌ فقط، بل الأمر فيه كما ذكره النووي في حديث: «**لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحقِّ**»[1]، من أنه يجوز أن تكون الطائفة جماعة متعدِّدة من أنواع المؤمنين، ما بين شجاع وبصير بالحرب، وفقيه، ومُحدِّث، ومفسِّر، وقائم بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وزاهد وعابد، ولا يلزم اجتماعهم ببلد واحد، بل يجوز اجتماعهم في قطر واحد، وتفرُّقهم في الأقطار، ويجوز تفرُّقهم في بلد، وأن يكونوا في بعض دون بعض، ويجوز إخلاء الأرض كلِّها من بعضهم، أولا فأولا، إلى ألا يبقى إلا فرقة واحدة ببلد واحد، فإذا انقرضوا أتى أمر الله.

قال الحافظ ابن حجر: «وهذا مُتَّجَهٌ، فإنَّ اجتماع الصفات المحتاج إلى تجديدها لا تنحصر في نوع من الخير، ولا يلزم أن جميع خصال الخير كلِّها في شخص واحد، إلا أن يدعى ذلك في عمر بن عبد العزيز، فإنه كان القائم بالأمر على رأس المائة الأولى باتصافه بجميع صفات الخير، وتقدُّمه فيها، ومن ثم ذكر أحمد: أنهم كانوا يحملون عليه الحديث ـ يعني الحديث الوارد في التجديد ـ وأما مَن بعده فالشافعي، وإن اتَّصف بالصفات الجميلة والفضائل الجمَّة، لكنه لم يكن القائم بشأن الجهاد والحكم بالعدل. قال: فعلى هذا كل مَن اتَّصف بشيء من ذلك عند رأس المائة هو المراد، تعدَّد أم لا»[2] انتهى.

---

(١) رواه مسلم في الإمارة (١٩٢٠)، عن ثوبان بهذا اللفظ. وسيأتي تخريجه ص، متفقًا عليه من حديث معاوية.

(٢) فيض القدير (١/١١)، وانظر: فتح الباري (١٣/٢٩٥)، وشرح النووي على مسلم (١٣/ ٦٧)، نشر دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٢، ١٣٩٢هـ.

QaradawiBooks.com

مناقشة وترجيح

وهذا هو الذي أختاره هنا، وهو ما ذهب إليه ابن الأثير والذهبي وغيرهما: أن «مَنْ» في الحديث المذكور، تصلح للجمع كما تصلح للمفرد. وذلك أن «مَنْ» في أصل وضعها صالحة لهذا وذاك، وفي القرآن الكريم: ﴿وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ﴾ [النساء: ١٢٤]، وغيرها من الآيات الدالة على ذلك، وهي كثيرة. إذا عرفنا هذا، فقد يكون المجدِّد فردًا، يهيِّئه الله ليقوم بمهمة الإحياء والتجديد كعمر بن عبد العزيز. وقد قيل: فردٌ ذو هِمَّة، يُحيي أُمّة! وقال الشاعر:

ليس على الله بمُسْتنكر ... أن يَجْمَعَ العالَم في واحد[1]!

وقد يقوم بالتجديد والإحياء جماعة أو مدرسة أو حركة: فكرية، أو تربوية، أو جهادية، يتواصى أهلها بالحقِّ والصبر، ويتعاونون على البرِّ والتقوى. وقد يقوم بمهمة التجديد أفراد أو مجموعات متناثرة، كلٌّ في موقعه، ومجال اهتمامه واختصاصه. هذا في مجال العلم والفكر، وذاك في مجال السلوك والتربية، وثالث في مجال خدمة المجتمع، ورابع في مجال الحكم والسياسة، وآخرون في مجال الجهاد والمقاومة، وكلٌّ على ثُغْرة من ثُغَر الإسلام، اتَّحدت أهدافهم، ومبادئهم، وإن اختلفت مواقعهم وطرائقهم.

اختلاف مناهج العمل الإسلامي وتعدُّد الجماعات العاملة للتجديد:

وهنا أحبُّ أن أنبِّه على أمر ينبغي للعاملين للإسلام من الأفراد والجماعات أن يَعُوه، وهو: أن اختلاف مناهج العمل الإسلامي، وتعدُّد الجماعات العاملة لتجديده، ليس ظاهرة مَرَضية، ولا أمرًا مذمومًا عند

---

(١) البيت لأبي نواس، كما في يتيمة الدهر للثعالبي (١٧٦/١) تحقيق د. مفيد محمد قميحة، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م.

QaradawiBooks.com

الله، ولا عند الذين آمنوا؛ بشرط أن يكون اختلاف تنوُّع وتخصُّص، لا اختلاف تَضَادٍّ وتناقض، بمعنى أن يكون هناك تكامل وتناسق وتعاون بين هذه الأنواع من العمل، بحيث يكمِّل بعضها بعضًا، ويشدُّ بعضها أَزْرَ بعض، وتجمعها القضايا الكبرى، والمواقف المصيرية، لِتُواجه العدو المشترك صفًّا واحدًا كالبنيان المرصوص.

أما أن يحاول كل منهم إثبات نفسه ونفي غيره، ويجعل أكبر همه بناء ذاته على أنقاض العاملين الآخرين، فإنه بذلك يؤدِّي إلى ضعف القوى الإسلامية كلِّها، وتآكلها من داخلها. كما يفتح ثُغْرة للعدو المشترك، ليضرب الجميع، وهو آمنٌ مستريح!

معنى «البعث» في الحديث الشريف:

ويكون معنى «البعث» في الحديث: تهيئة الأسباب المُواتية، وإتاحة الظروف المناسبة، وخلق المناخ الملائم، لظهور حركة التجديد للدين، والإحياء للأمة، وَفْقَ سُنن الله تعالى التي لا تتبدَّل. وليس معنى «البعث» إذن إظهار مُجدِّد بخارقة من الخوارق الكونية، يهبط من السماء بَغْتة، أو تنشق عنه الأرض فجأة، ليغيِّر ما بالناس، وإن لم يغيِّروا هم ما بأنفسهم.

وهذا الذي فهمناه من الحديث، هو الموافق لما جاءت به الأحاديث الأخرى، التي ناطت نُصرة الدين في الزمن بطائفةٍ تقوم على الحقِّ، لا بفرد واحد، كما في الحديث الصحيح المعروف: «**لا تزال طائفة من أمتي قائمة بأمر الله، لا يضرُّهم مَنْ خذلهم أو خالفهم حتى يأتيَ أمر الله وهم كذلك**»(١)، وقد ورد عن عدد من الصحابة بألفاظ متقاربة.

(١) متفق عليه: رواه البخاري في المناقب (٣٦٤١)، ومسلم في الإمارة (١٠٣٧) (١٧٤)، عن معاوية.

QaradawiBooks.com

بل هو الموافق لما في كتاب الله تعالى حيث يقول: ﴿وَمِمَّنْ خَلَقْنَآ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ﴾ [الأعراف: ١٨١]. وقد ورد: هذه الآية لكم، يعني المسلمين، وقد أعطى القوم بين أيديكم مثلها(١). يشير إلى قوله تعالى في السورة: ﴿وَمِن قَوْمِ مُوسَىٰٓ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٩].

وهذا الذي جاء به الخبر الإلهيُّ، جاء بمثله الأمر الإلهي في مثل قوله تعالى: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٤]، ويؤكِّده مثل قوله تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ﴾ [المائدة: ٢]، وقوله: ﴿وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ﴾ [العصر: ٣]، وقوله سبحانه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ﴾ [الصف: ٤]، وقوله ﷺ: «**يد الله على الجماعة**»(٢)، وفي بعض الروايات «**مع الجماعة**»(٣).

حاجة الفرد إلى معونة غيره:

والحقُّ أنَّ الفرد مهما تكن مواهبه، ومهما يكن عطاؤه، فهو محدود الطاقة والقدرة، ما لم يكن معه أعوان يشدُّون أزْرَهُ، ويقوُّون أمره، فالمرء قليلٌ بنفسه، كثيرٌ بإخوانه، ضعيفٌ بمفرده، قويٌّ بجماعته وأعوانه. ولهذا قال موسى عليه السلام ـ وهو القويُّ الأمين ـ حين كلَّفه الله بالرسالة: ﴿وَٱجْعَل لِّى وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِى ۝ هَٰرُونَ أَخِى ۝ ٱشْدُدْ بِهِۦٓ أَزْرِى ۝ وَأَشْرِكْهُ فِىٓ أَمْرِى ۝ كَىْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا ۝ وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا ۝ إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرًا﴾ [طه: ٢٩ ـ ٣٥]، وقال الله تعالى في جوابه: ﴿سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَٰنًا﴾ [القصص: ٣٥].

(١) رواه الطبري في التفسير (٢٨٦/١٣).

(٢) رواه النسائي تحريم الدم (٤٠٢٠)، والطبراني (١٤٤/١٧)، عن عرفجة بن شريح.

(٣) رواه الترمذي في الفتن (٢١٦٦)، وقال: حسن غريب. وصححه الألباني في إصلاح المساجد (٦١)، عن ابن عباس.

QaradawiBooks.com

وهذا يدلُّنا على أنَّ الفرد مهما قوي، يحتاج إلى معونة غيره، حتى يشتدَّ عضده. وأصرح من ذلك وأوضح قول الله تعالى لرسوله محمد ﷺ: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِۦ وَبِٱلْمُؤْمِنِينَ ۞ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ﴾ [الأنفال: ٦٢، ٦٣]. فقد منَّ الله عليه بأنه أيَّده بنصره وبالمؤمنين المؤتلفة قلوبهم على غاية واحدة وعقيدة واحدة، أي: أيَّده بالجماعة المؤمنة المترابطة.

أخطاء في فهم الحديث:

وإذا فهمنا الحديث هذا الفهم، لم نعد في حاجة إلى انتظار «مُجدِّد» أو «مهديٍّ» فرد، يهبط من السماء في علبة مغلقة، دون أي جهد أو سعي منا. ولم نعد في حاجة إلى أن يدَّعي واحد من الناس: أنه مُجدِّد القرن الأوحد، فيقبل منه قوم ويرفضه آخرون، كما فعل الجلال السيوطي رَحِمَهُ اللَّهُ، حين ادَّعى أنه مُجدِّد المائة التاسعة، فأنكر عليه كثيرٌ من معاصريه، مع أنه أهل للتجديد كالذين عُدُّوا في المجدِّدين. ولم نعد في حاجة إلى أن يدَّعي واحد، أو فئة لزيد أو عمرو من الناس أنه مُجدِّد المائة العاشرة أو الرابعة عشرة أو الخامسة عشرة، لا شريك له، ولا نظير له، فيقبله مَن كان على مذهبه أو مشربه، ويوسعه الآخرون تهكمًا وسخرية.

ولم نعد في حاجة إلى أن ينتصب كلُّ فريق لترشيح مُجَدِّد منه، فأهل الحديث يرشِّحون محدِّثًا، وعلماء الكلام يقدِّمون متكلمًا، ورجال الفقه لا يذكرون إلا فقيهًا، وكلُّ جماعة يقدمون فقيهًا من مذهبهم، فالشافعية يقدمون شافعيًّا، والحنابلة يرشِّحون حنبليًّا، وهكذا نجد المهتمِّين بالسياسة يرشِّحون خليفة أو أميرًا، والمهتمِّين بالجهاد يرشِّحون قائدًا عسكريًّا.

QaradawiBooks.com

اشتراك الأمة كلها بالتجديد المنشود:

إننا بهذا الفَهم نشرك الأمة كلَّها في التجديد المنشود، فهي التي تفرز المُجدِّدين، وتَصْقلهم، وتحرِّكهم، وتهيئ الظروف المناسبة لظهورهم وحركتهم، وهي التي تساعدهم على تحقيق آمالهم، وإزالة العَقَبات من طريقهم، وتمدُّهم بالزاد والوقود في رحلتهم الطويلة إلى ما ينشدون. وهي التي تُعطي كلَّ فرد موقعه في قافلة التجديد، ليحرسه ويرعاه كما جاء في الأثر: كلُّ رجل من المسلمين على ثُغْرة من ثغر الإسلام، الله الله لا يؤتى الإسلام من قِبَله[1].

وهنا يصبح سؤال كلِّ مسلم: ماذا يكون دوري في حركة التجديد؟ وما واجبي نحوه؟ بدل أن يكون كلُّ همِّه وسؤاله: متى يظهر المجدِّد، لأدعو له أو أسير من خلفه؟!

متى يقع التجديد؟

ولكن متى يقع التجديد؟ إنَّ الحديث حدَّد للتجديد وقتًا هو «رأس كل مائة سنة». ورأس الشيء أعلاه، ورأس السنة أولها. وقد تساءل الشرَّاح هنا عن بداية المائة، فقال المناوي: يحتمل من المولد النبوي، أو من البعثة، أو الهجرة، أو الوفاة. ولو قيل: بأقربية الثاني (أي البعثة) لم يبعُد، لكن صنيع السبكي وغيره مصرح بأن المراد الثالث[2] (أي الهجرة) اهـ. وذلك أنهم في حديثهم عن المجدِّدين اعتبروا التاريخ الهجري هو الأساس، وهو معقول؛ لأنه التاريخ الذي ألهم الله المسلمين منذ عهد عمر أن يؤرخوا به دون غيره، فلم

(١) رواه محمد بن نصر المروزي في السنة (٢٩)، وإسناده حسن.
(٢) فيض القدير (٢/٢٨١، ٢٨٢).

QaradawiBooks.com

يعتمدوا المولد ولا البعثة ولا الوفـــاة، وبين الميلاد والوفاة أكثر من ستين سنة.

ويلاحظ أنهم جعلوا العبرة بوفاة المجدِّد في رأس القرن، كما يوضح ذلك تاريخ وفيات الذين عيَّنوهم للتجديد، فعمر بن عبد العزيز (ت١٠١هـ)، والشـــافعي (ت٢٠٤هـ)، والباقلانـــي (ت٤٠٣هـ)، والغزالـــي (ت٥٠٥هـ)، والرازي (ت٦٠٦هـ)، وابن دقيق العيد (ت٧٠٣هـ)، والعراقي (ت٨٠٨هـ). ولم يذكروا إمامًا مثـــل ابن تيمية برغم حركتـــه التجديدية الضخمة في الفكر الإســـلامي بمختلف جوانبه؛ لأنه تأخرت وفاتـــه عن رأس المائة (ت٧٢٨هـ). والحديث لم يقـــل: إن الله يتوفَّى المجدِّد على رأس القرن، بل يبعثه على رأس القرن، ومعناه: أن مهمته تبدأ في رأس القرن، وليست تنتهي عنده.

وقد رأيتُ العلامة المناوي نبَّه على هـــذا المعنى، فقال: «وهنا تنبيه ينبغي التفطُّن له، وهو أنَّ كلَّ من تكلَّـــم على حديث: «إنَّ الله يبعث...» إلخ، إنما يقرِّره بناءً على أنَّ المبعوث على رأس القرن يكون موته على رأســـه. وأنت خبير بأن المتبادَر من الحديث إنمـــا هو: أن البعث ـ وهو الإرسال ـ يكون على رأس القرن، أي أوله. ومعنى إرسال العالم: تأهُّله للتصدِّي لنفع الأنام، وانتصابه لنشـــر الأحكام. وموته على رأس القرن أخذٌ لا بعث! فَتَدَبَّرْ بإنصاف. قال: ثم رأيت الطيبي قال: المراد بالبعث مَن انقضت المائة، وهو حيٌّ عالم مشهور مشار إليه.

والكرماني قال: قد كان قبيـــل كل مائة أيضًا من يُصحِّح ويقوم بأمر الدين، وإنما المراد مَن انقضت المائة وهو حيٌّ عالم مشار إليه. بل ذكر المناوي: أنه قد يكون في أثناء المائة من هو كذلك، بل قد يكون أفضل

QaradawiBooks.com

من المبعوث على رأس القرن، وأن تخصيص رأس القرن، إنما هو لكونه مظنَّة انخرام علمائه غالبًا، وظهور البدع، ونجوم الدجالين»[1].

وهو كلام وجيه.

والذي أراه: أنَّ الحديث يفيد أنه لا يبزغ قرن، إلا ويبزغ معه فجر جديد، وأمل جديد، وبعث جديد، حتى تستقبل الأمة المسلمة القرن بقلوب يحدوها الرجاء في غد أفضل، وعزائم مُصمِّمة على عمل أمثل، ونيَّات صادقة في تغيير الواقع بما يوافق الواجب، وخصوصا أنَّ المفروض في الأمة أن تقف على رأس القرن مع نفسها وقفة محاسبة وتقويم، محاولة أن تستفيد من ماضيها، وتنهض بحاضرها، وترقى بمستقبلها، مُبتهلةً إلى ربِّها أن يكون يومها خيرًا من أمسها، وغدها خيرًا من يومها.

ولم ينفِ الحديث وجود مُجدِّدين في أواسط القرن وأواخره، بل هذا هو الواقع الملحوظ لمَن يقرأ تاريخ هذه الأمة، ويجد من المجدِّدين أمثال الأئمة: أبي حنيفة ومالك وابن حنبل، والبخاري ومسلم وأبي داود والترمذي، وإمام الحرمين، والعز بن عبد السلام، والقرافي، وابن الجوزي، وابن تيمية، وابن القيم، والشاطبي، وابن الوزير، وابن حجر، والدهلوي، والشوكاني، ونور الدين محمود الشهيد، وصلاح الدين الأيوبي، وغيرهم من الأعلام.

مَن المجدَّد له؟

أما المُجدَّد له، كما بيَّن الحديث، فهو «هذه الأمة»، وهي الجماعة المحمدية، كما قال المناوي: وأصل «الأمة» الجماعة، مفرد لفظًا، جمع

(١) فيض القدير (١/١٠).

QaradawiBooks.com

معنى، وقد يختص بالجماعة الذين بعث فيهم نبي، وهم باعتبار بعثته فيهم، ودعائهم إلى الله، يسمون «أمة الدعوة»، فإن آمنوا كلًّا أو بعضًا، سُمِّيَ المؤمنون «أمة الإجابة»، وهم المراد هنا، بدليل إضافة الدين إليهم في قوله: «دينها»[1].

فكلمة «لهذه الأمة» إشارة إلى أمَّة الإسلام، أمَّة الإجابة، على امتداد قرونها وأجيالها، كأن النبيَّ ﷺ يستحضرها أمامه، ويشير إليها بقوله: «هذه الأمة». وهي الأمة المذكورة في القرآن الكريم، في قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ [البقرة: ١٤٣]، ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١١٠].

أمة مسلمة واحدة:

ولا يعرف القرآن ولا السنة أمة غير الأمة الإسلامية، وهي أمة واحدة كما أمر الله تعالى، وإن اختلفت أجناسها وألوانها وأوطانها: ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٩٢]، ﴿وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱتَّقُونِ﴾ [المؤمنون: ٥٢]. ولا يجوز أن نقول كما يقول بعض الناس: «الأمم الإسلامية»، فليس في الإسلام «أمم»، بل «أمة» واحدة، ولكن هناك «شعوب إسلامية» داخل هذه الأمة.

التجديد المطلق الكامل:

والتجديد المطلق الكامل هو الذي يغطِّي مساحة الأمة الإسلامية كلَّها، ويؤثِّر فيها جميعًا، كما أن التجديد الكامل هو الذي يشمل العلم

(١) فيض القدير (١٠/١).

QaradawiBooks.com

والعمـل معًا، وقد رأينا هذا فـي مثل عمر بن عبد العزيز، والشـافعي، والغزالي، ونحوهم، ممَّن أثَّروا في محيط الأمة المسلمة جمعاء، وإن كان تأثيـر كل منهم في جانـب أو أكثر من جوانب الحياة الإسـلامية. ولكن التجديد قـد يكون جزئيًّا، خاصًّا بجانب مـن جوانب الحياة، أو بقطر من الأقطار، أو بفئة من الفئات، أو نحو ذلك، وقد يتَّسع لأكثر من جانب وأكثر من فئة، وأكثر من بلد.

وقد اعتبر العلامة أبو الأعلـى المودودي في كتابـه «موجز تاريخ تجديد الدين وإحيائه»: أن كلَّ المجددين الذين ظهروا في التاريخ كانوا «مجددين جزئيين» أي: كان تجديدهم في ناحيـة واحدة، وأن «المجدد الكامل» يتمثَّل في «المهـدي المنتظر»[1]. وهو ينبنـي على أن المجدِّد شخص واحد وهو ما ناقشناه، وعلى التسـليم بعقيدة «المهدي»، وفيها كلام كثير، وهو يتضمَّن يأسًـا مطلقًـا من أيِّ تجديد كلـيٍّ حتى يأتي «المهدي»، وهو ما لا نوافقه عليه، رَحِمَهُ اللَّهُ.

ما الدينُ المُجدَّد؟!

أما «المُجدَّد» في الحديث فهـو «الدين». ولكن ما المراد بـ «الدين» في الحديـث؟ وكلمة «الدين» ومثلها كلمة «الإسـلام» إذا أُطلقت تعني أحد أمرين:

أولهما: المنهج الإلهيُّ الذي بعث الله به رسوله، وأنزل به كتابه، من العقائد والعبادات والأخلاق والشرائع، لينظِّم بها علاقة الإنسان بربه، وعلاقة الناس بعضهم ببعض، وهـو ما عبَّر عنه التهانوي بأنه:

(١) انظر: موجز تاريـخ تجديد الدين وإحيائه للمـودودي صـ ٦٠ وما بعدها، نشـر دار الفكر الحديث، بيروت، ط ٢، ١٣٨٦هـ ـ ١٩٦٧م.

QaradawiBooks.com

وضعٌ إلهيٌّ سائق لذوي العقول السليمة باختيارهم، إلى الصلاح في الحال، والفلاح في المآل[1]. وهذا المعنى ـ بالنظر إلى أسسه وأصوله ـ ثابت لا يقبل التغيير ولا التجديد من حيث هو حقيقة خارجية.

والثاني: الحالة التي يكون عليها الإنسان في علاقته بالمعنى الأول فكرًا وشعورًا، وعملًا وخُلقًا، وفي هذا المعنى يقال: فلانٌ ضعيف الدين أو قويه، حسن الإسلام أو رديء الإسلام. والدين هنا متغيِّر متحرِّك، فهو يزيد وينقص، ويضعف ويقوى، ويصفو ويكدر، ويستقيم وينحرف، بحسب فَهم الإنسان له، وإيمانه به، والتزامه بتعاليمه. وهذا المعنى هو الذي يقبل التجديد، ولا غرو أن جاء الدين في الحديث الذي معنا مضافًا إلى الأمة، وليس مضافًا إلى الله «ليجدِّد لها دينها»، فالتجديد ينصبُّ على دين الأمة، وليس على دين الله تعالى.

معنى التجديد:

وبهذا نرى أنه لا معنى لإنكار بعض العلماء عبارة «التجديد» في الدين، وتوجسهم خيفةً أن يستخدمها بعض المنحرفين فيما لا يقبله الإسلام، فلسنا أحرص على الدين ممَّن بعثه الله به، وقد نطق بهذه الكلمة وصحَّ بها الحديث، فلم يعد يسع مسلمًا أن يتخوَّف من استعمالها، وإنَّما المهم هو تحديد مدلولها؛ حتى لا يستخدمها كلُّ فرد أو كلُّ فريق كما يحلو له، تبعًا لفكره أو هواه. فما معنى التجديد هنا؟

(١) كشاف اصطلاحات العلوم والفنون للتهانوي (٨١٤/١)، نشر مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، ط١، ١٩٩٦م.

QaradawiBooks.com

نقل العزيزي في شرحه للجامع الصغير للسيوطي، عن العلقمي: أنَّ معنى التجديد: إحياء ما اندرس من العمل من الكتاب والسنة والأمر بمقتضاهما(١). فجعل التجديد ينصبُّ على «العمل».

وقال المناوي في معنى «يُجدِّد»: يبيِّن السنة من البدعة، ويكثر العلم، وينصر أهله، ويكسر أهل البدعة ويذلهم(٢). فجعل التجديد مُنْصبًّا أول ما ينصبُّ على «العلم» و«البيان». وفي مقام آخر قال: يُجدِّد ما اندرس من أحكام الشريعة، وما ذهب من معالم السنن، وما خفي من العلوم الظاهرة والباطنة(٣). وهو يشمل العلم والعمل. والتجديد المطلق يشمل العلم والعمل جميعًا.

وأودُّ أن أُنبِّه هنا على معنى مهمٍّ في قضية التجديد، وهو: أن التجديد لشيء ما، هو محاولة العودة به إلى ما كان عليه يوم نشأ وظهر، بحيث يبدو مع قدمه كأنه جديد، وذلك بتقوية ما وَهَى منه، وترميم ما بليَ، ورتق ما انفتق، حتى يعود أقرب ما يكون إلى صورته الأولى. فالتجديد ليس معناه تغيير طبيعة القديم، أو الاستعاضة عنه بشيء آخر مستحدَث مبتكَر، فهذا ليس من التجديد في شيء.

ولنأخذ لذلك مثلا في الحسيَّات؛ إذا أردنا تجديد مبنى أثريٍّ عريق، فمعنى تجديده: الإبقاء على جوهره وطابعه ومعالمه، وكل ما يبقي على خصائصه، وترميم كل ما أصابه من عوامل التعْرية، وتحسين مداخله، وتسهيل الطريق إليه، والتعريف به، إلخ. وليس من التجديد في شيء أن نهدمه، ونقيم عمارة ضخمة على أحدث طراز مكانه.

---

(١) السراج المنير للعزيزي (٤١١/١).

(٢) فيض القدير (١٠/١).

(٣) المرجع السابق (٢٨١/٢، ٢٨٢).

نسخة مجانية غير مرخصة للطباعة
QaradawiBooks.com

العودة بالدين إلى ما كان عليه يوم نشأ وظهر:

وكذلك الدين: لا يعني تجديده إظهار طبعة جديدة منه، بل يعني العودة به إلى حيث كان في عهد الرسول ﷺ، وصحابته، ومَن تبعهم بإحسان. وهذه العودة لا تُخيف، كما يتوهَّم بعض الناس، إنها في الحقيقة العودة إلى الأصل، إلى المنبع، إلى التيسير لا إلى التعسير، إلى التبشير لا إلى التنفير، إلى الاهتمام باللباب لا الوقوف عند القشور.

فقه الصحابة والتابعين:

إن الذي يقرأ فقه الصحابة والتابعين يجد أنهم أفقه الناس لروح الإسلام ومقاصده، ولم يكونوا حرفيين، ولا شكليين. كانوا ملتزمين كل الالتزام بشرع الله، ومع هذا كانوا يجتهدون في أحكام الوقائع بروح سمحة، تُعلم الناس أن الله لم يشرع دينه إلا لمصلحة عباده، وأنه يريد بهم اليسر ولا يريد بهم العسر، وكان منهجهم كما عبَّر عنه سيدنا علي رضي الله عنه، ترجيح «النمط الأوسط» الذي يلحق به التالي، ويرجع إليه الغالي.

الفقه هو مفتاح التجديد للدين:

إنَّ مفتاح التجديد للدين هو: الوعي والفهم، وبعبارة إسلامية صميمة هو: الفقه، ولا أعني بالفقه المعنى الاصطلاحي المعروف، وهو ما يتعلق بمعرفة الأحكام الفرعية من الوضوء والصلاة والرضاع والزواج والطلاق فقط، وإن كان هذا مطلوبًا ومحمودًا، ولكن أعني بالفقه: مفهومه القرآني والنبوي، وهو المذكور في قوله تعالى: ﴿قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْأَيَٰتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ﴾ [الأنعام: ٩٨]، وهو الذي نفاه الله عن المشركين وغيرهم من أعداء المسلمين حين وصفهم بأنهم: ﴿قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ﴾ [الأنفال: ٦٥]، وقال عن أهل جهنم:

QaradawiBooks.com

﴿لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٧٩]، وقال تعالى: ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِي ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓاْ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ [التوبة: ١٢٢]. وقال ﷺ: «**مَن يرد الله به خيرًا يفقهه في الدين**»(١).

الفقه في الكون وفي الدين:

والفقه هنا كما يدلُّ عليه القرآن والسنة فقهان: فقه في الكون، وفقه في الدين، فالأول: يعني الفَهم عن الله فيما خلق. والثاني: يعني الفهم عن الله فيما شرع.

الفقه في الكون يُراد به: الفقه لآيات الله في الأنفس والآفاق، ولسننه التي لا تتبدَّل في الكون والإنسان، كما يدلُّ على ذلك سياق الآيات الكريمة.

والفقه في الدين هنا يعني المعرفة الواعية التي نحصل عليها بعد دراستنا المتفحِّصة للإسلام من ينابيعه الصافية، ومن مصادره الربَّانية، بحيث يُفهم فهمًا سليمًا، خالصًا من الشوائب، بعيدًا عن غُلوِّ المتطرفين، وتقصير المُضيِّعين، مسترشدين بهدي الجيل الأول الذين كانوا أفهم الناس لمقاصد الإسلام، وأعرفهم بكليَّاته، وأحرصهم على التزامه والعمل به. غير غافلين عما تميَّز به الإسلام من الشمول والاعتدال والتيسير، مفرِّقين بين الكليات والجزئيات، وبين الأصول والفروع من الأحكام، مُميِّزين بين ما شأنه الثبات والخلود، وما شأنه المرونة والتغيُّر، مُفرِّقين بين مراتب الأعمال ودرجاتها في ميزان الشرع، حسنات كانت أو سيئات، فليست الأركان كبقية الفرائض، وليست الفرائض كالواجبات، ولا الواجبات كالسُّنن الرواتب، ولا الرواتب كالمستحبَّات.

(١) متفق عليه: رواه البخاري في العلم (٧١)، ومسلم في الزكاة (١٠٣٧)، عن معاوية.

QaradawiBooks.com

ومن ناحية أخرى: ليس الكفر كالمعاصي وإن كانت كبائر، وليست كبائر المحرمات كصغائرها، وليست الصغائر المتفق عليها كالمشتبهات المختلف فيها، وليست المحرمات كالمكروهات، ولا المكروه تحريمًا كالمكروه تنزيهًا، ولا المكروه تنزيهًا كخلاف الأَوْلى، ولكلِّ عملٍ مرتبتُه، ولكلِّ مرتبةٍ حكمُها.

خطورة تذويب الفروق بين مراتب الأعمال:

ومن أعظم الخطل والخطر: تذويب الفروق بين هذه المراتب والأعمال، واعتبار الجميع شيئًا واحدًا، فإن الجمع بين ما فرَّق الله، كالتفريق بين ما جمعه الله، كلاهما لا يجوز.

الحاجة إلى تجديد الاجتهاد بنوعيه: الترجيحي والإبداعي:

ونحن في القرن الخامس عشر الهجري في حاجة إلى تجديد فكري ثقافي واسع عميق، تجديد يعيد للاجتهاد حياته ونشاطه من جديد، والاجتهاد بنوعيه: الترجيحي الانتقائي، والإبداعي الإنشائي. اجتهاد يضع للمشكلات المعاصرة حلولها من داخل شريعة الإسلام، ويصف لأدواء مجتمعاتنا أدويتها الناجعة من صيدلية الإسلام نفسه، لا من مصنوعات الغرب العلماني، أو الشَّرق الإلحادي.

واجب المجامع العلمية وكليات الشريعة:

وهذا يوجب على المجامع العلمية المعنيَّة بهذا المجال أن تُعين على ذلك، ولا تضيق صدرًا بالآراء الاجتهادية، كما يجب على كليات الشريعة أن تجعل مناهجها وكتبها ودراساتها في الفقه وأصوله وتاريخه ـ وبخاصة فقه القرآن والسنة في ضوء المقارنة العلمية ـ قادرة على

QaradawiBooks.com

تكوين العقلية الفقهية المستقلة، المرشحة للاجتهاد في مجالاته الانتقائية والإنشائية، الكلية والجزئية، وأن تُنمِّي قدرات النابهين من طلابها، وتُقوِّي عزائمهم على المُضيِّ في هذا الطريق.

عرض الإسلام بلغة العصر:

تجديد قادر على أن يعيد عرض الإسلام بلغة العصر، مخاطبًا كلَّ قوم بلسانهم، واعيًا لخصائص العصر، وخصائص الإسلام، وخصائص الأقوام، مدركًا المفهوم الأوسع والأعمق لقول الله تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمۡ﴾ [إبراهيم: ٤].

فليس معنى الآية أن نكلم الإنجليز بالإنجليزية، والصينيين بالصينية فحسب، بل أن نعرف كيف ندخل إلى عقل الإنجليزي وقلبه، وكيف ندخل إلى عقل الصيني وقلبه، ولكلٍّ منهما مدخل قد يصلح له، ولا يصلح للآخر. وهذا يعني تطوير أجهزة الدعوة وأساليبها وقدرات رجالها، وَفْقًا لما يتطلَّبه العصر، ويوجبه الإسلام، ويحتِّمه ما يصنعه الآخرون. والحديث إلى قوم وصلوا إلى سطح القمر، غير الحديث إلى مَنْ يعيشون في الأدغال؛ فلهؤلاء لسان، ولأولئك لسان، ولا بد أن نعرف لسان كلِّ قوم لنعقل عنهم، ونبيِّن لهم.

إعادة النظر في العلوم الإنسانية والاجتماعية:

تجديد يعيد النظر في العلوم الإنسانية والاجتماعية من خلال منظور إسلامي صحيح، مستمد من فلسفة الإسلام الكلية، ونظرته إلى الدين والحياة والإنسان والمجتمع والتاريخ، ومستفيد من كلِّ المدارس القائمة، ومن نتائج بحوثها وتحليلاتها، دون أن يكون أسيرًا لفلسفة

QaradawiBooks.com

واحدة منها، أو لفلسفاتها جميعًا. وهذا ما يقوم به إخواننا في «المعهد العالمي للفكر الإسلامي» من الدعوة إلى «إسلامية المعرفة»، ولا سيما في ميادين الدراسات الإنسانية والاجتماعية، حتى تقوم مدارس إسلامية في علم النفس، والتربية، والاجتماع، والسياسة، والاقتصاد، والنقد الأدبي، وغيرها. وقد أقاموا ندوات فكرية، وحلقات بحثية، ومؤتمرات علمية، وأصدروا عددا كبيرا من الكتب النافعة في مختلف الاختصاصات، كان لي شرف المشاركة في بعضها.

تحرُّر الجامعات من رِبقة التقليد للفكر الغربي:

وهذا يعني: أن تتحرَّر جامعاتنا من رِبقة التقليد للفكر الغربي بشقيه الليبرالي والماركسي، وأن ترجع إلى الجذور والأصول في تراثنا الحافل. تأخذ منه وتضيف إليه، وتعدل فيه، وتنشئ أجيالًا مستقلَّة الفكر، تجمع بين الأصالة الإسلامية والحداثة العصرية.

وهذا واجب كلِّ الجامعات في بلادنا العربية والإسلامية، وواجب الجامعات الإسلامية فيها على وجه الخصوص، مثل: جامعة الأزهر، وجامعة أم القرى بمكة المكرمة، وجامعة الإمام محمد بن سعود، والجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، وجامعة الزيتونة، وجامعة القرويين، وجامعة ديوبند، وندوة العلماء بالهند، والجامعة الإسلامية العالمية بإسلام آباد، والجامعة الإسلامية العالمية بكوالالمبور، ونحوها. وذلك بحكم تكوينها وانتمائها ورسالتها ونوعية القائمين عليها.

التفوُّق في فروض الكفايات من العلوم الكونية وتطوير مناهج التعليم:

تجديدٌ يتيح لأمة الإسلام التفوُّق في «فروض الكفايات» من العلوم الكونية والرياضية، وتطبيقاتها «التكنولوجية» في المجالات المدنية

QaradawiBooks.com

والعسكرية، ويجعل أمة «سورة الحديد» قادرة على تصنيع الحديد، وعلى استغلال ثرواتها المطمورة والمنشورة، بحيث لا تكون عالة على غيرها في القوت الذي يُحييها، وفي السلاح الذي يحميها، وهذا يَقْتضي تطوير مناهج التعليم وأجهزته وغاياته وأساليبه، وَفْقًا لما يطلبه العصر، ويفرضه الإسلام، ويُحتِّمه التطوُّر.

فليس التعليم الناجح أن تخرِّج شبابًا يحفظون المقرَّرات عن ظهر قلب، بل شبابًا يُحسنون الفَهم، ويستقلُّون بالتفكير، ويقدرون على الإبداع.

وإذا كان أهل الشأن في الولايات المتحدة الأمريكية تنادوا في أواخر القرن العشرين، بوجوب تطوير التعليم عندهم بما يتناسب وطفرات العصر، ورأوا أن الأمة على حافة الخطر، إذا لم تتدارك مسيرتها التعليمية. فماذا يكون حالنا نحن؟

التجديد يشمل كيان الإنسان كله:

والتجديد للدين ليس فكريًّا فحسب، كما هو مفهوم الكثيرين، عندما يذكرون التجديد ويتحدَّثون عنه، فلا يكاد يدور بخلدهم إلا تجديد الاجتهاد، وإيقاظ العقل المسلم لمواجهة تطورات الحياة. ولا ريب في أن تجديد الفكر، وإحياء الاجتهاد، وتصحيح الفهم، يأتي في طليعة التجديد المنشود، فإن العلم يسبق العمل، والفكرة تسبق الحركة. وحسبنا أن الله بدأ وحيه لرسوله ﷺ بآية: ﴿ٱقۡرَأۡ﴾. والقراءة هي مفتاح العلم والفكر والتأمُّل.

ولكن الإنسان ليس عقلًا فقط، بل هو عقل وقلب، وجسم وروح، فلا بدَّ للتجديد أن يشمل كيان الإنسان كله، وهو ما رعاه الإسلام أعظم

QaradawiBooks.com

رعاية، فأعطى لكلٍّ منها حقَّه. لهذا كان وجوب العناية بالضمير والوازع الأخلاقي إلى جوار التجديد العقلي، أمرًا لا بدَّ منه.

تجديد الإيمان:

ونعني بالإيمان هنا: العقيدة الإسلامية وأساسها التوحيد، وعناصره ثلاثة أساسية: ألا نبغي غير الله ربًّا، ولا نتخذ غير الله وليًّا، ولا نبتغي غير الله حكمًا. وهذا معنى شهادة أن لا إله إلا الله.

وبعد التوحيد يأتي الشق الثاني من العقيدة، وهو الإيمان بالرسالة: «وأن محمدًا رسول الله». ليس إلهًا، ولا ابن إله، ولا ثلث إله، ولا محلًّا حلَّ فيه الإله؛ إنما هو عبد الله ورسوله، أنزل الله عليه كتابه، وبلَّغ ما أوحي إليه من ربِّه، لم يخن، ولم يكتم، ولم ينطق عن الهوى: ﴿إِنۡ هُوَ إِلَّا وَحۡيٞ يُوحَىٰ﴾ [النجم: ٤].

ومن أركان هذه العقيدة التي بلَّغها محمد عن ربِّه: الإيمان بالآخرة والجزاء، وأن الموت ليس نهاية المطاف، وأن وراء هذه الحياة الفانية حياة أخرى باقية، تُوفَّى فيها كلُّ نفس ما كسبت، وتُجزى بما عملت: ﴿فَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٍ خَيۡرٗا يَرَهُۥ ۝ وَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ شَرّٗا يَرَهُۥ﴾ [الزلزلة: ٧، ٨]. وقد روى الحاكم في «المستدرك»، عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن الإيمان ليَخلَق في جوف أحدكم، كما يَخلَق الثوب الخلِق، فاسألوا الله أن يجدِّد الإيمان في قلوبكم**»[1].

(١) رواه الطبراني (١٣/٣٦)، والحاكم في الإيمان (١/٤)، وقال: هذا حديث لم يخرج في الصحيحين ورواته مصريون ثقات. وقال الذهبي: رواته ثقات. وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٥٨): رواه الطبراني في الكبير وإسناده حسن. وحسنه الألباني في الصحيحة (١٥٨٥).

QaradawiBooks.com

أهمية الإيمان في حياتنا:

والإيمان في حياتنا ـ نحن المسلمين ـ ليس شيئًا على هامش الحياة. إنه جوهر وجودنا، وسرُّ بقائنا، ولبُّ رسالتنا. وبدونه لا معنى لحياتنا ولا مُبرِّر لوجودنا. وإذا كان لكلِّ شخصية مفتاح، تستطيع إذا عرفته واستخدمته أن تعرف به مكنوناتها، وتُفَجِّر مخزون طاقاتها، فإن مفتاح شخصية الإنسان في أمتنا هو الإيمان.

وكما أنك بلمسة للمفاتح أو زر خاص للسيارة في البر، أو الباخرة في البحر، أو الطائرة في الجو، تستطيع أن تحركها، وتدفع بها إلى الأمام، وتقطع بها المسافات، فكذلك نستطيع بعامل الإيمان أن نُحرِّك كوامن هذه الأمة، ونصنع منها وبها العجائب وروائع البطولات، التي تُحكى كالأساطير.

لقد عزف عازفون على نغمات شتَّى لتحريك هذه الأمة، فما تحرَّكت ولا استجابت. عزفوا على نغمة القومية، وعلى نغمة الاشتراكية، وعلى نغمة الديمقراطية، فما صنعوا شيئًا غير النكسات والوكسات! ولكن حين تقود هذه الأمة بالمصحف ترفعه، أو حين تصدع بصيحة «الله أكبر»، وحينما تنادي: يا ريح الجنة هبِّي. ستجد الجماهير معك ووراءك بالملايين مستعدة للموت في سبيل الله.

وهذا الإيمان المرصود في فطرة الأمة، المذخور في كيانها المعنوي، أشبه ببذرة طيبة في أرض طيبة، يجب علينا أن نرعاها وننمِّيها ونتعهَّدها ونُغذِّيها من ناحية، وأن نحميها ونحافظ عليها من المواد السامَّة، والحشرات الضارة، من ناحية أخرى؛ حتى تنمو وتزهر وتثمر، وتُؤْتي أُكُلَها بإذن ربِّها.

QaradawiBooks.com

حاجتنا إلى تربية إيمانية حقيقية:

ولهذا كنا في حاجة إلى تربية إيمانية حقَّة، تزرع في القلوب المعاني الربانية الأصيلة: الخشـية من الله، والرجاء فيه، والأُنس به، والحب له، والرضا عنـه، والتوكل عليه، والإنابـة إليه، والطاعة لأمره، والتسـليم لحكمه، وحكم رسـوله، كمـا قال تعالـى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [النساء: ٦٥]، ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [النـور: ٥١]. الإيمان بالله الذي ترجى رحمته، ويخشى عقابه: ﴿اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ وَأَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [المائدة: ٩٨].

ومن عناصر هذه التربية: اسـتحضار معاني الآخـرة وما يتعلق بها: الموت وسكرته، القبر وضمَّته، البعث ورهبته، الحشر وزحمته، الموقف وشدَّته، الحساب وسـرعته، الكتاب وقراءته، الميزان وعدالته، الصراط ودقَّته، الجنة ونعيمها، النار ولهيبها.

حاجتنا إلى الصوفية الربانية المعتدلة:

وبعبارة أخرى: نحن في حاجة إلى لون من الصوفية الربانية الإيجابية المعتدلـة، التي عبَّر عنها بعضهم بأنها: الصدق مـع الحقِّ، والخُلُق مع الخَلْـق، وإليها يشـير قولـه تعالـى: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوا وَّالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ﴾ [النحل: ١٢٨]. وهذا هو روح الدين الحق: التقوى لله، والإحسان للناس؛ فالتصوف الحقيقي تقوى وأخلاق، قبل كلِّ شيء.

وينقل ابن القيم في «مدارج السالكين» عن بعض متقدِّمي الصوفية في تعريف التصوُّف قوله: التصوُّف هو الخُلق، فَمَنْ زاد عليك في الخُلق

فقد زاد عليك في التصوف. ويُعلِّق ابن القيم قائلًا: بل الدين كُّله خُلُق، فمن زاد عليك في الخُلُق، زاد عليك في الدين، وكذلك التقوى[(١)].

فهذا هو التصوُّف الذي نريد: تصوُّف التربية والأخلاق القرآنية والنبويَّة، التصوف الذي يغذِّي الإيمان، ويرقِّق القلوب، ويُحرِّك الدوافع، ويشحذ الإرادة، ويُهذِّب النفس، ويقوِّي السلوك الخيِّر للإنسان، في ضوء الكتاب والسنة، وهدي السلف الصالح، والذي لخَّصه بعضهم في كلمتين: الصدق مع الحقِّ، والخُلُق مع الخلق. وإليه الإشارة بقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحۡسِنُونَ﴾ [النحل: ١٢٨]، فهم مع الله بالتقوى، ومع الناس بالإحسان. فهو الذي نحرص عليه، وندعو إليه، وهو الذي يقوم بمهمة «التزكية» التي أشار إليها القرآن في معالم الرسالة المحمديَّة: ﴿هُوَ ٱلَّذِي بَعَثَ فِي ٱلۡأُمِّيِّـۧنَ رَسُولٗا مِّنۡهُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمۡ﴾ [الجمعة: ٢]. وهو «مقام الإحسان» الذي جاء في حديث جبريل المشهور، وعرَّفه النبيُّ ﷺ بقوله: «**الإحسان: أن تَعْبُد الله كأنَّك تراه، فإن لم تَكُنْ تراه فإنَّه يراك**»[(٢)].

التصوف السلبي المرفوض:

أما إذا كان التصوف كالذي عبَّر عنه بعضهم بقوله: دع الخلق للخالق، واترك الملك للمالك! يريد تعطيل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فهو مرفوض، ومثل ذلك قولهم: أقام العباد فيما أراد! فهو كلام حقٍّ يراد به باطل!

وإذا كان التصوُّف إلغاء شخصية المريد أمام شيخه، كما قالوا: المريد بين يدي الشيخ كالميت بين يدي الغاسل! فهو كذلك مرفوض.

(١) مدارج السالكين (٢/٢٩٤).

(٢) متفق عليه: رواه البخاري (٥٠)، ومسلم (٩)، كلاهما في الإيمان، عن أبي هريرة.

QaradawiBooks.com

وإذا كان التصوُّف تفرقة بين الحقيقة والشـريعة، كالذين قالوا: مَن نظر إلى الخلـق بعين الشـريعة مَقَتَهُم، ومن نظر إليهـم بعين الحقيقة عَذَرَهُم! فلسنا منه في شيء.

وإذا كان التصوُّف كهانة وتجارة بالدين لـدى العوام، الذين يقادون بالأساطير والمبالغات، وتصنع لهم التمائم والأحجية والتعاويذ، الحافلة بالتهاويل، وتقدِّم لهـم الثقافة المنوِّمة للعقول، المخـدِّرة للعزائم، فهو باطل نبرأ منه.

وإذا كان التصوف رفضا للعلم وطلبه من أهله بوسائله، واعتمادا على الذوق والوجدان، دون دليل من شـرع، أو احتكام إلى كتاب محكم أو سـنة صحيحة، فهو تصوف شـيطاني لا رحماني، وهو مرفوض عندنا وعند كلِّ مسلم حريص على دينه.

وبالجملة: إذا كان التصوُّف مباءة للخرافات في الفكر، والشـركيَّات في العقيـدة، والمبتدعـات في العبـادة، والانحرافات فـي الأخلاق، والسلبيات في السـلوك، والإهمال للحياة، فنحن أول مَن يحاربه. إنما نريد التصوف السـني الملتزم بالكتاب والسـنة، الذي سـمَّاه العلامة أبو الحسن الندوي «ربانية لا رهبانية»!

* * *

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

الفصل الثامن

معالم ومنارات للوسطية والتجديد

وحتى لا يدَّعي هذا المنهجَ «الوسطية الإسلامية والتجديد الإسلامي» مَن لا يفقهه ولا يعيه، ولا يتحدَّث باسم هذا التيَّار مَن ليس من أهله، بل من الدخلاء عليه، ولا يخوض فيه كل مَن أمسك بالقلم، بلا علم ولا هدى ولا كتاب منير: وجدتُ لزامًا عليَّ أن أضع للقارئ المسلم معالم أو ملامح أو منارات: تُحدِّد الأصول الفكرية والشرعية لهذا التيار أو هذا المنهج، لتكون مشاعل ومصابيح تهدي مَن أراد الاهتداء به، والسير في ضوئها على نور وبيِّنة، ﴿أَفَمَن يَمْشِي مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِۦٓ أَهْدَىٰٓ أَمَّن يَمْشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الملك: ٢٢]. فمن الضروري هنا: ألّا ندَع مفهوم الوسطية والتجديد مائعًا رجراجًا هُلاميًّا، يفسِّره كلُّ مَنْ شاء، بما شاء، ويدَّعيه كلُّ فريق لنفسه، زاعمًا أن ما يدعو إليه هو الوسطية التي يدعو إليها الداعون، ويُنوِّه بها المنوِّهون.

وقد كنتُ منذ فترة وضعت «عشرين مَعْلمًا» ـ على سبيل الإيجاز ـ لمنهج الوسطية، وزَّعتُها على الجمعية العامة التأسيسية للاتحاد العالمي لعلماء المسلمين، الذي انعقد في لندن في شهر يوليو سنة ٢٠٠٤م. وقد طلب مني أحد الإخوة من العلماء: أن يقوم بشرحها، فقلت له: أَوْلى الناس بشرحها، هو صاحبها. فالمفروض أن أقوم بشرحها وتجْليتها، وتأصيلها وتفصيلها. وهي في الحقيقة مشروحة في كثير من كتبي، ولكنها منثورة فيها، فلا بدَّ من تجميعها، وترتيبها، والاستدلال عليها،

QaradawiBooks.com

وربط الفروع بأصولها، وردِّ الجزئيات إلى الكُليات، حتى تستبين للقارئ الكريم، بلا لَبْس ولا غَبَش.

وقد نظرتُ في هذه المعالم العشرين ـ شأن كل مصنِّف دائمًا يسعى إلى تحسين ما كتبه، حتى يصل به إلى أكمل ما يكون ـ فكرةً وعرضًا وأسلوبًا، وأعدتُ صياغتها وترتيبها، وفصَّلتها بعض التفصيل، فبلغت الثلاثين مَعْلَمًا، ثم اختصرتُها، ليسهل حفظها لمن أراد.

وقد نشرها بصورتها الأولى مركز الوسطية بالكويت، ثم تراءى لي أن أعيد النظر فيها مرَّة أخرى على مهل، وإعادة قلبها رأسا على عقب، ولا سيما بعد أن أضيف مفهوم «التجديد» إليها. فأضفتُ وبيَّنتُ، وغيَّرت وحَسَّنت، ورتَّبت، كما ذكرت في المقدمة. حتى غدت كتابًا جديدًا على هذه الصورة بحمد لله. وقد أردت بهذا: أن يُعرف المنهج الوسطي التجديدي لطلابه ومريديه، وأن تتَّضح صورته وملامحه، وتتحدَّد أركانه ومقوماته، وتتجلَّى خصائصه ومزاياه، في صورة «معالم» محدَّدة، يُرجَع عند الخلاف لها، ويُحتَكم إليها.

وها هي معالم الوسطية المجدِّدة، في صياغتها الأخيرة، وقد أُلِّفت من جديد. آملًا بعد ذلك أن يُيسِّر الله لي شرحها على الوجه الذي أُحب، وأدعو الله أن يوفِّقني إليه. وهاأنذا أسرد المعالم الثلاثين، مجرَّد عناوين، ثم أبدأ في بيانها واحدا واحدا. وبالله التوفيق.

المعالم الثلاثون للمنهج أو للتيار الوسطي التجديدي:

١ ـ العلم الراسخ والفَهم الشامل والمتوازن للإسلام.

٢ ـ الإيمان بمرجعية القرآن الكريم والسنة النبوية.

QaradawiBooks.com

٣ ـ تأسيس العقيدة على الإيمان والتوحيد.

٤ ـ التقرُّب إلى الله وحده بالعبادات ظاهرة وباطنة.

٥ ـ تزكية النفس بمكارم الأخلاق.

٦ ـ الدعوة إلى الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

٧ ـ ترسيخ القيم الإنسانية والاجتماعية.

٨ ـ احترام العقل بجوار الوحي.

٩ ـ تجديد الدين من داخله، والاجتهاد من أهله في محله.

١٠ ـ الدعوة إلى فقه جديد، فقه في الكون وفقه في الدين.

١١ ـ إنصاف المرأة وتكريمها والحفاظ على فطرتها.

١٢ ـ العناية بالأسرة نواة للمجتمع وتوسيعها.

١٣ ـ تكوين المجتمع الصالح المتكافل.

١٤ ـ الإيمان بوجود الأمة الإسلامية ووحدتها والولاء لها.

١٥ ـ إقامة الدولة العادلة حاملة الدعوة.

١٦ ـ تجنُّب التكفير والتفسيق إلا ببيِّنة.

١٧ ـ تقوية اقتصاد الأمة وإقامته على أسس إسلامية.

١٨ ـ الإيمان بضرورة التعددية والتعارف والتسامح بين الشعوب.

١٩ ـ إنشاء حضارة العلم والإيمان.

٢٠ ـ الرقي بالفنون وتوظيفها في خدمة رسالة الأمة.

٢١ ـ عمارة الأرض وتحقيق التنمية ورعاية البيئة.

٢٢ ـ السلام مع المسالمين والجهاد ضد المعتدين.

٢٣ ـ العناية بالأقليات الإسلامية في العالم.

QaradawiBooks.com

٢٤ ـ رعاية حقوق الأقليات الدينية في مجتمعاتنا الإسلامية.

٢٥ ـ تبنِّي منهج التيسير في الفتوى، والتبشير في الدعوة.

٢٦ ـ رعاية سنة التدرج وسائر سنن الله.

٢٧ ـ الموازنة بين ثوابت الشرع ومتغيرات العصر.

٢٨ ـ وضع التكاليف في مراتبها الشرعية (فقه الأولويات).

٢٩ ـ ضرورة الإصلاح الشامل والتغيير الجذري.

٣٠ ـ الانتفاع بتراثنا الغني بما فيه من علوم وفنون وآداب.

نسخة مجانية
غير مرخصة للبيع
QaradawiBooks.com

أضواء على معالم ومنارات الوسطية المجددة

يتميَّز المنهج أو التيار الداعي إلى الوسطية والتجديد بالتركيز على جملة مبادئ أو معالم أو قواعد فكرية، في فَهمه للإسلام وعرضه لأصوله ومفاهيمه، عُرِف بها، وعُرِفت به، ونُسبت إليه، وأصبحت معالم بارزة له، تُجسِّد فكرته، وتوضِّح غايته، وتُجلِّي منهجه، وتُحدِّد مفاهيمه. فصَّلناها في الثلاثين التي سردناها، وها نحن الآن نُلقي ضوْءًا على كلِّ مَعْلَم منها، بما يُعطي للقارئ فكرةً أو نبذةً واضحةً وكافية عنها، بلا إطناب مُملٍّ، ولا إيجاز مُخلٍّ.

١ ـ العلم الراسخ والفهم الشامل والمتوازن للإسلام:

الفهم الشمولي التكاملي المتوازن للإسلام، كما أنزله الله على رسوله، بحيث تتجلَّى فيه خصيصتان:

الأولى: الشمول والتكامل، بوصفه: عقيدة وشريعة، علمًا وعملًا، عبادةً ومعاملة، ثقافةً وأخلاقًا، حقًّا وقوة، دعوةً ودولة، دينًا ودنيا، حضارة وأمة. ورفض كلِّ تجزئة لأحكام الإسلام وتعاليمه، كدعوى الذين يريدونه: أخلاقًا بلا تعبُّد، أو تعبُّدًا بلا أخلاق، أو عقيدة بلا شريعة، أو زواجًا بلا طلاق، أو سلامًا ـ أو استسلامًا ـ بلا جهاد، أو حقًّا بلا قوة، أو دينًا بلا دنيا، أو دعوة بلا دولة، وهو ما يرفضه الإسلام نفسه الذي يقول كتابه: ﴿وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ وَٱحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنۢ بَعْضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ﴾ [المائدة: ٤٩]. وبهذا يقدِّم الإسلام على أنه رسالة الإنسان كله، ورسالة الكون كله، ورسالة الزمن كله، ورسالة الحياة كلها.

والخصيصة الثانية: هي المزج المتوازن بين المتقابلات، أو الثنائيات، التي يتوَّهم الكثيرون أنها متضادات لا يمكن الجمع بين بعضها وبعض،

QaradawiBooks.com

كالمزج بين الروحية والمادية، بين الربانية والإنسانية، بين الفكر والوجدان، بين المثالية والواقعية، بين الفردية والجماعية، بين نور العقل ونور الوحي، بين الدنيا والآخرة، بين حظِّ النفس وحقِّ الرب، وحقوق الخلق، بين الإبداع المادي والاقتصادي والسمو الروحي والأخلاقي، بحيث يأخذ كل جانب منها حقَّه، بلا وكس ولا شطط، دون طغيان على الجانب الآخر، أو الجوانب الأخرى: ﴿أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ ۞ وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ﴾ [الرحمٰن: ٨، ٩]. ومن هنا تتكامل العناية بالعبادة، والثقافة، والرياضة، والفنون، والعلوم. فالعبادة تُغَذِّي الروح، والثقافة تُغَذِّي العقل، والرياضة تُغَذِّي الجسم، والفنون تُغَذِّي الوجدان، والعلوم تُغَذِّي الحياة[1].

٢ ـ الإيمان بمرجعية القرآن الكريم والسنة النبوية:

الإيمان بمرجعية القرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحة، للتشريع والتوجيه للحياة الإسلامية، حياة الفرد والأسرة والجماعة والأمة، التي تَستَمِدُّ من المصدرَيْن المعصومَيْن: عقائدها وعباداتها، وآدابها وأخلاقها، وأفكارها ومفاهيمها، وقيمها وموازينها، وعاداتها وتقاليدها، وتشريعاتها وأنظمتها.

فالقرآنُ كلام الله تعالى، والسنة بيانُ رسوله. لا يصح الإيمان، ولا يقبل الإسلام إلا ممَّن آمن بهما، كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [النور: ٥١]، ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا﴾ [الأحزاب: ٣٦]. والذين ينكرون السنة، ويسمُّون أنفسهم «القرآنيين» هم أول مَن يخالف القرآن

(١) انظر كتابنا: شمول الإسلام، نشر مكتبة وهبة، ومؤسسة الرسالة، والخصائص العامة للإسلام صـ ١٠٥ ـ ١٢٤، خصيصة: الشمول.

QaradawiBooks.com

الذي أمر بطاعة الله وطاعة رسوله: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٣].

والمصادر الأخرى؛ من الإجماع، والقياس، والاستحسان، والاستصلاح، وغيرها إنما تكتسب حُجيتها من القرآن والسنة. مع ضرورة فَهم النصوص الجزئيَّة في ضوء المقاصد الكلية للإسلام وشريعته، ولا يجوز معارضة أحدهما بالآخر، أو الاكتفاء بالجزئي عن الكلي، أو بالكلي عن الجزئي. والحذر من الحرفية من جانب، ومن سوء التأويل من جانب آخر، ومن اتباع المتشابهات وترك المحكمات(١).

٣ ـ تأسيس العقيدة على الإيمان والتوحيد:

تأسيس العقيدة السليمة على معاني الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وبالقدر خيره وشرِّه، وهذه هي أركان العقيدة، وأسس الأعمال الصالحة. والتركيز على عقيدة التوحيد، واليقين بالآخرة، وعلى نبوة محمد الذي ختم الله به الرسل والأنبياء. والتركيز على حقيقة التوحيد، كما صوَّرها القرآن في مقومات ثلاثة:

- ألا يبغي غير الله تعالى ربًّا. وهو ربُّ كل شيء، وخالق كل شيء، ورازق كل شيء: ﴿قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِى رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَىْءٍ﴾ [الأنعام: ١٦٤].

- وألا يبتغي غير الله وليًا. يواليه ويعبده وحده لا شريك له: ﴿قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الأنعام: ١٤].

(١) انظر كتابنا: المرجعية العليا في الإسلام للقرآن والسنة، نشر مكتبة وهبة، القاهرة، ومؤسسة الرسالة، بيروت. وانظر أيضا كتابنا: كيف نتعامل مع القرآن العظيم، وكيف نتعامل مع السنة النبوية، نشر دار الشروق، القاهرة.

QaradawiBooks.com

• وألا يبتغي غير الله حَكَمًا، يأتمر بأمره، وينتهي بنهيه: ﴿أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْتَغِي حَكَمًا وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ إِلَيْكُمُ ٱلْكِتَٰبَ مُفَصَّلًا﴾ [الأنعام: ١١٤].

وبذلك تجتمع كلُّ معاني التوحيد: توحيد الربوبية، وتوحيد الإلهية، وتوحيد الحاكمية، فهكذا يجب أن نؤمن به سبحانه: ﴿بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ۝ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ﴾ [الناس: ١ ـ ٣].

وبهذا التوحيد الخالص يتحرَّر الإنسان من العبوديَّة للإنسان، ومن كل ما سوى الله، ولهذا كان يختم نبينا رسائله إلى ملوك النصارى بهذه الآية: ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [آل عمران: ٦٤].

كما لا يصحُّ إيمان المسلم إلا إذا آمن بكل كتاب أنزل، وبكل نبيٍّ أُرسل، كما قال تعالى: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٨٥].

وبهذا يعيش المسلم مع موكب النبيين، منذ آدم ونوح إلى خاتمهم محمد، ويرثهم جميعًا، ويقتدي بما لديهم من فضائل، كما قال الله لرسوله محمد: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ﴾ [الأنعام: ٩٠]. وللإيمان الإسلامي أثره في حياة الفرد، وفي حياة المجتمع، فلا بد أن يُرعى ويُحمى ويُشاع(١).

٤ ـ التقرُّب إلى الله بالعبادات ظاهرة وباطنة:

التقرُّب إلى الله جلَّ شأنه، بعبادته وحده، وإقامة شعائره، وأداء فرائضه، وترطيب اللسان بذكره، وعمارة القلب بحبِّه، واستحضار خشيته

(١) انظر كتبنا: الإيمان والحياة، ووجود الله، وحقيقة التوحيد، والإيمان بالقدر، نشر مكتبة وهبة، القاهرة، ومؤسسة الرسالة، بيروت.

QaradawiBooks.com

تعالى وتقواه، التي هي من عمل القلوب، والتركيز على عبادة الله تعالى بوصفها الغاية التي خُلق لها الإنسان: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦]، وتوجيه هذه العبادة لله وحده. وهي تتجلَّى في الشعائر الأربع الكبرى: الصلاة، والزكاة، والصيام، والحج. وهي العبادات المفروضة، وبجوارها عبادات أخرى مندوبة، مثل: تلاوة القرآن، وذكر الله تعالى، والدعاء، والاستغفار. ويمكن للمسلم أن يجعل حياته كلَّها عبادة، حيث تتحوَّل المباحات والعادات إلى قُربات وعبادات بالنية الصالحة.

هذا بالإضافة إلى العبادات الباطنة؛ من صدق النية والإخلاص لله، والمحبة له، والخشية له، والحياء منه، والرضا عنه، والرجاء في رحمته، والخوف من عذابه، والشكر لنعمائه، والصبر على بلائه، والتفكر في خلقه، وذكر لقائه، ومحاسبة النفس، ومجاهدة الشيطان، والزهد في الدنيا، والإقبال على الآخرة. وهي أساس التصوُّف السنِّي الحقيقي الذي يقوم على «الصدق مع الحق، والخُلُق مع الخَلق». وهو كما سمَّاه العلامة الندوي: «ربَّانية لا رهبانية». ومن الواجب غرس هذه المعاني الربَّانية عن طريق الدعوة والتربية والثقافة والإعلام.

ونرفض موقف الذين ينكرون التصوف كله ويعرضون عنه، بما فيه من مناهج رائدة، وتجارب صادقة، ووصايا نافعة في التربية الإيمانية. وموقف الذين يأخذونه كلَّه بما فيه من شركيات في العقيدة، ومبتدعات في العبادة، وسلبيات في التربية، دون مراجعة ولا تمحيص[١].

---

(١) انظر كتابنا: العبادة في الإسلام، نشر مكتبة وهبة، القاهرة، ومؤسسة الرسالة، بيروت. وكذلك: سلسلة فقه السلوك أو الطريق إلى الله، وقد صدر منها: الحياة الربانية والعلم، والنية والإخلاص، والتوكل، والتوبة إلى الله، والزهد والورع، نشر مكتبة وهبة، القاهرة، ومؤسسة الرسالة، بيروت. والمراقبة والمحاسبة، نشر الدار الشامية، بيروت.

QaradawiBooks.com

٥ ـ تزكية النفس بمكارم الأخلاق:

تزكية النفس، والسموُّ بها، عن طريق المجاهَدة والرياضة، حتى تنتصر فيها حوافز التقوى على دوافع الفجـور، كما قال تعالى: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ۝ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا﴾ [الشمس: ٧ ـ ١٠]، ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [العنكبوت: ٦٩].

وإنمـا تتزكَّى النفس حقًّا بالتركيـز على القيم الأخلاقيـة التي عُنِي بها الإسلام، وجعلها من شُـعَب الإيمان، ودلائل رسـوخ العقيدة، وجعلها من ثمرات العبادات التي فرضهـا الله، وجاء في الحديث النبـوي: «**إنما بُعثتُ لأتمِّم صالح الأخلاق**»[(١)]، وفي رواية «**مكارم الأخلاق**»[(٢)]. واعتبر الإخلال بها من خصال النفاق، سـواء كانت أخلاقًا فردية مثل: الصدق، والأمانة، وإنجاز الوعـد، والوفاء بالعهـد، والإنصاف فـي الخصومة، والتواضـع، والحياء، والسخاء، والشـجاعة، والعفة. أم أخلاقًا اجتماعية مثل: العدل، والإحسان، وبر الوالدين، وصلة الأرحام والجيران، والرحمـة بالضعفاء، والتعاون على البر والتقوى، ولـزوم الجماعة، وإيتـاء ذي القربى حقه والمسـكين وابن السبيل، وعدم التبذير والإسراف في إنفاق المال، ومنع الشح والبخل به.

ورفض موقف الذين يعتبرون العبادات الشعائريَّة هي كلُّ شيء، وإن لم تؤثِّر في أخلاقهم وسـلوكهم، وموقف الذين يعتبرون الأخلاق كلَّ شيء، وإن لم يؤدُّوا فرائض ربهم[(٣)]. كما أن للأخلاق الإسلامية مزايا ومقوِّمات

---

(١) سبق تخريجه صـ١٠٦.

(٢) رواه أحمد (٨٩٥٢)، وقال مخرجوه: صحيح. والبخاري في الأدب المفرد في حسن الخلق (٢٧٣)، عن أبي هريرة.

(٣) انظر كتابنا: مدخل لمعرفة الإسلام صـ٨٦-١١٠، فصل: الأخلاق، نشر مكتبة وهبة، القاهرة، ط٤، ١٤٢٩هـ ـ ٢٠٠٨م.

QaradawiBooks.com

وخصائص تميِّزها عن غيرها من الأخلاق الوضعية، ومن أخلاق الديانات الأخرى، من الشمول والتوازن والواقعية ومخاطبة الفطرة والعقل وغيرها.

٦ ـ الدعوة إلى الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

ومن المعالم الأساسية: تأكيد فرضية الدعوة إلى الله، والنصيحة في الدين، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والتواصي بالحقِّ، والتواصي بالصبر. وهي تعني: أن المسلم لا يكتفي بصلاح نفسه، حتى يعمل على إصلاح غيره، بدءًا بأهله وولده، كما قال تعالى: ﴿قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا﴾ [التحريم: ٦]. ومرورًا بالمجتمع من حوله، وانتهاءً بدعوة العالم كلِّه، ليدخل في رحمة الله العامة لكلِّ الناس: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧].

وقد وصف الله مجتمع المؤمنين بقوله: ﴿وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ يَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ﴾ [التوبة: ٧١]. فهو مخالف لمجتمع المنافقين الذين وصفهم الله بقوله: ﴿ٱلۡمُنَٰفِقُونَ وَٱلۡمُنَٰفِقَٰتُ بَعۡضُهُم مِّنۢ بَعۡضٖۚ يَأۡمُرُونَ بِٱلۡمُنكَرِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمَعۡرُوفِ﴾ [التوبة: ٦٧].

وكلُّ مسلم مُخاطَبٌ بأمر الله تعالى: ﴿ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ﴾ [النحل: ١٢٥]، فهو يدعو الموافقين، ويحاور المخالفين، وهو داخل في قوله تعالى لرسوله: ﴿قُلۡ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِي﴾ [يوسف: ١٠٨]، فكلُّ مَن اتَّبع محمدًا ﷺ فهو داعٍ إلى الله، وداعٍ على بصيرة، ولكن كلٌّ يدعو بحسب طاقته وبما يلائمه.

والأمة المسلمة مُطالَبة بالدعوة كالأفراد، كما قال تعالى: ﴿وَلۡتَكُن مِّنكُمۡ أُمَّةٞ يَدۡعُونَ إِلَى ٱلۡخَيۡرِ وَيَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ﴾ [آل عمران: ١٠٤]،

QaradawiBooks.com

﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [آل عمران: ١١٠].

وقد ذمَّ القرآنُ بني إسرائيل بقوله تعالى: ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ ۝ كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ [المائدة: ٧٨، ٧٩].

والأمة المسلمة مسؤولة ـ بالتضامن ـ عن تبليغ دعوة الإسلام العالمية إلى الناس جميعا بأساليب العصر ووسائله حتى تقيم عليهم الحجة[١]!

٧ ـ ترسيخ القيم الإنسانية والاجتماعية:

الدعوة إلى المبادئ والقيم الإنسانية والاجتماعية، التي فرَّط فيها كثير من المسلمين، وتوهَّم بعضهم: أنها مبادئ وقيم غربية، وهي في الحقيقة من قيم الإسلام الأصلية، مثل: العدل في القضاء وفي السياسة والاقتصاد. ومثل: الشورى في المجتمع وفي الحكم، والحرية، والكرامة، وحقوق الإنسان، ولا سيما حقوق الفئات الضعيفة في المجتمع، من المساكين واليتامى وأبناء السبيل وأشباههم، وتوفير الحريَّة المدنية والدينية والسياسية: التي هي شرط للرقيِّ بالمجتمع، وإقامة العدل والمساواة بين أبنائه، بل شرط لتطبيق الشريعة على وجهها، حين يختارها الناس طَوْعًا بإرادتهم الحرة. فلا يجوز أن يهان إنسانٌ بغير حقٍّ، أو يسجن بغير جريمة، أو يُعاقَب بغير حكم قضائي عادل، أو يقدَّم إلى محاكمة لا تتوافر فيها الضمانات، أو يحرم من حقه الطبيعي في الانتخاب أو الترشيح بلا جريرة، أو يقهر أو يُؤْذى بأي وسيلة.

(١) انظر كتابنا: خطابنا الإسلامي في عصر العولمة، نشر دار الشروق، القاهرة.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

ومن المطلــوب: إقامة الجمعيــات والأندية والمؤسَّســات المدنية الخيريــة والتعليمية والاجتماعية والثقافية، التــي تهتمُّ بخدمة المجتمع والنهوض بــه، حتى يصعد ويرقى، ويخرج من ســجن التخلُّف، ويقوم بواجبه نحو نفسه، ونحو أمته الكبرى، ونحو الإنسانية كلِّها من حوله.

وأســاس هذا كله: الإيمان بالإنســان بوصفــه مخلوقًــا كرَّمه الله، واستخلفه في الأرض، واحترام فطرته التي فَطَره الله عليها، وحريته التي وُلد عليها، والإقرار بحقوقه، التي يعتبرها الإسلام فرائض وواجبات له على غيره، والموازنة بين ما للإنسان من حقوق وما عليه من واجبات.

٨ ـ احترام العقل بجوار الوحي:

احترام العقل والتفكير، والدعوة إلى النظر والتدبُّر: في آيات الله الكونيَّة في الأنفس والآفاق، وآيات الله التنزيليَّــة في القرآن، وتكوين العقلية العلمية التي ترفض الخرافات، ولا تقبل دعوى إلا ببرهان، وهي العقلية التي أنشأها القرآن بتعاليمه. ومقاومة الجمود والتقليد الأعمى للآباء أو للسادة والكبراء، أو لعامة الناس. واعتبار العقل أســاس النقل وثبوت الوحي، وهو المخاطب بأحكام الشــرع، والأداة الفذة في فقه الدين وفهم الدنيا. وتأكيد نفي وجود التعارض بين النقل الصحيح والعقل الصريح. أو بين الوحي الربَّاني، والعقل الإنساني، بل هما نور على نور. وإذا تعارض عقلي ونقلي: قُدِّم القطعيُّ على الظنيِّ منهمــا، وإذا كانا ظنيين: قُــدِّم النقليُّ، حتى يثبــت العقلي أو ينهار. ونرفض موقف الذين يُعطِّلون العقل أو يجمِّدونه باسم الشرع، وموقف الذين يقدِّمون العقل على الشرع أبدًا، وباسمه يريدون تحريف شرع الله[1].

---

(١) انظر كتبنا: العقل والعلم في القرآن، نشــر مكتبة وهبة، القاهرة، ومؤسسة الرسالة، بيروت، والمرجعية العليــا صـ ٣٣١ ـ ٣٥٤، مبحث: تقديم العقل على الشــرع، نشــر مكتبة وهبة، القاهرة، ط٢، ١٤٢٢هـ ـ ٢٠٠١م، وثقافتنا بين الانفتاح والانغلاق، نشر دار الشروق، القاهرة.

QaradawiBooks.com

٩ ـ تجديد الدين من داخله والاجتهاد من أهله في محله:

تجديد الدين من داخله: تجديدُ الفهم له، وتجديدُ الإيمان به، وتجديدُ العمل به، وتجديدُ الدعوة إليه. تجديدُ العقول والأفكار، وتجديدُ القلوب والعواطف، وتجديدُ الإرادات والعزائم، وقد بيَّن لنا رسولنا الكريم في حديثه شرعية التجديد للدين حين قال: «**إنَّ الله يبعث لهذه الأمة على رأس كلِّ مائة سنة مَن يجدِّد لها دينها**»[(١)]. والتجديد الحق يشمل جانب العلم والفكر، كما يشمل جانب العمل والسلوك.

وأبرز معالم تجديد الدين الفكري هو: إحياء مبدأ الاجتهاد الذي لا تحيا الشريعة إلا به، سواء كان اجتهادًا إنشائيًا أم انتقائيًا، كليًا أم جزئيًا، فرديًا أم جماعيًا. على أن يكون الاجتهاد من أهله: الذين استجمعوا شرائطه المعروفة، العلمية والأخلاقية. وفي محله: أي في غير القطعيات، التي تجسِّد وحدة الأمة العقدية والفكرية والشعورية والعملية، وهي قليلة جدًا، ولكنها مهمة جدًا؛ لأنها تُمثِّل «الثوابت» التي لا يجوز اختراقها بحال.

إنَّ شعار الوسطية يدعو إلى تجديد منضبط، وإلى اجتهاد معاصر قويم، واضح الأهداف، بيِّن المناهج، يرفض موقف الذين يغلقون باب الاجتهاد، ويوجبون التقليد على كلِّ العلماء، وموقف الذين يفتحون أبوابه لكلِّ مَنْ هَبَّ ودبَّ، بلا قيود ولا ضوابط. أولئك الذين سخر منهم الأديب الرافعي بأنهم يريدون أن يجددوا الدين واللغة والشمس والقمر[(٢)]!

---

(١) سبق تخريجه صـ٢٣٢.

(٢) من عبارة الرافعي على غلاف كتابه تحت راية القرآن، نشر دار الكتاب العربي، ط ٧، ١٣٩٤هـ ـ ١٩٧٤م، وانظر كتبنا: من أجل صحوة راشدة تجدد الدين وتنهض بالدنيا صـ ١١ ـ ٣٨، فصل: التجديد في ضوء السنة، نشر دار الشروق، القاهرة، ط٢، ١٤٢٦هـ ـ ٢٠٠٥م، والاجتهاد بين الانضباط والانفراط، وثقافتنا بين الانفتاح والانغلاق، نشر دار الشروق، القاهرة.

QaradawiBooks.com

١٠ ـ الدعوة إلى فقه جديد، فقه في الكون وفقه في الدين:

ولكي يتمَّ التجديد للدين حقًّا ـ كما أشار إليه الحديث النبوي ـ لا بدَّ من تأكيد الدعوة إلى تجديد «الفقه القرآني والنبوي»، وهو فقه في الكون، وفقه في الدين. ففي فقه الكون قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ فَمُسۡتَقَرّٞ وَمُسۡتَوۡدَعٞۗ قَدۡ فَصَّلۡنَا ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَفۡقَهُونَ﴾ [الأنعام: ٩٨]. وفي فقه الدين قال تعالى: ﴿فَلَوۡلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرۡقَةٖ مِّنۡهُمۡ طَآئِفَةٞ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِي ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوۡمَهُمۡ إِذَا رَجَعُوٓاْ إِلَيۡهِمۡ لَعَلَّهُمۡ يَحۡذَرُونَ﴾ [التوبة: ١٢٢]، وقال ﷺ: «**مَن يُرد الله به خيرًا يفقهه في الدين**»(١).

وفقه الآيات، والفقه في الدين أخصُّ وأعمق من مجرَّد العلم بالآيات، والعلم بالدين. إن الفقه يعني العلم بأسرار الشيء، وإدراك الغاية. وهو يضمُّ عدة ألوان من الفقه المنشود: فقه سنن الكون، وفقه مقاصد الشرع، وفقه المآلات، وفقه الموازنات، وفقه الأولويَّات، وفقه الاختلاف أو الائتلاف، والفقه الحضاري، وفقه التغيير، وفقه الواقع(٢). والواجب على علماء العصر: أن يحيطوا علمًا ـ كلٌّ على قدر سَعَة واديه ـ بهذه الأنواع من الفقه، حتى إذا دَعَوْا: دَعَوْا على بصيرة، وإذا أفْتَوا: أفْتَوا ببيِّنة، وإذا علَّموا: علَّموا على نور، وإذا قضوا: قضوا عن علم.

١١ ـ إنصاف المرأة وتكريمها والحفاظ على فطرتها:

توكيد ما جاء به الإسلام من إعطاء المرأة حقوقها ومكانتها وتكريمها: إنسانًا، وأنثى، وبنتًا، وزوجة، وأمًّا، وعضوًا في المجتمع،

(١) سبق تخريجه صـ٢٤٧.

(٢) انظر كتبنا: أولويات الحركة الإسلامية، والصحوة بين الاختلاف المشروع والتفرق المذموم، والصحوة من المراهقة إلى الرشد، ودراسات في فقه مقاصد الشريعة.

QaradawiBooks.com

وتحريرها من رواسب عصور التخلُّف والتراجع الإسلامي، التي حَرَمتها من كثير من حقوقها، حتى الصلاة في المسجد، وحتى حقها في اختيار الزوج، ومن غوائل الغزو الحضاري الغربي الذي أخرج المرأة من فطرتها، ولم يُراعِ أنوثتها، والذي جعل المرأة المسلمة تسير وراء المرأة الغربية شبرًا بشبر وذراعًا بذراع. في حين يشكو النقاد والمصلحون من جناية هذه الحضارة على أنوثة المرأة، وعلى الفطرة الإنسانية، وعلى المرأة والرجل جميعًا.

ونحن نرفض تفكير الغلاة الذين يريدون أن يسجنوا المرأة في البيت، ويحرموها من حقِّ العلم والعمل، والمشاركة في الحياة الاجتماعية والسياسية، كما قال تعالى: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ﴾ [التوبة: ٧١]. كما نرفض الذين يريدون أن يُذيبوا الفوارق بين الذكورة والأنوثة، مناقضين فطرة المرأة، وفطرة الكون كله، القائم على قاعدة الزوجية: ﴿وَمِن كُلِّ شَىْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [الذاريات: ٤٩]. وليس على قاعدة «المثلية» التي يتبنَّى الغرب إشاعتها اليوم، فالحياة إنما تستمر بالجنس ومقابله، لا بالجنس ومثله.

وقد أهلك الله قوم لوط حين خالفوا فطرةَ الله، وأمْرَ الله، وأتوا فاحشةً لم يسبقهم بها أحد من العالمين، فدمَّر الله عليهم قريتهم، وجعل عاليها سافلها، وأمطر عليهم حجارة من سجيل منضود، ﴿مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ وَمَا هِىَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ بِبَعِيدٍ﴾ [هود: ٨٣][1].

نريد للمرأة أن تؤدِّي واجباتها، وأن تأخذ حقوقها، وأن تؤدِّي رسالتها

(١) انظر رسالتنا: مركز المرأة في الحياة الإسلامية، من رسائل ترشيد الصحوة، وراجع: تحرير المرأة في عصر الرسالة لعبد الحليم أبو شقة.

QaradawiBooks.com

في الحياة جَنْبًا إلى جنب مع الرجل، فلن يطير المجتمع بجناح واحد، وفي الحديث: «**إنما النساء شقائق الرجال**»(١).

١٢ ـ العناية بالأسرة نواة للمجتمع وتوسيعها:

العناية بأمر الأسرة، باعتبارها الدعامة الأولى لقيام المجتمع الصالح، وإقامتها على الأُسُس الإسلامية الصحيحة، من حُسْن الاختيار، وشرعية الرؤية بين الخاطب والمخطوبة، والبُعْد عن الإسراف في المهور والاحتفالات، وكلِّ مظاهر الرياء الاجتماعي، وتأسيس الحياة الزوجية على السكينة والمودة والرحمة، التي جاء بها القرآن، ورعاية حقوق كلٍّ من الزوجين على صاحبه، ومعاشرته بالمعروف، والصبر عليه وإنْ أحسَّ بالكراهية، والتحكيم عند النزاع، وعدم اللجوء إلى الطلاق إلا إذا تعذَّر الوفاق. وشرعية تعدُّد الزوجات بقيوده وشروطه، دون توسع ولا تحريم. والإيمان بالأسرة الممتدة التي تشمل الأبوين، والإخوة والأخوات، والأعمام والعمَّات، والأخوال والخالات، وأولادهم، بما لهم من حق في البر والصلة، ومن إيجاب النفقة عند الحاجة: ﴿وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنٗا وَبِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ﴾ [النساء: ٣٦]، ﴿وَأُوْلُواْ ٱلۡأَرۡحَامِ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلَىٰ بِبَعۡضٖ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ﴾ [الأنفال: ٧٥].

وقد أيَّد الإسلام نظام الأسرة المتكاملة بمجموعة من الأحكام في الميراث والوصية والنفقة والدية، لتبقى الأسرة متلاحمة متواصلة، في السراء والضراء(٢).

(١) رواه أحمد (٢٦١٩٥)، وقال مخرجوه: حسن لغيره. وأبو داود (٢٣٦)، والترمذي (١١٣)، كلاهما في الطهارة، وحسنه الألباني في صحيح أبي داود (٢٣٥)، عن عائشة.

(٢) انظر: فتاوانا حول المرأة والأسرة من كتابنا: فتاوى معاصرة، وكتابنا: مركز المرأة، من سلسلة ترشيد الصحوة.

QaradawiBooks.com

١٣ ـ تكوين المجتمع الصالح المتكافل:

كما أنَّ الإسلام يسعى إلى تكوين الأسرة الصالحة، فهو يسعى كذلك إلى تكوين المجتمع الصالح، ذلك المجتمع الذي يقوم على الإخاء والتكافل والتراحم بين أبنائه، يحمل غنيُّه هَمَّ فقيره، ويأخذ قويُّه بيد ضعيفه، ويشدُّ بعضه أزْرَ بعض، فهو في تقاربه كالأسرة الواحدة، وفي ترابطه كالجسد الواحد، وفي تعاونه كالبنيان يشدُّ بعضه بعضًا، يقوم على التكافل المعيشي، والتكافل الأدبي والعلمي والدفاعي، مؤمنوه ومؤمناته، كما قال تعالى: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: ٧١].

مجتمع يُكرم فيه اليتامى، وتُرحم فيه الأرامل، ويُواسى فيه الفقراء، ويُحْمَل فيه الضعفاء، ويُتواصى فيه بالصبر والمَرْحَمة، كما قال تعالى: ﴿فَلَا ٱقْتَحَمَ ٱلْعَقَبَةَ ۞ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْعَقَبَةُ ۞ فَكُّ رَقَبَةٍ ۞ أَوْ إِطْعَٰمٌ فِى يَوْمٍ ذِى مَسْغَبَةٍ ۞ يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ ۞ أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ ۞ ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْمَرْحَمَةِ﴾ [البلد: ١١ ـ ١٧]. وليس كالمجتمع الجاهلي الذي وصفه الله بقوله: ﴿وَلَا تَحَٰٓضُّونَ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ۞ وَتَأْكُلُونَ ٱلتُّرَاثَ أَكْلًا لَّمًّا ۞ وَتُحِبُّونَ ٱلْمَالَ حُبًّا جَمًّا﴾ [الفجر: ١٨ ـ ٢٠].

بل هو كمجتمع المدينة الذي يتكوَّن من المهاجرين والأنصار، والذي أثنى الله عليهم بقوله تعالى: ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ۞ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ

QaradawiBooks.com

فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُواْ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشر: ٨، ٩][1].

١٤ ـ الإيمان بوجود الأمة الإسلامية ووحدتها والولاء لها:

الإيمان بوجود الأمة الإسلامية ورسالتها وخلودها، وأنها أمة لن تموت؛ لأنها حاملة الرسالة الخاتمة، ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ﴾ [آل عمران: ١١٠]. والإيمان بفرضية وحدتها، وبالأخوة الدينية بين أبنائها، على اختلاف مدارسها ومذاهبها، كما قال تعالى: ﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ﴾ [آل عمران: ١٠٣]، ﴿وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَٱخْتَلَفُواْ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ﴾ [آل عمران: ١٠٥]، واعتبار المسلمين حيثما كانوا أمة واحدة: «**يسعى بذمَّتهم أدناهم، وهم يَدٌ على مَنْ سواهم**»[2]، قال تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾ [الأنبياء: ٩٢]، تجمعهم وحدة العقيدة، ووحدة القبلة، ووحدة الشريعة، ووحدة الآداب، ووحدة المصير.

ويجب اعتبار الفرق المختلفة كلها من الأمة الواحدة، ما استقام منها وما انحرف، ما دامت تُصلِّي إلى القبلة، وتؤمن بالقرآن الكريم، كتابًا محفوظًا لا زيادة فيه ولا نقصان. وبالسنة النبوية المشرفة، بيانًا للقرآن، والسعي إلى التقريب بين فئاتها، بحيث تتعاون في المتَّفق عليه، وتَتَسامح وتتحاور في المختلف فيه، وتقف صفًّا واحدًا في القضايا الكبرى.

---

(١) انظر كتابنا: مدخل لمعرفة الإسلام صـ ٢٣٤، ٢٤٥، فصل: تكوين المجتمع الصالح، وملامح المجتمع المسلم، نشر مكتبة وهبة، القاهرة.

(٢) رواه أحمد (٦٩٧٠)، وقال مخرّجوه: حديث صحيح. وأبو داود في الجهاد (٢٧٥١)، وصححه الألباني في صحيح أبي داود (٢٣٩٠)، عن عبد الله بن عمرو.

QaradawiBooks.com

والتأكيد على مبدأ الولاء للأمة؛ بمعنى المودة والنُّصرة لها ولا يكون لأمة أخرى من دونها، وتقديم الولاء لها على الولاء للطائفة أو المذهب(١).

ويعمل تيار الوسطية على تجميع كلِّ القوى والجماعات والحركات العاملة لنصرة الإسلام وبعث أمته، في صفٍّ واحد، ووجهة واحدة. وليس من الضروري، بل لعله ليس من المفيد: أن يجتمعوا في حركة واحدة، أو جماعة واحدة، فهـذا يقتضي أن تتوحَّـد أهدافهم، وتتوحَّـد برامجهم، وتتوحَّد قيادتهم، وهذا ليس بالأمر السـهل. ويكفي أن يكون بينهم قدر معقول من التفاهم والتنسيق، وأن يقفوا صفًّا واحدًا في القضايا المصيريَّة، وأن يكونوا في مواجهة أعداء الأمة وأعداء دينها كالبنيان المرصوص. ولا سيما في أوقات الشدائد والأزمات، فالمصائب تجمع المصابين، والمحن تُوحِّد المختلفيـن، والأزمات تُقـرِّب المتباعدين. علـى أن الاختلاف والتعدُّد بين العاملين لا يضـرُّ إذا كان اختلاف تنوُّع لا اختلاف تناقض، وكان التعدُّد تعدُّدَ تخصُّص لا تعدُّد صراع.

١٥ ـ إقامة الدولة العادلة حاملة الدعوة:

ومما يعنى به تيار الوسطية والتجديد: تكوين «الدولة الصالحة» التي تقود الأمة إلى الحقِّ والخيـر، وتقيم عدل الله في الأرض، وتحتكم إلى ما أنزل الله من الكتاب والميزان، فتعدل في الرعية، وتقسـم بالسـوية، وتدعو إلى الخير، وتقاوم الشـرَّ، وتأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر، وتحمي الحقَّ، وتطارد الباطل، حتى تسـتحق نصر الله وتمكينه لها في

(١) انظر كتابنا: الأمة الإسـلامية حقيقة لا وهم، نشـر مكتبة وهبة، القاهـرة، ومدخل لمعرفة الإسلام، صـ٢٣٤ ـ ٢٤٥، مبحث: تكوين المجتمع الصالح، نشر مكتبة وهبة، القاهرة، ط٤، ١٤٢٩هـ ـ ٢٠٠٨م.

QaradawiBooks.com

أرضه، كما قال تعالى: ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ۞ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُواْ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَنَهَوۡاْ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۗ﴾ [الحج: ٤٠، ٤١]. ومن هنا أوجبت الشريعة الإسلامية إقامة «الإمام العادل» عن طريق الاختيار والبيعة، واشترطت فيه صفات، وكلَّفته بواجبات، وجعلت له حقوقًا. والإمام رمز للدولة.

ومن الضروري احترام حق الشعوب - بل واجبها - في اختيار حكَّامها من الأقوياء الأمناء، الذين تثق بكفايتهم ودينهم، دون تزييف لإرادتها، أو فرض حاكم عليها، يقودها رغم أنوفها. فإذا اختارت هذا الحاكم فله عليها حق المعونة والنصيحة والطاعة في غير معصية. ولها - بل عليها - أن تُسائله وتُحاسبه، وتُرشده إذا أخطأ، وتقوِّمه إذا انحرف، وتَعْزله إذا تَمادى في غيِّه بالطرق السلمية. ويقوم نظام الحكم على العدل والشورى ورعاية الحقوق، والالتزام بشريعة الله، وما أنزل من الكتاب والميزان. والاستفادة من النظام الديمقراطي بما فيه من آليات وضمانات ووسائل في مساندة الشعوب، وتقييد سلطان الحكام، دون أن نأخذ بكلِّ ما فيها وما وراءها من فلسفات، من مثل إطلاق الحرية الفردية، ولو على حساب القيم الأخلاقية، والأحكام الشرعية. وبهذا نأخذ خير ما في الديمقراطية، ونتجنَّب شرَّ ما فيها[1].

١٦ - تجنُّب التكفير والتفسيق إلا ببينة:

ومن الواجبات الأساسية للإبقاء على وحدة الأمة والأخوة بين أبنائها: تحسين الظنِّ بكلِّ مَنْ شهد الشهادتين، وصلَّى إلى القبلة، ولم يصدر منه ما يخالفها بيقين، والأصل حَمْلُ حال المسلم على الصلاح ما أمكن ذلك، وتجنُّب التفسيق والتكفير ما وُجِدَ إلى التجنُّب سبيل،

(١) انظر كتابنا: الدين والسياسة، ومن فقه الدولة في الإسلام، نشر دار الشروق، القاهرة.

QaradawiBooks.com

وخصوصًا: فسق التأويل، وكفر التأويل. فمفتاح الدخول في الإسلام هو الكلمة «لا إله إلا الله، محمد رسول الله». فلا يخرجه من الإسلام إلا جحود ما أدخله فيه، واليقين لا يُزال بالشك.

والتكفير خطيئة دينية، وخطيئة علمية، وخطيئة سياسية، لا يحلُّ لمسلم السقوط في هاويته، لما يترتَّب عليه من الحكم على المسلم بالإعدام المادي أو الأدبي أو كليهما، من المجتمع المسلم. لذا وَجَب الحذر كل الحذر من الوقوع فيه، إلا ما ثبت بيقين لا شك فيه، من تكذيب لقواطع القرآن، أو إنكار لمعلوم من الدين بالضرورة، أو سبٍّ صريح لله ورسوله، كما جاء في الحديث: «**إلا أن تروا كفرًا بواحًا عندكم فيه من الله برهان**»(١). والمقصود: البرهان القاطع. أما ما يحتمل التأويل، فإن الشك يفسَّر لصالح المتهم بالكفر(٢). وليس معنى هذا أن نتساهل في تكفير من يستحق التكفير، بل الواجب أن نُخرِج من الأمة من ليس منها، إذا ثبت لنا ذلك بالبيِّنة، حتى لا يبقى الجاحدون والمتطاولون على عقائد الأمة، والمُسْتخفّون بمقدساتها، والمُهدّمون لأُسسها، على أنهم جزء منها وهم في الحقيقة أعداؤها.

١٧ ـ تقوية اقتصاد الأمة وإقامته على أُسس إسلامية:

تقوية اقتصاد الأمة، تقوية تقوم على العلم والخبرة، وعلى الإيمان والأخلاق كذلك، والعمل على تكاملها فيما بينها، حتى تكتفي اكتفاء ذاتيًا،

(١) متفق عليه: رواه البخاري في الفتن (٧٠٥٥، ٧٠٥٦)، ومسلم في الإمارة (١٧٠٩)، عن عبادة بن الصامت.

(٢) انظر رسالتنا: ظاهرة الغُلوّ في التكفير، نشر مكتبة وهبة، القاهرة، وكتابنا: الصحوة الإسلامية بين الجحود والتطرف، الكتاب الثاني في سلسلة كتاب الأمة، قطر، شوال ١٤٠٢هـ، ونشر دار الشروق، وغيرهما. وكتابنا تحت الطبع عن «التكفير».

غير مرخصة للطباعة

QaradawiBooks.com

مدنيًّا وعسكريًّا، بحيث تُكَوِّن تكتلًا اقتصاديًّا عالميًّا له خصائصه ومقوِّماته، وبناء هذا الاقتصاد على فقه الشريعة ومقاصدها، على أن تراعي مقوِّماته وخصائصه المُميِّزة، فهو اقتصاد ربَّاني، يقوم على فكرة الاستخلاف في مال الله، واقتصاد إنساني، فالإنسان غايته، والإنسان وسيلته، وهو اقتصاد أخلاقي، لا ينفصل عن الأخلاق بحال في كلِّ خطواته، يقرُّ الملكية الفردية، ولكنه يقيِّدها بقيود وتكاليف تحدُّ من طغيانها، وهو اقتصادٌ تعاونيٌّ، لا يقوم على طبقة واحدة، بل تتعاون فيه الطبقات كلها، لمصلحة الأمة كلها، مع الانفتاح على العالم، والاستفادة من خير ما فيه.

ويجب تشجيع إقامة المصارف والمؤسَّسات المالية الإسلامية، وتعميق أسسها الشرعية والفكرية الإسلامية، وتحريرها من الصورية والشكلية، والعمل على تطويرها وتحسينها حتى تُسهم بقوة في تنمية المجتمعات الإسلامية، وإنقاذ الاقتصاد الوضعي في العالم من رجس الربا والاحتكار، ورذائل الظلم والغش والمعاملات الفاسدة، التي أدَّت إلى أزمة العالم المالية والاقتصادية التي يعاني منها اليوم.

كما يجب التخطيط العلمي، والسعي العملي لتأسيس اقتصاد إسلامي عالميٍّ متميز، يقوِّي الضعفاء، ولا يضعف الأقوياء، يُغْني الفقراء، ولا يفقر الأغنياء، لا يقوم على الربا ولا الاحتكار، يتحقق فيه: زيادة الإنتاج، وترشيد الاستهلاك، واستقامة التداول، وعدالة التوزيع. والإبقاء على وسطية الاقتصاد الإسلامي، فلا ينهج نهج النظام الرأسمالي الذي يُطْغي الفرد على حساب المجتمع، ولا النظام الشيوعي الذي يُطْغي المجتمع على حساب الأفراد. بل هو اقتصاد مقيَّد بالأخلاق، في إنتاجه واستهلاكه، وفي تداوله وتوزيعه، وهو يُعلِّم المسلم ألا يأخذ المال إلا من حِلِّه، ولا ينفقه إلا في حقِّه. كما لا يبخل به عن حقِّه.

QaradawiBooks.com

ومن أهم ما يميز الاقتصاد الإسلامي:

• إيجاب الزكاة، وهي من أركان الإسلام، وهي عنوان التكافل في المجتمع، وهي أول الحقوق في المال وليست آخرها، وهي فريضة يحرسها إيمان الفرد، وضمير المجتمع، وسلطان الدولة.

• وتحريم الربا، وهو من الموبقات السبع، وهو عنوان مقاومة الظلم في المجتمع، وقد لعن رسول الله ﷺ آكله ومُؤْكله وكاتبه وشاهديه، قال: «**هم فيه سواء**»(١)، ليحاصره من كلِّ جانب.

• كما أنه يقيم معاملاته على قواعد ومبادئ تضع من الضوابط والضمانات ما يمنع العالم من وقوع الأزمات الخطيرة التي تهدِّده بالدمار(٢).

١٨ ـ الإيمانُ بضرورة التعدُّدية والتعارف والتسامح بين الشعوب:

الإيمانُ بأنَّ البشريَّة أسرة واحدة، تنتمي من جهة الخلق إلى ربٍّ واحد، ومن جهة النسب إلى أب واحد، وعليهم أن يتعارفوا لا أن يتناكروا، كما قال تعالى: ﴿**يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ**﴾ [الحجرات: ١٣]، ﴿**يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً**﴾ [النساء: ١].

كما يجب توكيد الإيمان بالتعددية الدينية، والتعددية العرقية، والتعددية اللغوية، والتعددية الحضارية ـ أو الثقافية ـ والتعددية السياسية.

---

(١) رواه مسلم في المساقاة (١٥٩٨)، وأحمد في المسند (١٤٢٦٣)، عن جابر.

(٢) انظر كتبنا: دور القيم والأخلاق في الاقتصاد الإسلامي، نشر مكتبة وهبة، القاهرة، والزكاة وأثرها في حل المشكلات الاقتصادية، وفوائد البنوك هي الربا الحرام، ومشكلة الفقر وكيف عالجها الإسلام، ومقاصد الشريعة، والقواعد الحاكمة لفقه المعاملات.

QaradawiBooks.com

فمن الحقائق المسلَّمة: أن الله سبحانه هو المنفرد بالوحدانية: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ١]، وما عداه ﷻ فهو متعدِّد، يقوم على قاعدة الازدواج أو الزوجية، كما قال تعالى: ﴿وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [الذاريات: ٤٩].

ولذا كان من المهم ضرورة التعايش بين الحضارات، والتلاقح بين الثقافات، وتفاعل بعضها مع بعض، واقتباس بعضها من بعض، دون انكماش ولا استعلاء بالعرق، أو اللون، أو بالقوة، أو بالكثرة، أو بالمال. كما أن من اللازم: تهيئة الأجواء لإقامة حوار إيجابيٍّ بين أصحاب الأديان، ليتعاونوا في المشترك بينهم، ويقفوا صفًّا واحدًا في وجه منكري الأديان، والمتعدِّين على كرامة الإنسان، وحقوق الإنسان، ودعاة التحلُّل من كلِّ فضيلة وإحسان، وإشاعة القيم الإيمانية والأخلاقية، وغرس روح التسامح الذي دعا إليه الإسلام، وتميَّز به خلال تاريخه.

١٩ ـ إنشاء حضارة العلم والإيمان:

وممَّا يتطلَّع إليه تيَّار الوسطية الإسلامية: إنشاء حضارة متميزة يفتقر إليها العالم كله، حضارة ربانية إنسانية أخلاقية عالمية، تجمع بين العلم والإيمان، وتمزج بين الروح والمادة، وتوازن بين العقل والقلب، وتصل الأرض بالسماء، وتقيم الموازين القسط بين الفرد والمجتمع، وتُعلي قوة الحقِّ على حقِّ القوة.

والإسلام بقرآنه وسنته ينوِّه بقيمة العلم، ويرفع من قدر العلماء: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الزمر: ٩]. والعلم ما يكشف الحقيقة للناس في أيِّ مجال كان، دينيًّا كان أو دنيويًّا، إنسانيًّا كان أو طبيعيًّا، المهم أن يكون هدفه خير الإنسان، وسعادة الإنسان.

QaradawiBooks.com

وعلماؤنا يقررون: أنَّ التفوق في العلـوم الطبيعية والرياضية، فرض كفاية على الأمة، بحيث إذا لم يوجد لديها في كلِّ مجال من مجالات العلوم عدد كافٍ من العلماء والخبراء، يُلبِّي حاجة الأمة، ويُغْنيها عن غيرها، كانت الأمة كلُّها آثمة.

كما يجب على الأمة أن تكون لها مدارسها الفكرية الخاصة لدراسة العلوم الإنسانية، منطلقةً من فلسفتها حول الوجود والمعرفة والقيم، ونظرتها الكلية لله وللإنسان وللكون وللحياة، فتكون لنا المدرسة الإسلامية في علم الاجتماع، ومثلها في علم النفس، وأخرى في التربية، وهكذا، في مقابل المدارس الليبرالية والماركسية.

ومن المهم هنا: الإشادة بما قدَّمته أمتنا من منجزات حضارية تاريخية بَهَرت العالم، ومن فتوحات في زمن قياسي، كانت تحريرًا للشعوب من مستعبديها، ولم تكن يومًا لإذلالها أو استغلالها. والتنويه بما أسَّسته أمتنا من حضارة شامخة تميَّزت عن الحضارات السابقة واللاحقة، بتكاملها وتوازنها ووسطيتها[1]. جمعت بين الواقعية والمثالية، بين الرقيِّ الماديِّ والسموِّ الأخلاقي، بين الاستمداد من نور الوحي، ونور العقل.

وقد شارك في صنع هذه الحضارة أناس من أديان وأعراق وأوطان مختلفة، لم تضِق الحضارة الإسلامية بهم ذرعًا، وظلَّت هذه الحضارة أكثر من ثمانية قرون تُعلِّم العالم، وتنشر النور، ومنها اقتبست أوربا المنهج التجريبي الاستقرائي، وتعلَّمت من ابن سينا، والغزالي، وابن

(١) انظر رسالتنا: الحرية الدينية والتعددية في نظر الإسلام، وثقافتنا بين الانفتاح والانغلاق، ومقالة: ثقافة التسامح.

QaradawiBooks.com

رشـد، وغيرهم في الشـرق وفي الأندلس، كما تأثرت بالمسلمين حين اصطدمت بهم وتعاملت معهم في الحروب الصليبية(١).

ولا ندَّعي أن تاريخ أمتنا وحضارتها معصومٌ من الأخطاء، ولكنه أقل تواريخ الأمم مثالب، كما لا نقبل أن يشـوَّه تاريخنـا، وخصوصًا القرون الثلاثـة الأولـى، وهـي خير القـرون فيـه، التـي أثنى عليها رسـول الإسـلام ﷺ(٢). وواجب الأمة أن تصـل هذا الماضـي المجيد بحاضر يكافئه، إن لم يزد عليه، ولا تكتفي بالتغنِّي بأمجاده، والبكاء على مآسيه؛ بل واجبنا هو استلهام الماضي، والارتقاء بالحاضر، واسْتشراف المستقبل.

٢٠ ـ الرُّقيُّ بالفنون وتوظيفها في خدمة رسالة الأمة:

هذا المَعلَم ربما يسـتغربه بعض الناس، لأنه قد كوَّن لديه فكرة أن الدين عدو الفن. وهذا غير صحيح. فإنَّ روح الفن هو الشعور بالجمال، والتعبيـر عنه بطريقـة جميلة. والإسـلام يُحْيي هذا الشـعور في نفس المسـلم، ويعلِّم المؤمن أن ينظر إلى الجمال مبثوثًا في الكون كلِّه، في لوحات ربانية رائعة الحسـن، أبدعتها يد الخالق المصور، ﴿ٱلَّذِىٓ أَحۡسَنَ كُلَّ شَىۡءٍ خَلَقَهُۥ﴾ [السـجدة: ٧]، ﴿صُنۡعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتۡقَنَ كُلَّ شَىۡءٍ﴾ [النمل: ٨٨]، ﴿مَّا تَرَىٰ فِى خَلۡقِ ٱلرَّحۡمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍ﴾ [الملك: ٣].

ومن تدبَّر القرآن، وجـده يلفت الأنظار، ويُنبِّـه العقول والقلوب إلى الجمال الخاص بمفردات الكون وأجزائه، في السماء: ﴿أَفَلَمۡ يَنظُرُوٓاْ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوۡقَهُمۡ كَيۡفَ بَنَيۡنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ﴾ [ق: ٦]. وفي الأرض: ﴿وَأَنۢبَتۡنَا فِيهَا مِن كُلِّ

(١) انظر كتابنا: الإسلام حضارة الغد، ورسالتنا: من معالم الرسالة الحضارية لأمتنا، من رسائل ترشيد الصحوة، كلاهما نشر مكتبة وهبة، القاهرة

(٢) انظر كتابنا: تاريخنا المفترى عليه، نشر دار الشروق، القاهرة.

QaradawiBooks.com

زَوۡجِۭ بَهِيجٖ ﴾ [ق: ٧]، ﴿وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَنۢبَتۡنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهۡجَةٖ ﴾ [النمل: ٦٠]. وفي الحيوان، يقول بعد أن ذكر الأنعام ومنافعها: ﴿وَلَكُمۡ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسۡرَحُونَ﴾ [النحل: ٦]. وفي الإنسان: ﴿وَصَوَّرَكُمۡ فَأَحۡسَنَ صُوَرَكُمۡ﴾ [التغابن: ٣]. ﴿لَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ فِيٓ أَحۡسَنِ تَقۡوِيمٖ﴾ [التين: ٤]. والنبيّ ﷺ يقول: «**إنّ الله جميل يحبُّ الجمال**»(١).

والقرآن نفسه معجزة أدبية فنية جمالية، استمع إليه العرب وهم مشركون، فقالوا: إنَّ له لحلاوة، وإنَّ عليه لطلاوة(٢). وهو يُتلى بأجمل الأصوات، فتضيف إليه جمالا إلى جمال، كما جاء في الحديث: «**زيِّنوا القرآن بأصواتكم، فإن الصوت الحسن يزيد القرآن حسنًا**»(٣).

ولذا رحَّب الإسلام بالفن الراقي المسموع والمرئي والمصنوع، بقيود وشروط تنأى به أن يكون معبرًا عن الوثنية التي سادت الحضارات المختلفة قبل الإسلام، أو مساندًا لها وداعيًا إليها، بل المفروض في الفن الإسلامي وبكل أجناسه وألوانه أن يكون معبِّرًا عن التوحيد، وداعيًا إلى التوحيد.

وكذلك يجب أن ينأى الفن كلُّه في ظل الإسلام أن يكون أداة لإثارة الغرائز الدنيا، والدعوة إلى الفواحش ما ظهر منها وما بطن، بل الواجب أن يُوظَّف الفن ـ كما يوظَّف العلم ـ لتزكية الأنفس، والسموّ بالإنسان، وحضِّه على تقوى الخالق والإحسان بالمخلوق: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحۡسِنُونَ ﴾ [النحل: ١٢٨].

(١) سبق تخريجه صـ٦٨.

(٢) رواه الحاكم في التفسير (٢/٥٠٦)، وصححه على شرط البخاري، ووافقه الذهبي، والبيهقي في شعب الإيمان (١٣٣)، وجود إسناده العراقي في تخريج الإحياء صـ ٣٢٤، عن ابن عباس.

(٣) رواه الدارمي في فضائل القرآن (٣٥٤٤)، والحاكم في فضائل القرآن (١/٥٧٥) سكت عنه هو والذهبي، وصححه الألباني في الصحيحة (٧٧١)، عن البراء بن عازب.

QaradawiBooks.com

وفي هذا الإطار يدعم الإسلام الفنون ويرقى بها، كما شهدنا ذلك في عهود ازدهار الحضارة الإسلامية، وما حفلت به من فنون الهندسة والعمارة، وما اشتهرت أو تفرَّدت به من أعمال الزخرفة وكتابة الخط العربي والتفنُّن فيه، من ثُلُث، ورقعة، ونسخ، وفارسي، وديواني، وكوفي، وغيرها، وقد تجلَّى ذلك في القصور والمساجد والمصاحف والسيوف وغيرها.

ليس صحيحًا أن الحياة الإسلامية حياة قاتمة، لا مجال فيها لفم أن يضحك، ولا لقلب أن يفرح، ولا لفَكِهٍ أن يمزح، ولا لأسرة أن تغنِّي وتَطْرَب بزفاف عروس، وتضرب على ذلك الدُّفَ والطبل. والحقُّ أن إظهار الإسلام بمظهر المتزمِّت العبوس، ظلمٌ لحقيقة الإسلام، وقد أصدرنا عدة كتب في بيان أحكام الإسلام في ذلك، مثل: «فقه الغناء والموسيقى»، و«فقه اللهو والترويح»، و«الإسلام والفن». ينبغي الرجوع إليها لمعرفة الموقف الإسلامي الوسطي، الذي لا طغيان فيه ولا إخسار في الميزان.

٢١ ـ عمارة الأرض وتحقيق التنمية ورعاية البيئة:

ومن المعالم الأساسية لمنهج الوسطية المجدِّد: العناية بعمارة الأرض، فهي من المقاصد التي خلق الله من أجلها الإنسان، مثل عبادة الله، وخلافته في أرضه، قال تعالى: ﴿هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾ [هود: ٦١]، ومعنى ﴿اسْتَعْمَرَكُمْ﴾: أي طلب منكم عمارتها وإصلاحها. وتحقيق التنمية المتكاملة، والدائمة، مادية وبشرية، ورعاية البيئة بكلِّ مكوِّناتها، من إنسان وحيوان ونبات وجماد، وحمايتها من التلوث والفساد، الناشئ من تجاوز الإنسان في استخدام نعم الله ظلمًا وكفرانًا، والحفاظ على التوازن البيئي والتوازن الكوني، الذي أقام الله عليه خلقه،

QaradawiBooks.com

وأجرى به سننه، والتعاون على كلِّ ما يُيسِّر المعيشة للناس، وكل ما يشيع الجمال في الحياة، واعتبار ذلك عبادةً وجهادًا في سبيل الله.

وعلى سكان الأرض: أن يتَّحدوا فيما بينهم ليحافظوا على أرضهم، ويواجهوا الأخطار المهدِّدة لهم، من الذين يفسدون في الأرض بعد إصلاحها، كما حذَّر نبي الله صالحٌ قومَه قائلًا: ﴿وَلَا تُطِيعُوٓاْ أَمۡرَ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ۝ ٱلَّذِينَ يُفۡسِدُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا يُصۡلِحُونَ﴾ [الشعراء: ١٥١، ١٥٢]، وعلى أهل الأرض جميعا أن يحافظوا على الميزان الكوني، ﴿وَٱلسَّمَآءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ ٱلۡمِيزَانَ ۝ أَلَّا تَطۡغَوۡاْ فِي ٱلۡمِيزَانِ ۝ وَأَقِيمُواْ ٱلۡوَزۡنَ بِٱلۡقِسۡطِ وَلَا تُخۡسِرُواْ ٱلۡمِيزَانَ﴾ [الرحمٰن: ٧، ٩]. بدل أن يحارب بعضهم بعضًا(١).

لقد خلق الله هذه الأرض منذ خلقها، ﴿وَبَٰرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقۡوَٰتَهَا﴾ [فصلت: ١٠]، وضمن فيها الرزق لكلِّ خلقه: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزۡقُهَا﴾ [هود: ٦]، ﴿وَلَقَدۡ مَكَّنَّٰكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَجَعَلۡنَا لَكُمۡ فِيهَا مَعَٰيِشَۗ قَلِيلٗا مَّا تَشۡكُرُونَ﴾ [الأعراف: ١٠]، وبذلك تقوم حضارة متوازنة، تُكرِّم الإنسان، وتعتبره خليفة الله في الأرض، لا مجرَّد حيوان متطوِّر، وتساعده على أن يستمتع بطيبات ما خلق الله وما سخر له في الكون، وما ينزل من بركات السماء والأرض، التي يحرمها الإنسان بفجوره وعدوانه، وبُعده عن تقوى الله.

٢٢ ـ السلام مع المسالمين والجهاد ضد المعتدين:

ومن معالم هذا التيار الوسطي التجديدي في فَهم رسالة الإسلام: الدعوة إلى السلام مع كلِّ مَنْ بَسَط يده للسلام: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱدۡخُلُواْ فِي ٱلسِّلۡمِ كَآفَّةٗ﴾ [البقرة: ٢٠٨]، وتجنيب البشريَّة الحروب المدمِّرة

(١) انظر كتابنا: رعاية البيئة في شريعة الإسلام، والسنة مصدرا للمعرفة والحضارة صـ ١٤١ ـ ١٤٧، نشر دار الشروق، القاهرة، ط٣، ١٤٢٣هـ ـ ٢٠٠٢م.

QaradawiBooks.com

بغير ضرورة، وفي هذا يقول الرسول ﷺ: «**لا تتمنَّوا لقاء العدو، وسلوا الله العافية**»[1]، والسعي إلى الصلح والمعاهدات بين الدول، ولهذا كان أول ما فعله النبي الكريم بعد الهجرة عقد معاهدة تكافل وتعاون ودفاع مشترك مع يهود المدينة، كما رحَّب الرسول بصلح الحديبية مع محاربيه من قريش، وسمَّاه القرآن فتحًا مبينًا.

ولهذا لا يدخل المسلمون الحرب إلا مكرهين، كما قال تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ﴾ [البقرة: ٢١٦]، فإذا تلاقى المسلمون وأعداؤهم ولم يُقَدَّر بينهم قتالٌ، عقَّب القرآن على ذلك بما عقَّب به بعد غزوة الأحزاب: ﴿وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا۟ خَيْرًا ۚ وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَ﴾ [الأحزاب: ٢٥]، فما أروعه من تعقيب! وقال تعالى عن المشركين: ﴿فَإِنِ ٱعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ وَأَلْقَوْا۟ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَمَ فَمَا جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا﴾ [النساء: ٩٠]. وإذا وقع القتال، فإن الإسلام يُرحِّب بالجنوح إلى السلم كلَّما تيسَّرت سبله: ﴿وَإِن جَنَحُوا۟ لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ﴾ [الأنفال: ٦١].

هذا مع التمسك بفرضية الجهاد في سبيل الله للدفاع عن حرمة الدين والمقدَّسات، وعن أرض الإسلام، وأمة الإسلام، والمستضعفين في الأرض، والوقوف في وجه الفراعنة والمستكبرين في الأرض. وإعداد أقوى ما يُستطاع من القوة العسكرية المادية والبشرية، لإرهاب الأعداء، وبيان أنواع الجهاد ومجالاته: من الجهاد النفسيِّ، والجهاد الدعويِّ، والجهاد المدنيِّ، والجهاد ضدَّ الظلم والفساد في الداخل، إلى جانب الجهاد العسكري. ومن الجهاد الواجب: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وتغيير المنكر باليد، أو باللسان، أو القلب حسب الاستطاعة.

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٣٠٢٤)، ومسلم (١٧٤٢)، كلاهما في الجهاد والسير، عن عبد الله بن أبي أوفى.

QaradawiBooks.com

والجهاد قد يكـون فرض كفاية، وذلـك بإعداد الجيـوش القوية، المدرَّبة على القتال، المسلَّحة بما يُستطاع من قوة، وشحن الثغور والحدود بالقوات المسلحة المطلوبة، حتى لا يطمع العدو في بلاد المسلمين. وقد يكون الجهاد فرض عين على الأمة، لتحرير أرضها من كل سلطان أجنبي مسلَّط عليها. ولهذا كانت مقاومة الاحتلال الأجنبي فرضًا دينيًّا مؤكَّدًا، حتى يُطرَد من أرض الإسلام.

وأول أرض يجب تحريرها اليوم هي أرض فلسطين، أرض الإسراء والمعراج، التي غزاها الاستعمار الصهيوني، القادم من خارج المنطقة، مؤيَّدًا من الغرب كله، فاغتصب الأرض، وشرَّد أهلها، وسَفَك دماءهم، واستحلَّ حُرماتهم، وبنى دولته على أشلائهم. وبالحديد والنار والدم: استطاع الاستعمار الصهيوني الوحشي العنصري الاستيطاني الإحلالي أن يقيم دولته في قلب بلاد العرب والمسلمين، رغم أنوفهم.

ولم تكتفِ الدولة بحدودها المغتصَبة، ففكرتها الأصلية: أن ملك إسرائيل من الفرات إلى النيل، ومن الأَرْز إلى النخيل. فاحتلت فلسطين كلها، بل احتلت بعض أجزاء من بلاد عربية أخرى. ولا تزال تقتل وتدمِّر بغير حساب في فلسطين وما حولها، مؤيَّدة بالمال الأمريكي، والسلاح الأمريكي، والسياسة الأمريكية التي تستخدم إسرائيل في تحقيق أهدافها في المنطقة، التي تريد تغييرها من الجذور، حتى تغيِّر اسمها، فهي شرق أوسط كبير أو جديد. وعلى الأمة أن تتصدى لهذا الاستعمار المزدوج: الصهيوني الأمريكي، الذي جعل هدفه أمة الإسلام جمعاء. وهو يحارب الإسلام تحت عنوان محاربة الإرهاب[1].

(١) انظر كتبنا: فقه الجهاد (١٢٠١/٢-١٢١٣)، فصل حقيقة المعركة بيننا وبين الكيان الصهيوني، =

QaradawiBooks.com

٢٣ ـ العناية بالأقليات الإسلامية في العالم:

ومن معالم هذا التيار: العناية بالأقليات الإسلامية في العالم ـ وهي تُقدَّر بمئات الملايين ـ باعتبارها جزءًا من الأمة المسلمة، قُدِّر لها أن تعيش وسط مجتمعات مخالفة لها في الدين. وعلى الأمة أن تعينهم على أن يعيشوا بإسلامهم في مجتمعاتهم، عناصر حية فاعلة، تجسِّد الإسلام في سلوكها وتعاملها، تعيش به في نفسها، وتدعو إليه مواطنيها بأقوالها وأفعالها وأخلاقها.

ويجب على علماء الأمة ودعاتها حمايتهم من فكر الغلاة الذين يعيشون في هذه الأوطان وهم يضمرون لها العداوة، ويستحلُّون أموال أهلها، ولا يرعون لها حقًّا ولا عهدًا. وأن يبيِّنوا لهم موقف الإسلام الصحيح، كما يقوم به «المجلس الأوربي للإفتاء والبحوث» وغيره من المجالس.

ومن واجب هذه الأقليات: أن تتعاون فيما بينها ماديًّا وأدبيًّا، حتى تقيم مؤسساتها الدينية والتعليمية والاجتماعية والترويحية، كي يمكنها الاحتفاظ بهُويتها وشخصيتها الدينية، فالمرء ضعيف بمفرده، قويٌّ بجماعته. على أن يكون لها فقهها الذي يراعي ظروفها في ضوء الشريعة، وأن يكون شعارها: استقامة على الدين بلا انغلاق، واندماج في المجتمع بلا ذوبان(١).

ومن واجب كل فرد من هذه الأقلية: أن يحافظ على إيمانه وشخصيته الدينية ويُنمِّيها بالعلم النافع والعمل الصالح، والخُلق الفاضل، وأن يحافظ على ذريته وأهله كذلك، ﴿قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا﴾ [التحريم: ٦]، وأن

= ورسالة القدس قصة كل مسلم نشر مكتبة وهبة، القاهرة، والإسلام والعنف صـ٣٠-٣٦، نشر دار الشروق، القاهرة، ط٢، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٧م.

(١) انظر كتابنا: في فقه الأقليات، نشر دار الشروق، القاهرة.

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

يقوي صلته بإخوانه، فيمكنَهم أن يقوموا بواجبهم نحو أنفسهم وأسرهم ودعوة غيرهم، وأن يظلوا على ارتباط بأمتهم الإسلامية، ولا ينسوا قضاياها، فهم رصيد سياسي لها في بلاد الغرب وغيرها، ليقاوموا تأثير اللوبي الصهيوني فيها.

٢٤ ـ رعاية حقوق الأقليات الدينية في مجتمعاتنا الإسلامية:

الاعتراف بحقوق الأقليات الدينية ـ يهودية أو نصرانية أو مجوسية أو غيرها ـ ومعاملتهم بما أوجبه لهم الإسلام من تركهم وما يدينون، وعدم التدخُّل في شؤونهم العقدية أو التعبدية، أو أحوالهم الشخصية، والتأكيد على أنهم من «أهل دار الإسلام» بإجماع فقهاء الأمة، ومقتضى هذا: أنهم بلغة عصرنا «مواطنون» لهم ما للمسلمين وعليهم ما عليهم، إلا ما اقتضاه التميُّز الديني، فلا تفرض عليهم عبادة إسلامية، ولا تقاليد إسلامية.

ولا ينبغي للأكثرية المسلمة أن تضغط عليهم بحال بما يُعْنِتُهم في دينهم أو دنياهم، ولا تضيِّق عليهم فيما يحلُّه لهم دينهم، وإن كان الإسلام يحرِّمه، مثل: أكل الخنزير، وشرب الخمر. وإن كان العالم كله اليوم يقاوم المسكرات، لأضرارها الجسيمة والملموسة على الفرد والأسرة والمجتمع، مادية ومعنوية.

وتسميتهم «أهل الذمة» ليس بلازم دينًا، فقد أسقط عمر رضي الله عنه : ما هو أهم من الذمة، وهو كلمة «جزية» المذكورة في القرآن، حين عرض بنو تغلب، وهم عرب نصارى: أن يدفعوا ما يطلب منهم ـ ولو مضاعفًا ـ باسم الزكاة التي يدفعها المسلمون، لأنهم عرب يأنفون من كلمة «جزية» فقبل منهم عمر، ووافقه الصحابة رضي الله عنهم [1]. وهذا ما يعطينا سندًا لتؤخذ

(١) رواه البيهقي في الجزية (٢١٦/٩)، عن عبادة بن النعمان التغلبي.

QaradawiBooks.com

منهم ضريبة مثل ما يدفع المسلمون من زكاة، يدفعها المسلمون على أنها عبادة، ويدفعونها هم على أنها ضريبة، كما أنهم يمكنهم أن يُجَنَّدوا في جيش الدولة المسلمة إذا رغبوا في ذلك.

ولم ينهنا القرآن أن نبرَّ هؤلاء، ونقسط إليهم ما داموا لم يقاتلونا في الدين ولم يخرجونا من ديارنا، ولم يظاهروا على إخراجنا: ﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓاْ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾ [الممتحنة: ٨][١].

على أن الأقلية الدينية ـ ولا سيما المسيحية ـ في بلاد العرب لها خصوصيتها، التي تجعلها جزءًا من الثقافة والحضارة العربية الإسلامية، بحكم تكلمهم بالعربية، فهم مسيحيون بالملة، مسلمون بالثقافة.

٢٥ ـ تبنِّي منهج التيسير في الفتوى والتبشير في الدعوة:

ومن معالم الوسطية والتجديد: تبنِّي منهج التيسير والتخفيف في الفقه والفتوى، اتباعا للمنهج القرآني: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾ [البقرة: ١٨٥]، ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ [الحج: ٧٨]، وللمنهج النبوي: «**يسِّروا ولا تعسِّروا**»[٢]، «**إنما بعثتم ميسِّرين ولم تبعثوا معسِّرين**»[٣].

ومن ذلك: التضييق في الإيجاب والتحريم، والإفتاء بالرخص، ولا سيما عند الحاجة إليها، وبقاعدة: «الضرورات تبيح المحظورات»، وقاعدة: «الحاجة تنزل منزلة الضرورة». والتوسُّع في مصادر التشريع فيما لا نصَّ فيه؛ من الأخذ بالاستصلاح، والاستحسان، ورعاية العرف،

---

(١) راجع في هذا كتابنا: غير المسلمين في المجتمع الإسلامي، والأقليات الدينية والحل الإسلامي.

(٢) سبق تخريجه صـ١٥١.

(٣) سبق تخريجه صـ١٥١.

QaradawiBooks.com

وسد الذريعة. وإن كان ولا بد من التشـديد، فليكن في الأصول لا في الفروع. وقد حذَّر الرسول الكريم من الغُلوّ والتنطُّع والتَّشديد والتعسير.

وإذا كان التيسـير مطلوبًا في كلِّ زمان، فهو أشد ما يكون طلبًا في هذا العصر، الذي غلبت فيه الماديات على المعنويات، وتعقَّدت فيه حياة الناس، وكثُرت العوائق عن الخير، والمغريات بالشر. والتيسير المطلوب هنا: لا يعني تبريـر الواقع، أو مجاراة الغرب، أو إرضـاء الحكام، بِليِّ أعناق النصـوص حتى تفيد التيسـير قسْـرًا، فيحلُّوا الحـرام، ويبدِّلوا الأحـكام، فهذا موقف مرفوض، كموقف الذين يعسِّـرون ما يسَّـر الله، ويعرضون عن كلِّ اجتهاد فيه تخفيفٌ على عباد الله[١].

ويُتمِّم التيسـيرَ في الفتوى: التبشـيرُ في الدعوة، وقـد ربط بينهما المنهج النبوي، فقال النبيُّ ﷺ لأبي موسـى ومعاذ، حين أرسلهما إلى اليمن: «**يسِّـرا ولا تُعسِّرا، وبشِّـرا ولا تُنَفِّرا**»[٢]، وكذلك روى عنه أنس: «**يسِّروا ولا تعسِّروا، وبشِّروا ولا تنفِّروا**»[٣].

ومن هنا ينبغي أن نعمل على تطوير مناهج هذه الدعوة المبشِّرة إلى الإسـلام: للمسـلمين: تفقيهًا للتعاليم، وتصحيحًا للمفاهيـم، وتثبيتًا وتذكيرًا للمؤمنين، وبيانًا لحقائق الإسلام، وردًّا على أباطيل خصومه. ولغير المسلمين: باعتبار دعوة الإسلام دعوة عالمية موجَّهة للناس كافَّة: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبيـاء: ١٠٧]. مع ضرورة اسـتخدام آليـات العصر مـن الفضائيات والإنترنـت وغيرها، فـي تبليغها إلى

(١) راجع كتابنا: الصحوة الإسلامية من المراهقة إلى الرشد صـ ١٣٤ ـ ١٧٧، فصل: من التعسير والتنفير إلى التيسير والتبشير، نشر دار الشروق، القاهرة، ط١، ١٤٢٣هـ ـ ٢٠٠٢م.

(٢) سبق تخريجه صـ١٥١.

(٣) سبق تخريجه صـ١٥١.

QaradawiBooks.com

العالمين، بلغاتهم المختلفة، مع وجوب رعاية الأصول، بجانب رعاية روح العصر، وأسلوب العصر.

ودعوة المسلمين تكون كما رسمها القرآن ـ بالحكمة والموعظة الحسنة ـ ودعوة المخالفين عن طريق الحوار بالتي هي أحسن، سواء كانوا مخالفين في أصل الدين، أم مخالفين في المذهب داخل الدين، أم مخالفين في غير ذلك. وتبنِّي منهج التبشير في الدعوة، إلى جوار منهج التيسير في الفتوى.

والتبشير في الدعوة: أن نُذكِّر بالرجاء مع الخوف أو قبل الخوف، وبالوعد مع الوعيد أو قبل الوعيد، ونؤكِّد بواعث الأمل بدل المثبِّطات والمحبطات، ونعرِّف بالإسلام: أنه دين التفاؤل لا التشاؤم، دين الأمل لا القنوط، دين الحب لا البغض، دين التعارف لا التناكر، دين الحوار لا الصِّدام، دين الرفق لا العنف، دين الرحمة لا القسوة، دين السلام لا الحرب، دين البناء لا الهدم، دين الجَمْع لا التفريق. والتركيز على بواعث الأمل، لا على مُوجبات الإحباط، وتأكيد المبشِّرات بانتصار الإسلام[1]، بدل التركيز على أحاديث الفتن وما تُوحي به من غربة الإسلام، وإدبار الإيمان.

٢٦ ـ رعاية سنة التدرُّج وسائر سنن الله:

ومن معالم الوسطية المجدِّدة: التدرُّج الحكيم: في الدعوة والتعليم والإفتاء والتغيير، وعدم استعجال الشيء قبل أوانه، والثمرة قبل نضجها. والتدرُّج سنة كونية، كما هو سنة شرعية، قال تعالى: ﴿ **فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ** ﴾ [الأحقاف: ٣٥].

وقد أنزل الله القرآن في ثلاث وعشرين سنة على رسوله ﷺ، ليقرأه على الناس على مُكْث، وليعايش الناس في تطوُّر حياتهم،

(١) انظر رسالتنا: المبشرات بانتصار الإسلام، من رسائل ترشيد الصحوة.

QaradawiBooks.com

ويجيبهم عن تساؤلاتهم كلّما سألوا، ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾ [الفرقان: ٣٣].

ومن اللازم هنا: وجوب رعاية سنن الله في الكون والمجتمع، فهي قوانين ثابتة لا تخضع للأهواء، ولا تُحابي أحدًا، ولا تجور على أحد، كما قال تعالى: ﴿فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا﴾ [فاطر: ٤٣]. فمَن رعى هذه السنن رعته، ومَن ضيَّعها ضيَّعته.

ومن ذلك: سنته تعالى في النصر والتمكين، وسنته في التغيير والإصلاح، وسنته في قيام الأمم وسقوطها، وسنته في إمهال الظالمين دون إهمالهم، وسنته في ربط المسببات بأسبابها، فمن جَدَّ وجد، ومن زرع حصد، أيًّا كان دينه أو عرقه، أو وطنه. إلى غير ذلك من السنن التي أقام الله عليها نظام هذا الكون.

٢٧ ـ الموازنة بين ثوابت الشرع ومتغيرات العصر:

ومن معالم هذه الوسطية: الموازنة بين ثوابت الشرع ومتغيرات العصر، فلا يجوز إغفال الثوابت، ولا إهمال المتغيِّرات، ولا تحويل الثوابت إلى متغيِّرات، ولا المتغيِّرات إلى ثوابت، ولكن يجب ملاحظة أثر تغيُّر الزمان والمكان والحال والعرف في تغيُّر الفتوى، وفي أسلوب الدعوة والتعليم[١]. مع ضرورة مراعاة الثبات في الأهداف والغايات، والمرونة والتطور في الوسائل والآليات، وكذلك الثبات في الأصول والكليات، والمرونة في الفروع والجزئيات[٢].

(١) انظر كتابنا: موجبات تغير الفتوى ص٣٩ وما بعدها، نشر دار الشروق، القاهرة، ط١، ٢٠٠٨م.

(٢) انظر كتابنا: الخصائص العامة للإسلام صـ٢١٣ ـ ٢٥٨، فصل: الجمع بين الثبات والمرونة.

QaradawiBooks.com

وبهذا نقول: نعـم «للتحديث» ولمواكبة العصر فـي التقدُّم العلمي والتكنولوجي والتطوُّر المحمود، الذي يرقى بالحياة والإنسـان(١). كما نقول: لا «للتغريب» الذي يريد أن يسلخ الأمة من جلدها، ويجعلها تبعًا لأمم أخرى، باسم «الحداثة» أو «العولمة» أو غيرها.

ونرفض موقف الذين يريدون أن يجمِّدوا الدنيا باسم الدين، ويجمِّدوا المجتمع باسم الشرع، فلا مجال لتطوير ولا تغيير، شعارهم: ما ترك الأول للآخر شيئًا! كما نرفض موقف الذين يريدون أن يغيِّروا كل شيء، فلا ثبات لعقيدة، ولا لقيم، ولا أخلاق، فكلُّ حقٍّ يمكن أن يصبح باطلًا، وكلُّ باطل يمكن أن يمسي حقًّا. وهذا ضابط مهم من ضوابط التجديد المنشود.

٢٨ ـ وضع التكاليف في مراتبها الشرعية (فقه الأولويات):

ومن معالم الوسطية الإسـلامية، وضوابط التجديد الإسلامي الذي نصْبُو إليه: فهم التكاليـف والأعمال فَهما متوازنًـا، يضعها في مراتبها الشـرعية، ويُنزل كل تكليف منزلته وفق ما جاءت بـه النصوص، التي ميَّزت بين الأعمـال: ﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ ٱلْحَآجِّ وَعِمَارَةَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ كَمَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَجَٰهَدَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ١٩]، «**الإيمان بضع وسـبعون ـ أو بضع وستون ـ شعبة، أعلاها: لا إله إلا الله، وأدناها: إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان**»(٢) فهناك أعلى وأدنى وما بينهما، فلا يجوز أن يُجعل الأعلى أدنى، ولا الأدنى أعلـى، ولا أن يُكبَّر الصغير، ولا أن يُصغَّر الكبير، ولا يُؤخَّر ما حقُّه التقديم، ولا يُقدَّم ما حقُّه التأخير.

---

(١) انظر كتابنا: بينات الحل الإسـلامي صـ ١٠٨ ـ ١٥٤، فصل: نعم للتحديث لا للتغريب، نشر مكتبة وهبة، القاهرة، ط٥، ١٤٣٤هـ ـ ٢٠١٣م.

(٢) متفق عليه: البخاري (٩)، ومسلم (٣٥)، كلاهما في الإيمان، عن أبي هريرة.

QaradawiBooks.com

ومن هنا وجب تقديم العقيدة على العمل، والأصول على الفروع، والفرائض على النوافل، والفرائض الرُّكنية على غيرها من الفرائض، وفرائض العين على فرائض الكفاية، وفرائض الكفاية التي لم يقم بها أحد على الفرائض التي قام بها البعض. وفي جانب المنهيات يقدَّم الشرك على المعصية، والكبيرة على الصغيرة، والمحرَّم المجمَع عليه على المختلَف فيه.

كما يجب أن يقدَّم الكيف على الكم، والجوهر على الشكل، والباطن على الظاهر، وأعمال القلوب على أعمال الجوارح. وأيضًا يقدَّم القطعي على الظني، والثابت بالنصِّ على الثابت بالاجتهاد، والمتفق عليه على المختلف فيه. وهو ما أطلقنا عليه اسم «فقه الأولويات»(١).

٢٩ ـ ضرورة الإصلاح الشامل والتغيير الجذري:

ومن معالم الوسطية والتجديد الإسلامي: ضرورة الاستجابة لما تُنادي به فئات الأمة كلها من التغيير الجذري، والإصلاح الشامل، لا الإصلاح الجزئي ولا الوقتي، ولا الترقيعي ولا السطحي، الذي يقف عند السطوح، ولا يغوص في الأعماق، أو يكتفي بالمسكِّنات دون اقتلاع الأدواء من جذورها. وحثُّ دعاة الإصلاح والتغيير على مقاومة التخلف والفساد، فالتخلُّف يُعطِّل عقل الأمة، والفساد يُعطِّل ضميرها.

عوائق التقدم الحضاري للأمة:

وأول عائق للتقدم الحضاري للأمة: الفساد السياسي، والفساد الاقتصادي، والفساد الإداري، والفساد الأخلاقي. وعلى هؤلاء الدعاة أن

(١) راجع كتابينا: في فقه الأولويات، والصحوة الإسلامية بين الجحود والتطرف صـ ١٢٤ ـ ١٤٤، نشر دار الشروق، القاهرة، ط٣، ٢٠١٢م.

QaradawiBooks.com

يتعاونوا لإقامة إصلاح حقيقي؛ يشمل هذه المجالات كلها. ولا يكون الإصلاح حقيقيًّا إلا إذا تمَّ بإرادتنا وبأيدينا، ومن منظورنا، ولتحقيق أهدافنا ومصالحنا. أما الإصلاح الذي يفرضه الآخرون علينا، لتحقيق أهدافهم، ولينفَّذ بأيديهم أو أيدي عملائهم، فيستحيل أن يكون إصلاحًا.

إصلاح الأنظمة السياسية المستبدة:

ومدخل كل إصلاح هو إصلاح الأنظمة السياسية المستبدة التي تحكم شعوبنا، وتتحكَّم في مصايرها، وتُخْرِس كل لسان حر، وتكسر كل قلم حر، وتسجن كل داعية حر، وتُزوِّر الانتخابات، وتقهر الخصوم بقوانين أحكام الطوارئ، والمحاكم العسكرية. فلا علاج لهذا الفساد إلا بتغيير جِذريٍّ، يأتي بحكام يختارهم الشعب بكل حُريته، يحسُّون بآلامه، ويُجسِّدون آماله، ويستطيع أن يحاسبهم ويسائلهم، ويقوِّمهم ويعزلهم إذا تمادوا في السوء.

وأساس كل تغيير هو تغيير الإنسان من داخله، فهو يُقاد من باطنه لا من ظاهره، ومن عقله وضميره لا من أذنه أو رقبته، وشعار الإصلاح هنا: قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡ﴾ [الرعد: ١١](١).

٣٠ ـ الانتفاع بتراثنا الغني بما فيه من علوم وفنون وآداب:

ومن معالم الوسطية والتجديد: أن نصل حاضرنا بماضينا، فلسنا أمة بلا تاريخ، بل نحن أمة لها تراثها وأمجادها، ولها جذورها الضاربة في أغوار التاريخ. ومن الواجب: الانتفاع بأفضل ما في تراثنا الرحْب

(١) انظر في فقه التغيير كتابنا: الحل الإسلامي فريضة وضرورة، نشر مكتبة وهبة، القاهرة، ومؤسسة الرسالة، بيروت.

QaradawiBooks.com

المتنـوِّع: من ضبط الفقهـاء، وتأصيل الأصوليين، وحفـظ المحدِّثين، وعقلانية المتكلميـن، وروحانية المتصوفين، وروايـة المؤرخين، ورقَّة الأدباء، وأخْيلة الشـعراء، وتأمل الحكماء، وتجارب العلماء. مع العلم بأنَّ هذا التراث كله ـ حتى ما له صلة بالدين ومصادره ـ من صنع العقل الإسـلامي، وهـو بالطبع غير معصـوم، فهو قابـل للنقـد والمراجعة والمناقشة، والترجيح أو التضعيف. ولكن الأمة في مجموعها لا تجتمع على ضلالة. ويجب النظر إلى التـراث في ضوء قواطع الوحي الإلهي، وقواطع العلم البشري.

ويجب التمييز جيدًا بين المسـتوى الإلهـي «المعصوم» من التراث مثل القرآن الكريم وصحيح السـنة النبوية، والمسـتوى البشـري منه، ويشمل هذا شروح العقل الإسـلامي للمسـتوى المعصوم. ومنه الفقه الإسـلامي وأصوله، ولكن لا يجوز رفض هذا التراث كله بما فيه شرح الجانب المعصوم، لأنَّ هذا يعني رفض المعصوم أيضًا.

كما يجب العمـل على إحياء هذا التراث وخدمته بأسـاليب العصر وآلياته، وانتقاء الملائم منه لتعميمه ونشـره على جماهير الأمة، وإبقاء الأشـياء الأخرى ـ بما فيها ممَّا يعاب ـ لدراسة المتخصصين في الدائرة الأكاديمية. وبذلك يسـتطيع أن يقـوم التراث بوظيفته فـي رُقيِّ الأمة، وقيامها برسالتها الخالدة[1].

❊ ❊ ❊

(١) انظر كتابينا: ثقافتنا العربية الإسـلامية بين الأصالة والمعاصرة ص٣٥-٧٤، فصل: لكي نكون أصلاء حقا، نشر مكتبة وهبة، القاهرة، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م، وبينات الحل الإسلامي صـ١٠٨ ـ ١٥٤، فصل: أصالة لا رجعية وتحديث لا تغريب، نشر مكتبة وهبة، القاهرة، ط٥، ١٤٣٤هـ ـ ٢٠١٣م.

QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

خاتمة

مختصر معالم ومنارات الوسطية والتجديد:

١ ـ العلم الراسخ والفهم الشامل والمتوازن للإسلام، بحيث تتجلَّى فيه خصيصتان: الأولى: الشمول والتكامل، بوصفه: عقيدة وشريعة، علمًا وعملًا، عبادةً ومعاملة، ثقافة وأخلاقًا، حقًّا وقوةً، دعوةً ودولة، دينًا ودنيا، حضارةً وأمة. والخصيصة الثانية: هي المزج المتوازن بين المتقابلات، أو الثنائيات كالمزج بين الروحية والمادية، بين الربانية والإنسانية، بين الفكر والوجدان، بين المثالية والواقعية، بين الفردية والجماعية.

٢ ـ الإيمان بمرجعية القرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحة، للتشريع والتوجيه للحياة الإسلامية، مع ضرورة فَهم النصوص الجزئية في ضوء المقاصد الكلية.

٣ ـ تأسيس العقيدة على الإيمان بالله، وباليوم الآخر، والتوحيد الخالص: توحيد الربوبية، وتوحيد الألوهية، وتوحيد الحاكمية. فيتحرَّر الإنسان من العبودية للإنسان، ومن كلِّ ما سوى الله. والإيمان بأن محمدًا رسول الله، المبعوث بالرسالة العالمية الخالدة، ختم الله به النبيين.

٤ ـ التقرُّب إلى الله وحده بما شَرَع من العبادات، والتركيز على عبادة الله تعالى بوصفها الغاية التي خُلق لها الإنسان، وهي تتجلَّى في الشعائر

الأربع الكبرى، وما يليها من ذكر الله، والدعاء، والاستغفار. هذا بالإضافة إلى العبادات الباطنية: من صدق النية والإخلاص لله، والخشية له، وغيرها. وهي أساس التصوُّف الحقيقي الذي يقوم على «الصدق مع الحقِّ، والخُلُق مع الخَلق».

٥ ـ تزكية النفس ومجاهدتها، حتى تتحلَّى بمكارم الأخلاق، التي عُني بها الإسلام، سواء كانت أخلاقًا فردية أم اجتماعية، ورفض موقف الذين يعتبرون العبادات الشعائرية هي كلُّ شيء، وموقف الذين يعتبرون الأخلاق كلَّ شيء.

٦ ـ تأكيد فرضية الدعوة إلى الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والنصيحة في الدين، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والتواصي بالحقِّ، والتواصي بالصبر.

٧ ـ ترسيخ القيم الإنسانية والاجتماعية، مثل: العدل والشورى والحرية والكرامة، وحقوق الإنسان.

٨ ـ احترام العقل بجوار الوحي، والدعوة إلى النظر والتفكُّر، وتكوين العقلية العلمية، ومقاومة الجمود والتقليد الأعمى للآباء أو للسادة والكبراء، أو لعامة الناس. ونفي التعارض بين النقل الصحيح والعقل الصريح.

٩ ـ تجديد الدين من داخله، بتجديد الفَهم له، وتجديد الإيمان به، وتجديد العمل به، وتجديد الدعوة إليه. وإحياء مبدأ الاجتهاد الذي لا تحيا الشريعة إلا به، على أن يكون الاجتهاد من أهله، وفي محلِّه.

١٠ ـ الدعوة إلى فقه جديد، فقه في الكون، وفقه في الدين، وهو يضمُّ عدة ألوان من الفقه المنشود: فقه سنن الكون، وفقه مقاصد الشرع،

QaradawiBooks.com

وفقه المآلات، وفقه الموازنات، وفقه الأولويات، وفقه الاختلاف، والفقه الحضاري، وفقه التغيير، وفقه الواقع.

١١ ـ إنصاف المـرأة وتكريمها، والحفاظ علـى فطرتها، وتوكيد ما جاء به الإسـلام من إعطاء المـرأة حقوقها ومكانتهـا وكرامتها، وتحريرها من رواسـب عصور التخلف والتراجع الإسـلامي، ومن غوائل الغزو الحضاري الغربي الذي أخرج المـرأة من فطرتها، ولم يراعِ أنوثتها.

١٢ ـ العناية بالأسرة نواة للمجتمع، والدعامة الأولى لقيام المجتمع الصالح، ورعاية حقوق كلٍّ من الزوجين علـى صاحبه، وعدم اللجوء إلى الطـلاق إلا إذا تعـذَّر الوفاق، وشـرعية تعدُّد الزوجـات بقيوده وشروطه، دون توسُّع ولا تحريم. وتوسـيع نطاق الأسرة حتى تشمل العصبة والأرحام.

١٣ ـ تكوين المجتمع الصالـح المتكافل، المجتمع الذي يقوم على الإخاء والتكافل والتراحم بين أبنائه، يحمل غنيُّه همَّ فقيره، ويأخذ قويُّه بيد ضعيفه، ويشدُّ بعضه أَزْرَ بعض.

١٤ ـ الإيمـان بوجـود الأمة الإسـلامية ورسـالتها والـولاء لها، وخلودها، والإيمان بفرضيَّة وحدتها، وبالأخوة الدينية بين أبنائها، على اختلاف مدارسـها ومذاهبها، واعتبار الفرق المختلفـة كلها من الأمة الواحدة، ما دامت تصلِّي إلى القبلة، وتؤمن بالقرآن الكريم، وبالسـنة النبوية المشرفة.

١٥ ـ إقامة الدولة العادلة حاملة الدعوة، التي تقود الأمة إلى الحق والخيـر، وتقيم عدل الله فـي الأرض، وتحتكم إلـى ما أنزل الله من

QaradawiBooks.com

الكتاب والميزان، وتحترم حق الشعوب في اختيار حكامها، دون تزييف لإرادتها، أو فرض حاكم عليها يقودها رغم أنوفها، ولها ـ بل عليها ـ أن تُسائله وتحاسبه، وتعزله إذا تمادى في غَيِّه بالطرق السلمية.

١٦ ـ تجنُّب التفسيق والتكفير ما وجد إلى التجنُّب سبيل، ولا سيما ما كان سببه التأويل، وتحسين الظن بكلٍّ من شهد الشهادتين، وصلَّى إلى القبلة، ولم يصدر منه ما يخالفها بيقين، والأصل حمل حال المسلم على الصلاح ما أمكن ذلك.

١٧ ـ تقوية اقتصاد الأمة، تقويةً تقوم على العلم والخبرة، وعلى الإيمان والأخلاق، والعمل على تكاملها فيما بينها، وبناء هذا الاقتصاد على فقه الشريعة ومقاصدها، والسعي العملي لتأسيس اقتصاد إسلامي متميِّز عن الاقتصاد الرأسمالي والاقتصاد الشيوعي.

١٨ ـ الإيمان بضرورة التعدديَّة والتعارف والتسامح بين الشعوب، وبأن البشريَّة أسرة واحدة، وضرورة التعايش بين الحضارات، والتلاقح بين الثقافات، وتفاعل بعضها مع بعض، واقتباس بعضها من بعض، دون انكماش ولا استعلاء.

١٩ ـ إنشاء حضارة العلم والإيمان، حضارة ربانية، إنسانية، أخلاقية، عالمية، تجمع بين العلم والإيمان، وتمزج بين الروح والمادة، وتوازن بين العقل والقلب، وتصل الأرض بالسماء، وتقيم التوازن والقسط بين الفرد والمجتمع، وتُعلي قوة الحق على حق القوة.

٢٠ ـ الرقيُّ بالفنون وتوظيفها في خدمة رسالة الأمة: فروح الفن هو الشعور بالجمال، والتعبير عنه بطريقة جميلة. والإسلام يُحْيي هذا

QaradawiBooks.com

الشعور في نفس المسلم، ويعلِّمه النظر إلى الجمال في الكون والإنسان، باعتباره من صنع الله الذي أتقن كلَّ شيء. ويرحِّب الإسلام بالفن الراقي المسموع والمرئي والمصنوع. ويوظفه في خدمة الحقِّ والخير، وينأى به أن يكون أداة لإثارة الغرائز والشهوات الدنيا.

٢١ ـ عمارة الأرض وتحقيق التنمية ورعاية البيئة، والتعاون على كلِّ ما يُيسِّر المعيشة للناس، وكل ما يشيع الجمال في الحياة، واعتبار ذلك عبادةً وجهادًا في سبيل الله.

٢٢ ـ السلام مع المسالمين، والجهاد مع المعتدين، وتوعية الأمة بأن الجهاد مفروض عليها فرض عين، لتحرير أرضها من كلِّ سلطان أجنبي مسلَّط عليها. والعمل على تجميع كلِّ القوى والجماعات والحركات العاملة لنصرة الإسلام، وبعث أمته، في صف واحد، ووجهة واحدة.

٢٣ ـ العناية بالأقليات الإسلامية في العالم، باعتبارها جزءًا من الأمة المسلمة، وعلى الأمة أن تُعينهم على أن يعيشوا بإسلامهم في مجتمعاتهم، عناصر حيَّة فاعلة، وأن يكون لهم فقههم الخاص، وأن يكون شعارها: استقامة على الدين بلا انغلاق، واندماج في المجتمع بلا ذوبان.

٢٤ ـ العناية بالأقليات الدينية في مجتمعاتنا الإسلامية، ومعاملتهم بما أوجبه لهم الإسلام من تركهم وما يدينون، والتأكيد على أنهم من «أهل دار الإسلام» ومقتضى هذا: أنهم بلغة عصرنا «مواطنون» لهم ما لنا وعليهم ما عليهم، إلا ما اقتضاه التميُّز الديني.

QaradawiBooks.com

٢٥ ـ تبنِّي منهج التيسـير في الفتوى، والتخفيف في الفقه والفتوى، وإن كان ولا بد من التشديد، فليكن في الأصول لا في الفروع. والتيسير المطلوب هنا: لا يعني تبرير الواقع، أو مجاراة الغرب، أو إرضاء الحكام. وكذلك تبني منهج التبشير في الدعـوة، ودعوة المسـلمين بالحكمة والموعظة الحسنة، ودعوة المخالفين عن طريق الحوار بالتي هي أحسن، مع ضرورة رعاية روح العصر، وأسلوب العصر.

٢٦ ـ رعاية سنة التدرج وسائر سـنن الله، التدرج الحكيم في الدعوة والتعليم والإفتاء والتغيير، وعدم استعجال الشيء قبل أوانه، والثمرة قبل نضجها. فمن راعى السنن راعته، ومن ضيّعها ضيّعته.

٢٧ ـ الموازنة بين ثوابت الشرع ومتغيرات العصر، مع ضرورة مراعاة الثبـات في الأهـداف والغايات، وفـي الأصول والكليـات، والمرونة والتطور في الوسـائل والآليات، وفي الفـروع والجزئيات. ومن الخطر تغيير الثوابت، أو تثبيت المتغيِّرات.

٢٨ ـ وضع التكاليف في مراتبها الشـرعية، بفهمهـا فَهمًا متوازنًا، وإنـزال كل تكليـف منزلتـه وَفْق ما جـاءت به مُحْكمـات النصوص والمقاصد، فلا يتقدَّم ما حقُّـه التأخُّر، ولا يتأخَّر ما حقُّـه التقدُّم، وهو ما أطلقنا عليه اسم «فقه الأولويات».

٢٩ ـ ضرورة الإصلاح الشامل، والتغيير الجذري، إصلاح لا يقف عند السـطوح بل يغوصُ في الأعماق، ولا يكون الإصلاح حقيقيًّا إلا إذا تمَّ بإرادتنا وبأيدينا، لا أن يفرض علينـا، ومدخل كل إصلاح هو إصلاح الأنظمة السياسيةِ المستبدة، وأساس كل تغيير هو تغيير الإنسان من داخله.

QaradawiBooks.com

٣٠ ـ الانتفاع بتراثنا الغني بما فيه من علوم وفنون وآداب، مع العلم بأن هذا التراث كله غير معصوم، فهو قابل للنقد والمراجعة والمناقشة والترجيح أو التضعيف. ولكن الأمة في مجموعها لا تجتمع على ضلالة. كما يجب العمل على إحياء هذا التراث وخدمته بأساليب العصر وآلياته، وانتقاء الملائم منه لتعميمه ونشره على جماهير الأمة، وإبقاء القضايا الأخرى لدراسة المتخصصين.

* * *

غير مخصصة للطباعة
نسخة مجانية

غير مرخصة للطباعة

نسخة مجانية

مَوْسُوعَةُ الأَعْمَالِ الْكَامِلَةِ
لِسَمَاحَةِ الإِمَامِ
يُوسُف القَرَضَاوِي

الفهارس العامة

- فهـرس الآيات القرآنيـة الكريمة.
- فهرس الأحاديث النبوية الشـريفة.
- فهرس الموضوعات.

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

فهرس الآيات القرآنية الكريمة

الآيـــــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة الفاتحة		
﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾	٤	١٠٢، ١٨١، ١٩٢، ٢٠٠
﴿الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾	٦	٣٦، ١٠٦
﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ۞ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ ...﴾	٦، ٧	٤، ١٢، ٣٧، ٦٤
سورة البقرة		
﴿يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ ...﴾	٩	١٨٩
﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا مِنْ رِزْقِ اللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾	٦٠	٦٦
﴿قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌ بَيْنَ ذَلِكَ﴾	٦٨	٦٣
﴿قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾	١١١	٤٣، ١٧٠
﴿قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ﴾	١٤٢	١١٨
﴿يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾	١٤٢	١١٨

نسخة مجانية

QaradawiBooks.com

الآيــــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ ...﴾	١٤٣	٤، ١١، ٢٥، ٢٦، ٢٧، ٢٩، ٣٠، ٣٤، ٦٤، ٩١، ٩٣، ٩٤، ١١٨، ١١٩، ١٢٠، ١٢٢، ١٣١، ١٤٠، ١٤١، ١٤٣، ١٤٦، ٢٢٣، ٢٤٢
﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ...﴾	١٧٠	١٧٠، ٢٣١
﴿ذَٰلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ﴾	١٧٨	١٥٠
﴿وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ...﴾	١٨٥	١٥٠، ٢٠٧، ٢٩١
﴿وَقَٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓا۟ ...﴾	١٩٠	١٢٦
﴿فَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا ...﴾	٢٠٠	١٠٩
﴿وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً ...﴾	٢٠١	٤، ٥٠، ٦٤، ١٠٩، ١٨٥
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱدْخُلُوا۟ فِى ٱلسِّلْمِ كَآفَّةً﴾	٢٠٨	٢٨٦
﴿وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾	٢١٣	١١٨
﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ﴾	٢١٦	٥٤، ٢٨٧
﴿قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ﴾	٢١٩	١٥٦
﴿ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِ فَإِمْسَاكٌۢ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌۢ بِإِحْسَٰنٍ﴾	٢٢٩	٥٣
﴿حَٰفِظُوا۟ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ﴾	٢٣٨	٢٥، ٢٦

غير مخصص للطباعة
نسخة مجانية

الآيـــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿ فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا ﴾	٢٣٩	١٥٠
﴿ لَآ إِكْرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَيِّ ﴾	٢٥٦	١٢٥
﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَۚ ... ﴾	٢٨٥	٢٦٤
﴿ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَاۚ ... ﴾	٢٨٦	١٥٥، ٢٠٦
سورة آل عمران		
﴿ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ﴾	٧	١٩٨
﴿ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ ... ﴾	٦٤	٢٦٤
﴿ وَمِنْهُم مَّنْ إِن تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لَّا يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَآئِمًاۗ ... ﴾	٧٥	٥٨
﴿ وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾	١٠١	١٦
﴿ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾	١٠٢	١٦٣
﴿ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ﴾	١٠٣	٢٧٥
﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ ... ﴾	١٠٤	٢٣٧، ٢٦٧
﴿ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ﴾	١٠٥	٢٧٥
﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ ... ﴾	١١٠	٤٠، ٩٣، ١٢٠، ٢٤٢، ٢٦٨، ٢٧٥
﴿ فَـَٔاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ ٱلْـَٔاخِرَةِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾	١٤٨	٥٠
﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ ... ﴾	١٥٩	١٦٢
﴿ لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ ... ﴾	١٦٤	١١
﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ ... ﴾	١٩٠، ١٩١	٤٤

QaradawiBooks.com

الآيـــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة النساء		
﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا ...﴾	١	٢٨٠
﴿فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً﴾	٣	٥٢
﴿يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ ۚ وَخُلِقَ الْإِنسَانُ ضَعِيفًا﴾	٢٨	١٥٠
﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ۖ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ...﴾	٣٦	٢٧٣
﴿لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنتُمْ سُكَارَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ﴾	٤٣	١٥٦
﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ...﴾	٦٥	٢٥٤
﴿فَإِنِ اعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَاتِلُوكُمْ وَأَلْقَوْا إِلَيْكُمُ السَّلَمَ ...﴾	٩٠	٢٨٧
﴿وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ فَلْتَقُمْ طَائِفَةٌ مِّنْهُم ...﴾	١٠٢	١٥٠
﴿وَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ ...﴾	١٢٤	٢٣٥
﴿وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَىٰ يُرَاءُونَ النَّاسَ ...﴾	١٤٢، ١٤٣	١٨٩
﴿فَبِظُلْمٍ مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ ...﴾	١٦٠، ١٦١	٥١، ٢٠٦
﴿وَأَخْذِهِمُ الرِّبَا وَقَدْ نُهُوا عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ﴾	١٦١	٥٨
﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ ...﴾	١٧١	٦٥
سورة المائدة		
﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ﴾	٢	٢٣٧
﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾	٣	١٨
﴿مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ ...﴾	٦	١٥٠، ٢٠٦
﴿وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ ...﴾	٤٩	٢٦١

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية

QaradawiBooks.com

الآيـــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ ...﴾	٥٤	١٦٢
﴿مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ...﴾	٧٥	٦٥
﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ﴾	٧٧	٥، ٦٥، ١٠٠، ١٣٠
﴿ لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُودَ ...﴾	٧٨، ٧٩	٢٦٨
﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ ...﴾	٨٧، ٨٨	٥، ٦٧
﴿فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ﴾	٨٩	٢٥، ٢٦
﴿إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ ...﴾	٩٠	١٥٦
﴿ اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ وَأَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾	٩٨	١٧٢، ٢٥٤
﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ ...﴾	١٠١	١٥٧
سورة الأنعام		
﴿قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾	١٤	٢٦٣
﴿وَقَالُوا إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ﴾	٢٩	٤٩
﴿وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ الْمُجْرِمِينَ ﴾	٥٥	١٥
﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ﴾	٩٠	٢٦٤
﴿ وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ ...﴾	٩٨	٢٤٦، ٢٧١
﴿ أَفَغَيْرَ اللَّهِ أَبْتَغِي حَكَمًا وَهُوَ الَّذِي أَنزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلًا﴾	١١٤	٢٦٤
﴿ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلَادَهُمْ سَفَهًا بِغَيْرِ عِلْمٍ ...﴾	١٤٠	٥٢
﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾	١٥٢	٢٣٠
﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ ...﴾	١٥٣	٤، ١٥، ٦٤، ١٢٢

QaradawiBooks.com

الآيــــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿قُلۡ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحۡيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ...﴾	١٦٢، ١٦٣	١٢٢، ١٤٨
﴿قُلۡ أَغَيۡرَ ٱللَّهِ أَبۡغِي رَبّٗا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيۡءٖ﴾	١٦٤	٢٦٣
سورة الأعراف		
﴿وَلَقَدۡ مَكَّنَّٰكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَجَعَلۡنَا لَكُمۡ فِيهَا مَعَٰيِشَۗ قَلِيلٗا مَّا تَشۡكُرُونَ﴾	١٠	٢٨٦
﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ ...﴾	٣١، ٣٢	٥٠، ٦٤، ١٨٥
﴿قُلۡ مَنۡ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخۡرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزۡقِ﴾	٣٢	١٢٣
﴿قُلۡ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلۡفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنۡهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلۡإِثۡمَ وَٱلۡبَغۡيَ ...﴾	٣٣	٦٤
﴿ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓ﴾	٥٩	٦٦
﴿فَلَا يَأۡمَنُ مَكۡرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ﴾	٩٩	١٧٣، ١٧٤
﴿ٱخۡلُفۡنِي فِي قَوۡمِي وَأَصۡلِحۡ وَلَا تَتَّبِعۡ سَبِيلَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ﴾	١٤٢	٦٦
﴿يَأۡمُرُهُم بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَىٰهُمۡ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ ...﴾	١٥٧	٥١، ١٥٥، ٢٠٦
﴿ءَامَنُواْ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُواْ ٱلنُّورَ ...﴾	١٥٧	١١
﴿وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ﴾	١٥٨	٨٧
﴿لَهُمۡ قُلُوبٞ لَّا يَفۡقَهُونَ بِهَا﴾	١٧٩	٢٤٧
﴿وَلَا تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ بَعۡدَ إِصۡلَٰحِهَا وَٱدۡعُوهُ خَوۡفٗا وَطَمَعًاۚ ...﴾	٥٦	٦٦
﴿وَمِن قَوۡمِ مُوسَىٰٓ أُمَّةٞ يَهۡدُونَ بِٱلۡحَقِّ وَبِهِۦ يَعۡدِلُونَ﴾	١٥٩	٢٣٧
﴿وَمِمَّنۡ خَلَقۡنَآ أُمَّةٞ يَهۡدُونَ بِٱلۡحَقِّ وَبِهِۦ يَعۡدِلُونَ﴾	١٨١	٢٣٧
سورة الأنفال		
﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن قُوَّةٖ وَمِن رِّبَاطِ ٱلۡخَيۡلِ ...﴾	٦٠	١٢٥
﴿وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلۡمِ فَٱجۡنَحۡ لَهَا وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ﴾	٦١	٢٨٧

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

الآيـــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَيَّدَكَ بِنَصۡرِهِۦ وَبِٱلۡمُؤۡمِنِينَ ۞ وَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِهِمۡ﴾	٦٢، ٦٣	٢٣٨
﴿قَوۡمٞ لَّا يَفۡقَهُونَ﴾	٦٥	٢٤٦
﴿وَأُوْلُواْ ٱلۡأَرۡحَامِ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلَىٰ بِبَعۡضٖ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ﴾	٧٥	٢٧٣
سورة التوبة		
﴿أَجَعَلۡتُمۡ سِقَايَةَ ٱلۡحَآجِّ وَعِمَارَةَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ كَمَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ ...﴾	١٩	٢٩٥
﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ...﴾	٣١	٥٧
﴿وَقَٰتِلُواْ ٱلۡمُشۡرِكِينَ كَآفَّةٗ كَمَا يُقَٰتِلُونَكُمۡ كَآفَّةٗۚ ...﴾	٣٦	١٢٦
﴿لَا تَحۡزَنۡ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾	٤٠	٨١
﴿وَلَا يَأۡتُونَ ٱلصَّلَوٰةَ إِلَّا وَهُمۡ كُسَالَىٰ وَلَا يُنفِقُونَ ...﴾	٥٤	١٨٩
﴿ٱلۡمُنَٰفِقُونَ وَٱلۡمُنَٰفِقَٰتُ بَعۡضُهُم مِّنۢ بَعۡضٖۚ ...﴾	٦٧	٢٦٧
﴿وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ ...﴾	٧١	٢٦٧، ٢٧٢، ٢٧٤
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلۡكُفَّارَ وَٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱغۡلُظۡ عَلَيۡهِمۡ﴾	٧٣	١٦٢
﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلۡأَوَّلُونَ مِنَ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ ...﴾	١٠٠	١٨
﴿وَءَاخَرُونَ ٱعۡتَرَفُواْ بِذُنُوبِهِمۡ خَلَطُواْ عَمَلٗا صَٰلِحٗا وَءَاخَرَ سَيِّئًا ...﴾	١٠٢	١٨٩
﴿فَلَوۡلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرۡقَةٖ مِّنۡهُمۡ طَآئِفَةٞ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِي ٱلدِّينِ ...﴾	١٢٢	٢٤٧، ٢٧١
سورة يونس		
﴿قُلۡ هَلۡ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَهۡدِيٓ إِلَى ٱلۡحَقِّۚ قُلِ ٱللَّهُ يَهۡدِي لِلۡحَقِّۗ ...﴾	٣٥	١٩
﴿قُلۡ أَرَءَيۡتُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ لَكُم مِّن رِّزۡقٖ ...﴾	٥٩	٥١
﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ﴾	٦٣	١٩٧
﴿أَفَأَنتَ تُكۡرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُواْ مُؤۡمِنِينَ﴾	٩٩	١٢٥

QaradawiBooks.com

الآيـــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة هود		
﴿وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا﴾	٦	٢٨٦
﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾	٧	١٦٧، ٢٣٠
﴿هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ﴾	٦١	٦٦، ٢٨٥
﴿مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ﴾	٨٣	٢٧٢
﴿قَالُوا يَا شُعَيْبُ أَصَلَاتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا ...﴾	٨٧	٥٩
﴿إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ﴾	٨٨	٦٦
سورة يوسف		
﴿إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۚ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ۚ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ ...﴾	٤٠	٩٨، ١٤٣
﴿إِنَّهُ لَا يَيْأَسُ مِن رَّوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾	٨٧	١٧٣، ١٧٥
﴿قُلْ هَٰذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾	١٠٨	٢٦٧
سورة الرعد		
﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِّلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلْمِهِمْ ...﴾	٦	١٧٢
﴿وَكُلُّ شَيْءٍ عِندَهُ بِمِقْدَارٍ﴾	٨	٣٣
﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾	١١	٤٥، ٢٩٧
سورة إبراهيم		
﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ﴾	٤	٢٤٩
﴿قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِن نَّحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ ...﴾	١١	٤٥

QaradawiBooks.com

الآيــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة الحجر		
﴿ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُواْ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴾	٢٩	٤٩
﴿ نَبِّئْ عِبَادِىٓ أَنِّىٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ... ﴾	٤٩، ٥٠	١٧٢
سورة النحل		
﴿ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ﴾	٦	٢٨٤
﴿ وَقَالَ ٱللَّهُ لَا تَتَّخِذُوٓاْ إِلَٰهَيْنِ ٱثْنَيْنِ ۖ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ ... ﴾	٥١	١٢٢
﴿ عَبْدًا مَّمْلُوكًا لَّا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَىْءٍ ﴾	٧٥	٥٥
﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ ... ﴾	١٢٥	٢٣٠، ٢٦٧
﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴾	١٢٨	٢٥٤، ٢٥٥، ٢٨٤
سورة الإسراء		
﴿ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ ﴾	٩	٢٣١
﴿ مَّنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ﴾	١٥	٤٥
﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ ... ﴾	٢٩	٤، ٦٣، ١٠٧، ١٢٣
﴿ وَلَا تَقْرَبُواْ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾	٣٤	٢٣٠
﴿ ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾	٥٣	١٦٧
﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ ... ﴾	٥٧	١٧٣
﴿ وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَٱبْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴾	١١٠	٤، ٦٣
سورة الكهف		
﴿ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾	٧	٢٣٠
﴿ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴾	٢٨	٥، ٦٤

QaradawiBooks.com

الآيـــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة طه		
﴿وَٱجۡعَل لِّي وَزِيرٗا مِّنۡ أَهۡلِي ۝ هَٰرُونَ أَخِي ۝ ٱشۡدُدۡ بِهِۦٓ أَزۡرِي ...﴾	٢٩ ـ ٣٥	٢٣٧
سورة الأنبياء		
﴿إِنَّهُمۡ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَيَدۡعُونَنَا رَغَبٗا وَرَهَبٗاۖ ...﴾	٩٠	١١٠، ١٧٥
﴿إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ وَأَنَا۠ رَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُونِ﴾	٩٢	٢٤٢، ٢٧٥
﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾	١٠٧	٢١٤، ٢٦٧، ٢٩٢
سورة الحج		
﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمۡ ظُلِمُواْۚ ...﴾	٣٩، ٤٠	١٢٦
﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ...﴾	٤٠، ٤١	٢١٥، ٢٧٧
﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلدِّينِ مِنۡ حَرَجٖ﴾	٧٨	١٥٠، ٢٠٧، ٢٩٢
سورة المؤمنون		
﴿إِنۡ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنۡيَا نَمُوتُ وَنَحۡيَا وَمَا نَحۡنُ بِمَبۡعُوثِينَ﴾	٣٧	١٢٢
﴿وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ وَأَنَا۠ رَبُّكُمۡ فَٱتَّقُونِ﴾	٥٢	٢٤٢
﴿وَلَوِ ٱتَّبَعَ ٱلۡحَقُّ أَهۡوَآءَهُمۡ لَفَسَدَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهِنَّ﴾	٧١	١٩
سورة النور		
﴿لَّا شَرۡقِيَّةٖ وَلَا غَرۡبِيَّةٖ يَكَادُ زَيۡتُهَا يُضِيٓءُ وَلَوۡ لَمۡ تَمۡسَسۡهُ نَارٞۚ ...﴾	٣٥	٣٢، ١٧٠، ٢١٤
﴿إِنَّمَا كَانَ قَوۡلَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحۡكُمَ بَيۡنَهُمۡ ...﴾	٥١	٢٥٤، ٢٦٢
﴿فَلۡيَحۡذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنۡ أَمۡرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمۡ فِتۡنَةٌ ...﴾	٦٣	٢٦٣

QaradawiBooks.com

الآيـــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة الفرقان		
﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا﴾	٢	٣٣
﴿وَاتَّخَذُوا مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً لَّا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ...﴾	٣	٤٤
﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَـٰكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾	٣٣	٢٩٤
﴿وَالَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا ...﴾	٦٧	٥، ٦٤، ١٠٧، ١٢٣
سورة الشعراء		
﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ۞ وَلَا تُطِيعُوٓا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ ...﴾	١٥٠ ـ ١٥٢	٦٦، ٢٨٦
سورة النمل		
﴿وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ السَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ﴾	٦٠	٢٨٤
﴿قُلْ هَاتُوا بُرْهَـٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ﴾	٦٤	١٧٠
﴿صُنْعَ اللَّهِ الَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ﴾	٨٨	٢٨٣
سورة القصص		
﴿سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَـٰنًا﴾	٣٥	٢٣٧
﴿وَابْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ اللَّهُ الدَّارَ الْـَٔاخِرَةَ ...﴾	٧٧	٤، ٦٤، ١٢٣، ١٨٥
سورة العنكبوت		
﴿وَالَّذِينَ جَـٰهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾	٦٩	٢٦٦
سورة الروم		
﴿اللَّهُ الَّذِى خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ...﴾	٥٤	٤١

QaradawiBooks.com

الآيـــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة لقمان		
﴿وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ﴾	١٩	٦٩
سورة السجدة		
﴿الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ﴾	٧	٢٨٣
﴿يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾	١٦	١٧٦
﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾	١٧	١٧٦
سورة الأحزاب		
﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ ...﴾	٢١	٧٣، ٨٧
﴿وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا ...﴾	٢٥	٥٤، ٢٨٧
﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا ...﴾	٣٦	٢٦٢
﴿وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا﴾	٦٧	٢٣١
سورة فاطر		
﴿فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا﴾	٤٣	٢٩٤
سورة يس		
﴿لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ ...﴾	٤٠	٣٣
سورة ص		
﴿وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾	٢٦	١٣٠
سورة الزمر		
﴿أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ﴾	٩	١٧٢
﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾	٩	٢٨١

QaradawiBooks.com

الآيـــــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿فَبَشِّرْ عِبَادِ ۝ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ ...﴾	١٧، ١٨	١٦٧، ٢٣١
﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ ...﴾	٥٣	١٧٣
﴿وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم﴾	٥٥	١٦٧، ٢٣٠
سورة غافر		
﴿غَافِرِ الذَّنبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّوْلِ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ...﴾	٣	١٧٢
سورة فصلت		
﴿وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا﴾	١٠	٢٨٦
﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا ...﴾	٣٣	٢٢٠، ٢٣١
﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾	٣٤	٢٣٠
سورة الشورى		
﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾	١١	٤٤
﴿فَلِذَٰلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ ...﴾	١٥	١٧٩
﴿اللَّهُ الَّذِي أَنزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَالْمِيزَانَ﴾	١٧	١٢
﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنتَصِرُونَ ۝ وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا ...﴾	٣٩، ٤٠	٥٤
﴿وَلَمَنِ انتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَٰئِكَ مَا عَلَيْهِم مِّن سَبِيلٍ ...﴾	٤١ ـ ٤٣	٥٤
﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾	٥٢	١٠٦
سورة الجاثية		
﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا ...﴾	١٨، ١٩	١٦٠
﴿مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ﴾	٢٤	١١٩

QaradawiBooks.com

الآيـــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة الأحقاف		
﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ ... ﴾	٥	٤٤
﴿ فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ ﴾	٣٥	٢٩٣
سورة محمد		
﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ ٱلْأَنْعَٰمُ وَٱلنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ ﴾	١٢	٥٠
سورة الفتح		
﴿ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ﴾	٢٩	١٦٢
سورة الحجرات		
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ﴾	١٣	٠١
سورة ق		
﴿ أَفَلَمْ يَنظُرُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ﴾	٦	٢٨٣
﴿ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴾	٧	٢٨٤
سورة الذاريات		
﴿ وَمِن كُلِّ شَىْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾	٤٩	٢٧٢، ٢٨١
﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾	٥٦	٢٦٥
سورة النجم		
﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴾	٤	٢٥٢
﴿ فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ... ﴾	٢٩، ٣٠	١٨٤
﴿ وَمَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ ... ﴾	٢٨	٤٣

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

الآيـــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة القمر		
﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ﴾	٤٩	٣٣
سورة الرحمٰن		
﴿ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ﴾	٥	٣٣
﴿وَٱلسَّمَآءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ ٱلْمِيزَانَ ۞ أَلَّا تَطْغَوْا۟ فِى ٱلْمِيزَانِ ...﴾	٧ ـ ٩	٥، ١٢، ٣٢، ٦٥، ٢٦٢، ٢٨٦
سورة الحديد		
﴿وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٌ﴾	٢٠	١٧٢
﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمِيزَانَ ...﴾	٢٥	٥، ٥٧، ٦٥
﴿فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا﴾	٢٧	١٣٠
سورة الحشر		
﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ ...﴾	٨، ٩	٢٧٥
سورة الممتحنة		
﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ ...﴾	٨	١٢٦، ٢٩١
سورة الصف		
﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِهِۦ صَفًّا ...﴾	٤	٢٣٧
سورة الجمعة		
﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّۦنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ﴾	٢	٢٥٥
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ...﴾	٩، ١٠	٤٧
﴿فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ﴾	١٠	١٢٣

QaradawiBooks.com

الآيـــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة التغابن		
﴿وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ﴾	٣	٢٨٤
سورة التحريم		
﴿قُوٓاْ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا﴾	٦	٢٦٧، ٢٨٩
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ﴾	٩	١٦٢
سورة الملك		
﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾	٢	١٦٧، ٢٣٠
﴿مَّا تَرَىٰ فِى خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍ﴾	٣	٣٣، ٢٨٤
﴿أَفَمَن يَمْشِى مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِۦٓ أَهْدَىٰٓ أَمَّن يَمْشِى سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾	٢٢	٢٥٧
سورة القلم		
﴿قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ﴾	٢٨	٢٥، ٢٦، ٢٧، ٣٥، ٩١، ٩٢، ١٣١
سورة النازعات		
﴿فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ۞ وَءَاثَرَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ۞ فَإِنَّ ٱلْجَحِيمَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ﴾	٣٧ ـ ٣٩	١٨٤
سورة الأعلى		
﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ۞ وَٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ﴾	١٦، ١٧	١٨٤
سورة الفجر		
﴿وَلَا تَحَٰٓضُّونَ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ...﴾	١٨ ـ ٢٠	٢٧٤
سورة البلد		
﴿فَلَا ٱقْتَحَمَ ٱلْعَقَبَةَ ۞ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْعَقَبَةُ ۞ فَكُّ رَقَبَةٍ ...﴾	١١ ـ ١٧	٢٧٤

QaradawiBooks.com

الآيـــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة الشمس		
﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ۞ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ۞ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ...﴾	٧ ـ ١٠	٤٨، ٢٦٦
سورة التين		
﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾	٤	٢٨٤
سورة الزلزلة		
﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ...﴾	٧، ٨	٢٥٢
سورة العاديات		
﴿فَأَثَرْنَ بِهِۦ نَقْعًا ۞ فَوَسَطْنَ بِهِۦ جَمْعًا﴾	٤، ٥	٢٥
سورة العصر		
﴿وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ﴾	٣	٢٣٧
سورة الإخلاص		
﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۞ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۞ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ...﴾	١ ـ ٤	٤٤، ١٢٢، ٢٨١
سورة الناس		
﴿بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۞ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ۞ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ﴾	١ ـ ٣	٢٦٤

❊ ❊ ❊

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

فهرس الأحاديث النبوية الشريفة

رقم الصفحة	الحديث
	أ
٧٩	اتركوا لي صاحبي
٢١٠	أحبُّ العمل إلى الله ما دام عليه صاحبه وإن قلَّ
٢٥٥	الإحسان: أن تَعْبُد الله كأنَّك تراه، فإن لم تَكُنْ تراه فإنَّه يراك
١٦٧	إذا سألتم الله فاسألوه الفردوس، فإنه أوسط الجنة وأعلى الجنة
١٣٣	إذنها سكوتها
٧٨	اذهبوا فأنتم الطلقاء
٧٣	اعقلها وتوكل
٧٢، ٢١٠	أفتَّانٌ أنت يا معاذ؟
٧٤	أفلا أكون عبدًا شكورا
١٥٢	أفلح إن صدق
٧، ٧١	اقرؤوا القرآن واعملوا به، ولا تغلوا فيه، ولا تجفوا عنه، ولا تأكلوا به
٢٧٨	إلا أن تروا كفرًا بواحًا عندكم فيه من الله برهان
٨٠	ألا إن القوة الرمي
٥٠، ١٨٥	اللهم أصلح لي ديني الذي هو عصمة أمري

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

الحديث	رقم الصفحة
اللهم كما حَسَّنْتَ خَلقي فحَسِّنْ خُلُقي	٨٢
اللهم لا تجعل الدنيا أكبر همِّنا، ولا مبلغ علمنا	١٨٤
أما كان معهم لهو؟ فإن الأنصار يعجبهم اللهو	٧٦
أما والله أني لأخشاكم لله وأتقاكم له، لكني أصوم وأفطر	٧
أمة وسطًا قال: عدلًا	٩٢
إن ابني ارتحلني ـ أي اتخذني راحلة وركوبة ـ فكرهت أن أعجله	٧٨
إن ابنيَّ هذين ريحانتاي من الدنيا	٧٨
إنّ الله جميل يحبُّ الجمال	٦٨، ٨٣، ٢٨٤
إن الله عن تعذيب هذا نفسه لغني	٢٠٧
إن الله كتب الإحسان على كلِّ شيء	٨٢، ٢٠٦
إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كلِّ مائة سنة مَن يجدِّد لها دينها	٧، ٢٣٢، ٢٧٠
إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملًا أن يتقنه	٨٢
إن الله يحبُّ أن تؤتى رخصه، كما يحبُّ أن تؤتى عزائمه	١٥١، ١٥٣
إن الله يحبُّ أن تؤتى رخصه، كما يكره أن تُؤتَى معصيته	١٥١
إن الله يحبُّ أن يرى أثر نعمته على عبده	٦٨
إن الله يحبُّ من أحدكم إذا عمل عملًا أن يتقنه	٢٠٦
إن الإيمان ليَخْلَق في جَوْف أحدكم، كما يَخْلَق الثوب الخَلق	٧، ٢٥٢
إن الدين يسرٌ، ولن يشادَّ الدِّينَ أحدٌ إلا غلبه، فسدِّدوا وقاربوا وأبشروا	٦، ٧١، ١٨٦
إن فاطمة بَضعَة ـ قطعة ـ مني، وأنا أتخوف أن تفتن في دينها	٧٧
إن قامت الساعة وفي يد أحدكم فسيلة ـ نخلة صغير ـ	٤٧

QaradawiBooks.com

الحديث	رقم الصفحة
إن كانت الأمة لتأخذ بيد رسول الله ﷺ فتنطلق به حيث شاءت	٧٩
إن لبدنك عليك حقا، وإن لعينك عليك حقا، وإن لأهلك عليك حقا	٦، ٤٩، ٦٩
إن لنفسك عليك حقًّا، ولزوجك عليك حقًّا	١١٥
إن من إجلال الله إكرام ذي الشيبة المسلم	٧، ٧١
إنَّ منكم منفِّرين	٢١٠
إن هذا الدين متين؛ فأوْغِلْ فيه برفق، ولا تُبغِّضنَّ إلى نفسك عبادةَ الله	١٠٠
إن هذا الدين يسر، ولن يشادّ الدين أحد إلا غلبه	١٠٠
إن هذه كانت صديقة خديجة، وإن حسن العهد من الإيمان	٧٩
أنتم الذين قلتم كذا وكذا؟ أما والله أني لأخشاكم لله وأتقاكم له	٧٢
إنكم لن تنالوا هذا الأمر بالمبالغة	١٨٦
إنما بُعثتُ لأتمِّم صالح الأخلاق ـ وفي رواية ـ مكارم الأخلاق	١٠٦، ٢٦٦
إنما بعثتم ميسِّرين ولم تبعثوا معسِّرين	٢٩١
إنما النساء شقائق الرجال	٢٧٣
إنه ليُغانُ على قلبي، وإنّي لاستغفر الله في اليوم مائة مرة	٧٥
الإيمان بضع وسبعون ـ أو بضع وستون ـ شعبة، أعلاها: لا إله إلا الله	٢٩٥
أيُّها الناس، إن منكم منفِّرين، فأيُّكم أمَّ النَّاس فليوجز	١٥٤
ب	
بشِّروا ولا تنفِّروا	١٧٢
البكر تستأذن في الزواج، وإذنها صمتها	١٣٣
بمثل هذا فارموا، إياكم والغُلو في الدين	١٨٨

QaradawiBooks.com

الحديث	رقم الصفحة
ت	
تدمع العين، ويحزن القلب، ولا نقول إلا ما يرضي الرب	٧٧
تزوجوا، فإني مكاثر بكم الأمم يوم القيامة	٦٧
تلك صلاة المنافق، تلك صلاة المنافق، تلك صلاة المنافق	١٨٩
ث	
ثلاث مهلكات: شحّ مطاع، وهوى مُتّبع، وإعجاب المرء بنفسه	٧٠
ح	
حتى يعلم اليهود أن في ديننا فسحة، وأني بُعِثْتُ بحنيفية سمحة	٦٨، ٧٦
حق لله على كل مسلم في كل سبعة أيام يوم يغسل فيه رأسه وجسده	٨٣
خ	
خلِّهم يعملون!	١٩١
خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم	١٨
د	
دخل الجنة إن صدق	١٥٢
ذ	
ذاك رجل بال الشيطان في أذنيه	١٨٨
ر	
ردَّ رسول ﷺ على عثمان بن مظعون التبتل	٦٧
ز	
زيِّنوا القرآن بأصواتكم، فإن الصوت الحسن يزيد القرآن حسنًا	٢٨٤

QaradawiBooks.com

الحديث	رقم الصفحة
س	
ستين مسكينًا	٢٠٧
سدِّدوا، وقاربوا، واغْدُوا وروحوا وشيء من الدُّلجة	٢١٠
السواك مطهرة للفم، مرضاة للرب	٨٣
ع	
عليكم من العمل ما تطيقون؛ فإنَّ الله لا يملُّ حتى تملُّوا	٧١، ١٠٠، ٢١٠
عليكم هديًا قاصدًا ـ ثلاث مرات ـ فإنه مَن يشادَّ الدين يغلبه	٦، ٧٠
غ	
غسل الجمعة واجب على كل محتلم	١٣٢
غير الغالي فيه، ولا الجافي عنه	٨٨
ف	
فأعطِ كلَّ ذي حقٍّ حقَّه	٦، ٦٩
فسدِّدوا وقاربوا وأبشروا، واغْدوا وروحوا	٦٩
فلينظر بماذا يرجع	٨١
ق	
قام فنقرها أربعًا لا يذكر الله فيها إلا قليلا	١٨٩
قيِّدها وتوكل	٧
ك	
كنتُ أصلِّي مع النبي ﷺ الصلوات، فكانت صلاته قصدًا	٧٠

QaradawiBooks.com

الحديث	رقم الصفحة
ل	
لا تتمنَّوا لقاء العدو، وسلوا الله العافية	٢٨٧
لا ترزموه ـ أي لا تقطعوا عليه بولته ـ وصبُّوا عليه ذَنُوبًا من ماء	١٥١
لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحقِّ	٢٣٤
لا تزال طائفة من أمتي قائمة بأمر الله، لا يضرُّهم مَنْ خذلهم أو خالفهم	٢٣٦
لا تكن عونًا للشيطان على أخيك	١٨٩
لا تلعنه، فإنه يحبُّ الله ورسوله	١٨٩
لا يبولنَّ أحدكم في الماء الراكد	١٣٢
لا يقضي القاضي بين اثنين وهو غضبان	١١٢
لكن لهم رحم أبُلُّها ببِلالها	٧٨
لو كنتُ متخذًا من أمتي خليلًا دون ربي، لاتخذت أبا بكر خليلًا	٧٩
ليس من البر الصيام في السفر	٢٠٧
ليس منا مَن لم يرحم صغيرنا، ويوقِّر كبيرنا، ويعرف لعالمنا	١٩١
ليُصَلِّ أحدكم نشاطَه، فإذا فَتَر فليرقد	١٠٠
م	
ما أحسن القصد في الغنى، وأحسن القصد في الفقر	٧٠
ما أنا عليه وأصحابي	١٠٥
ما أنزل الله عز وجل داء إلا أنزل له دواء	٨٣
ما الدنيا في الآخرة إلا مثل ما يجعل أحدكم إصبعه هذه في اليم	١٨٤
ما زال جبريل يوصيني بالجار، حتى ظننت أنه سيورثه	٧٨
ما لي وللدنيا؟ ما مثلي ومثل الدنيا إلا كراكب سار في يوم صائف	٧٥

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

الحديث	رقم الصفحة
مثل المسلمين في توادّهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد	٢٠٤
من أكل الثوم أو البصل فلا يحضر صلاة الجمعة	١٣٣
مَن أكل من هذه الشجرة ـ يعني الثوم ـ فلا يقربن مسجدنا	١٣٣
مَن تعلَّم الرمي ثم نسيه فليس منا، أو فقد عصى	٨٠
مَن سرَّه أن ينظر إلى رجل من أهل الجنة فلينظر إلى هذا	١٥٢
من سقاه الله لبنا فليقل: اللهم بارك لنا فيه وزدنا منه	٨٢
من كان له شعرٌ فليكرمه	٨٢
مَن لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم	٢٠٤
المؤمن للمؤمن كالبنيان يشدُّ بعضه بعضا	٢٠٤
مَن يرد الله به خيرًا يفقهه في الدين	٢٤٧، ٢٧١
ن	
الناجي منها واحدة	١٠٥
هـ	
هذا سبيل الله. ثم خطَّ خطوطًا عن يمينه وعن شماله	١٥
هذه بتلك	٧٧، ١٧٤
هلك المتنطِّعون	٦، ٧٢، ١٨٨، ٢٢٤
هم فيه سواء	٢٨٠
و	
وأسألك القصد في الفقر والغنى	٧٠
والذي نفسي بيده، لو تدومون على ما تكونون عندي، وفي الذكر	٧٢

QaradawiBooks.com

الحديث	رقم الصفحة
وأيكم مثلي؟ إني أبيت يطعمني ربي ويسقيني	٧٤
وخير دينكم أيسره	١٨٧
﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ [البقرة: ١٤٣] قال: «عدلا»	٩٤
ي	
يا أبا بكر، ما ظنك باثنين الله ثالثهما؟	٨١
يا أيها الناس، إنما ضل من قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه	١٦٤
يا أيها الناس، توبوا إلى ربكم، فإني أتوب إلى الله عز وجل	٧٥
يا حنظلة ساعة وساعة	٦
يا عائشة، ما كان معكم لهو	٦٨
يا عثمان، إن الله قد أبدلنا بالرهبانية الحنيفية السمحة	٦٧
يد الله على الجماعة ـ وفي بعض الروايات ـ مع الجماعة	٢٣٧
يسِّرا ولا تُعسِّرا، وبشِّرا ولا تُنَفِّرا، وتطاوعا ولا تختلفا	١٥١، ٢٩١، ٢٩٢
يسعى بذمَّتهم أدناهم، وهم يَدٌ على مَنْ سواهم	٢٧٥
يقتلون أهل الإسلام، ويدعون أهل الأوثان	٢٠٣

❊ ❊ ❊

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

فهرس الموضوعات

❖ من الدستور الإلهي للبشرية ٤

❖ من مشكاة النبوة الخاتمة ٦

❖ من هدي الصحابة والتابعين ٩

• مقدمة ١١

❖ تمهيد: صلتي بالوسطية ١٧

تركيزي على الوسطية من قديم ١٧

الإسلام الأول ١٧

كتاب «الحلال والحرام في الإسلام» ومنهجي فيه ١٩

تأكيدي على منهج الوسطية منذ طلوع فجر الصحوة الإسلامية المعاصرة ٢١

حديثي في عدد من كتبي عن ملامح منهج الوسطية ٢٢

رفض بعض المتدينين منهجنا الوسطي وعودتهم إليه وتبنيهم له ٢٤

❖ الفصل الأول: مفهوم «الوسطية» ودلالتها ٢٥

مفهوم «الوسطية» في اللغة ٢٥

في معجم ألفاظ القرآن ٢٥

QaradawiBooks.com

نسخة مجانية غير معدة للطباعة

في مفردات القرآن ٢٧
كلام ابن الأثير ٢٧
معاجم اللغة الكبرى ٢٨
مفهوم الوسطية كما أدعو إليها ٣١
عجز الإنسان عن إنشاء نظام متوازن ٣٢
ظاهرة التوازن في الكون كلِّه ٣٣
الوسطية الخصيصة البارزة لهذه الأمة ٣٣
الوسطية أليق بالرسالة الخالدة ٣٤
دلالة الوسطية على معانٍ أخرى ٣٥

❖ **الفصل الثاني: مظاهر الوسطية في الإسلام ٤٣**

أولًا: وسطيَّة الإسلام في الاعتقاد والتصوُّر ٤٣
ثانيًا: وسطية الإسلام في العبادات والشعائر ٤٦
ثالثًا: وسطية الإسلام في الأخلاق والمُثُل ٤٨
رابعًا: وسطية الإسلام في التشريع والنظم ٥٠
وسط في التحليل والتحريم ٥١
وسط في شؤون الأسرة ٥٢
وسط في السِّلم والحرب ٥٣
وسط في النظام الاجتماعي ٥٥
التوازن بين الفرديَّة والجماعيَّة ٥٥
تخبط الفلسفات القديمة وتناقضها في القضية ٥٦
موقف الفلسفة الإغريقية ٥٦

QaradawiBooks.com

مذهبان متناقضان في فارس القديمة ٥٧
تناقض اليهودية والنصرانية في القضية ٥٧
تناقض المذاهب المعاصرة وصراعها حول القضية ٥٨
موقف الإسلام الفريد بين الطرفين ٦٠
❖ **الفصل الثالث: منزلة الوسطية في الإسلام** ٦٣
١ ـ القرآن يشيد بالوسطية ويهدي إليها ٦٣
مجيء الرسل بالوسطية ٦٥
٢ ـ السنَّة تؤكد الدعوة إلى الوسطية وتثبّتها ٦٦
مظاهر الوسطية في السنة ٦٧
رفض مظاهر الرهبانية وغلوِّها ٦٧
شرعية اللهو والضحك والمزاح ولا سيما في الأعراس ونحوها ٦٨
الحث على التجمُّل وإظهار آثار النعمة ٦٨
التوسط بين حقِّ الرب وحظ النفس وحقوق الخلق ٦٩
السنة تدعو إلى القصد في كل شيء ٦٩
بين الغُلوّ والجفاء ٧١
التيسير مراعاة للطاقة الإنسانية ٧١
ساعة وساعة ٧٢
قيّدها وتوكل ٧٣
الرسول هو المثل الأعلى المجسّد للحياة الوسطية المتوازنة ٧٣
الرسول العابد الزاهد ٧٤
الرسول الإنسان ٧٦

QaradawiBooks.com

الزوج المثالي ٧٧
الأب والجد ٧٧
راعي حقوق الرحم والجوار والصداقة ٧٨
رئيس الدولة ٧٩
الرسول القائد العسكري ٨٠
العامل المتوكل ٨٠
القائم بعمارة الأرض المستمتع بطيباتها ٨١
كلمة بليغة لابن القيم ٨٤
٣ ـ الصحابة وتابعوهم بإحسان يدعون إلى الوسطية ٨٧
٤ ـ علماء الأمّة وأئمتها يشيدون بالوسطية ٩٠
أبو محمد بن قتيبة ٩١
محمد بن جرير الطبري ٩١
الفخر الرازي ٩٢
أبو عبد الله محمد القرطبي ٩٤
اهتمام الفقهاء المقاصديين بالوسطية ٩٥
كلام ابن تيمية في مجموع الفتاوى ٩٧
كلام ابن القيم ٩٨
كلام الهروي وشرح ابن القيم ١٠٢
كلام الشاطبي في الموافقات ١٠٣
كلام أبي حامد الغزالي في الإحياء ١٠٤
الغزالي في سائر كتبه يؤكِّد أن المقصود بالشريعة الوسط ١٠٥
الوسطية في رياضة الطبائع ١٠٦

QaradawiBooks.com

أصناف الناس بالنسبة إلى الصراط المستقيم ١٠٩
الاقتداء بالصحابة رضوان الله عليهم ١١٠
كلام ابن الجوزي ١١٠
خير الأمور الوسط ١١١
التطلع إلى الأفضل ١١٢
طريق النبوة الطريق الأمثل ١١٤
عبيد المال ١١٥

❖ الفصـل الرابع: تصورات خاطئة حول مفهوم الوسطية ١١٧

١ ـ التصور الخاطئ الأول وردُّه ١١٧
قيام الأدلة واتفاق العلماء على أن الوسطية من خصائص الإسلام وأمته ١١٧
كلام الإمامين محمد عبده ورشيد رضا في الوسطية ١١٨
الوسطية عند الإمام الأكبر الشيخ محمود شلتوت ١٢١
الإسلام هو الصراط المستقيم ١٢١
حالة العالم قبل الإسلام ١٢١
وسط في العقيدة ١٢٢
وسط في الأخلاق ١٢٣
وسط في صلة الإنسان بالحياة ١٢٣
وسط في طريقة التشريع ١٢٣
وسط في علاقة الفرد بالجماعة ١٢٤
وسط في علاقة الأمة بغيرها من الأمم ١٢٥
الشيخ محمد المدني ١٢٧

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

الشيخ الإمام محمد عبد الله دراز ١٢٧
الإمام الأكبر محمد الخضر حسين ١٢٨
الإمام الشهيد حسن البنا ١٢٨
الإمام الشيخ عبد الحميد بن باديس ١٢٩
الإمام الشيخ الطاهر بن عاشور ١٣٠
علامة المغرب الأستاذ علال الفاسي ١٣١
العلامة عبد الجليل عيسى ١٣١
العلامة محمد الحسن الحجوي الثعالبي ١٣٤
العلامة جمال الدين القاسمي ١٣٤
الفقيه الداعية الكبير مصطفى السباعي ١٣٤
الفقيه الكبير مصطفى الزرقا ١٣٥
أديب الفقهاء وفقيه الأدباء علي الطنطاوي ١٣٥
العلامة الكبير أحمد إبراهيم ومدرسته ١٣٦
العلامة عبد الوهاب خلاف ١٣٦
العلامة الشيخ علي الخفيف ١٣٦
الإمام محمد أبو زهرة ١٣٧
العلامة محمد مصطفى شلبي ١٣٧
العلامة علي حسب الله ١٣٧
رواد ندوة العلماء بالهند وإمامها الشيخ أبو الحسن الندوي ١٣٧
الداعية الكبير الشيخ محمد الغزالي ١٣٩
الشهيد الإمام سيد قطب وحديثه عن وسطية الأمة ١٣٩
الإمام أبو الأعلى المودودي ١٤٢
الشاعر الرائد عمر بهاء الأميري ١٤٥

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

الأستاذ محمد المبارك **١٤٦**
الدكتور محمد عمارة **١٤٨**
٢ ـ التصور الخاطئ الثاني وردُّه ١٤٩
ليس معنى الوسطية التساهل في الدين **١٤٩**
منهج التيسير الذي يلتزم به دعاة الوسطية **١٤٩**
تحديد المفهوم من التيسير المقصود هنا **١٥٢**
أ ـ مراعاة جانب الرخص ١٥٢
ب ـ تقديم الأيسر على الأحوط في زماننا ١٥٣
ج ـ التضييق في الإيجاب والتحريم ١٥٥
د ـ التيسير فيما تعم به البلوى ١٥٧
هـ ـ مراعاة قواعد الشرع الميسرة ١٦٠
٣ ـ التصور الخاطئ الثالث وردُّه ١٦١
التشديد في بعض المواقف لا ينافي الوسطية **١٦١**
الخروج مؤقتًا عن الوسط لضرورة حاكمة **١٦٣**
الخروج عن سنن الوسط مقدور بقدره **١٦٣**
٤ ـ التصور الخاطئ الرابع ورده ١٦٦
الرضا بالدون وبالحد الأدنى **١٦٦**

❖ **الفصل الخامس: وسائل توجيه الأمة إلى الوسطية**
(الدعوة والتربية والإفتاء) **١٦٩**
أولًا: الوسطية في ميدان الدعوة والإرشاد ١٦٩
بين العقل والنقل **١٦٩**
بين المثالية والواقعية **١٧١**
بين الرجاء والخوف **١٧١**

QaradawiBooks.com

أصلح الأمور الاعتدال ١٧٣
قطع عقبة البواعث ١٧٤
من أحوال الخائفين وأحوال الراجين ١٧٦
كلام ابن القيم في الخوف والرجاء ١٧٧
بين الفِرَق الإسلامية المختلفة ١٧٧
بين السلفية والصوفية (نسلِّف الصوفية ونصوِّف السلفية) ١٨٠
الموقف من الحضارة الغربية ١٨١
الدعوة إلى الفناء في الحضارة الغربية ١٨١
الدعوة إلى رفض الحضارة الغربية كلِّها ١٨٢
أهل الوسط ١٨٣
ثانيًا: الوسطية في ميدان التربية والتعليم ١٨٣
نهج المربِّين الربانيين ١٩٠
موقف المربي الحق من مريديه ١٩٠
أدب المتصوفة بين الغُلوِّ والجفاء ١٩٢
مدرسة حسن البنا نموذج في التربية الوسطية ١٩٣
التوسُّط في الموقف من التراث الإسلامي ١٩٤
بين التعصُّب المذهبي واللامذهبية ١٩٤
الاعتدال في الموقف من تراث السلف ١٩٥
ما تلوَّن بلون عصره وبيئته لا يلزم العصور الأخرى رعايته ١٩٥
التوسط في الموقف من قضايا العقيدة ١٩٦
التوسط في الموقف من الأولياء ومقابرهم ١٩٧
التوسط في قضية الصفات الإلهية الخبرية ١٩٧
الاعتدال في تقويم التصوف ١٩٨

QaradawiBooks.com

التوسط في الموقف من البدعة ١٩٩
الاعتدال في النظرة إلى المجتمع وتحديد هُويته ٢٠١
مجتمعاتنا مجتمعات مسلمة ٢٠٢
الاحتراز من خطيئة التكفير للمجتمعات والأفراد ٢٠٣
حبُّ الوطن والعمل على رُقيِّه ٢٠٤
ثالثًا: الوسطية في ميدان الإفتاء والأحكام ٢٠٥
من مقدمة الجزء الثالث من «فتاوى معاصرة» ٢٠٨
المفتي البالغ الذروة مَن يحمل الناس على الوسط ٢٠٩
فقه الإعلام يجب أن يقوم على التيسير والتدرج ٢١١

❖ الفصل السادس: حاجة الأمة والبشرية اليوم إلى الوسطية الإسلامية ٢١٣
تبنِّي الوسطية الإسلامية المجدِّدة ٢١٣
لن نصلح بديلًا إذا قلَّدنا حضارتهم ٢١٥
الإسلام الذي نقدِّمه منقذًا للبشرية ٢١٧
موقف المدرسة التبريرية ٢١٧
ليس إسلام الغلاة الذي ينفِّر ولا يبشِّر ٢١٨
ننشد الإسلام الأول ٢١٩
ضياع الحقيقة بين طرفين متباعدين ٢٢١
دعوى القراءات الجديدة للقرآن وللسنة ٢٢٢
الميثاق الإسلامي للاتحاد العالمي لعلماء المسلمين ٢٢٤

❖ الفصل السابع: مفهوم التجديد ومظاهره ٢٢٧
وسطية مجدِّدة وتجديد وسطي ٢٢٧
تجديد المسرفين المتسيِّبين ٢٢٧

QaradawiBooks.com

خصوم التجديد بإطلاق ٢٢٨
التجديد الحقُّ ٢٢٨
التجديد هو البديل الإسلامي للحداثة الغربية ٢٢٩
القرآن والتجديد ٢٣٠
الارتقاء إلى الأحسن ٢٣٠
تطلُّع المسلم إلى معالي الأمور ٢٣١
التجديد في السنة ٢٣٢
عمر بن عبد العزيز مجدِّد المائة الأولى ٢٣٣
هل المجدِّد فرد أو جماعة؟ ٢٣٣
مناقشة وترجيح ٢٣٥
اختلاف مناهج العمل الإسلامي وتعدُّد الجماعات العاملة للتجديد ٢٣٥
معنى «البعث» في الحديث الشريف ٢٣٦
حاجة الفرد إلى معونة غيره ٢٣٧
أخطاء في فهم الحديث ٢٣٨
اشتراك الأمة كلها بالتجديد المنشود ٢٣٩
متى يقع التجديد؟ ٢٣٩
مَن المجدَّد له؟ ٢٤١
أمة مسلمة واحدة ٢٤٢
التجديد المطلق الكامل ٢٤٢
ما الدينُ المُجدَّد؟! ٢٤٣
معنى التجديد ٢٤٤
العودة بالدين إلى ما كان عليه يوم نشأ وظهر ٢٤٦
فقه الصحابة والتابعين ٢٤٦

QaradawiBooks.com

الفقه هو مفتاح التجديد للدين ٢٤٦
الفقه في الكون وفي الدين ٢٤٧
خطورة تذويب الفروق بين مراتب الأعمال ٢٤٨
الحاجة إلى تجديد الاجتهاد بنوعيه: الترجيحي والإبداعي ٢٤٨
واجب المجامع العلمية وكليات الشريعة ٢٤٨
عرض الإسلام بلغة العصر ٢٤٩
إعادة النظر في العلوم الإنسانية والاجتماعية ٢٤٩
تحرُّر الجامعات من رِبقة التقليد للفكر الغربي ٢٥٠
التفوُّق في فروض الكفايات من العلوم الكونية وتطوير مناهج التعليم ٢٥٠
التجديد يشمل كيان الإنسان كله ٢٥١
تجديد الإيمان ٢٥٢
أهمية الإيمان في حياتنا ٢٥٣
حاجتنا إلى تربية إيمانية حقيقية ٢٥٤
حاجتنا إلى الصوفية الربانية المعتدلة ٢٥٤
التصوف السلبي المرفوض ٢٥٥

❖ الفصل الثامن: معالم ومنارات للوسطية والتجديد ٢٥٧
المعالم الثلاثون للمنهج أو للتيار الوسطي التجديدي ٢٥٨
أضواء على معالم ومنارات الوسطية المجددة ٢٦١
١ ـ العلم الراسخ والفهم الشامل والمتوازن للإسلام ٢٦١
٢ ـ الإيمان بمرجعية القرآن الكريم والسنة النبوية ٢٦٢
٣ ـ تأسيس العقيدة على الإيمان والتوحيد ٢٦٣

QaradawiBooks.com

٤ ـ التقرُّب إلى الله بالعبادات ظاهرة وباطنة ٢٦٤
٥ ـ تزكية النفس بمكارم الأخلاق ٢٦٦
٦ ـ الدعوة إلى الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ٢٦٧
٧ ـ ترسيخ القيم الإنسانية والاجتماعية ٢٦٨
٨ ـ احترام العقل بجوار الوحي ٢٦٩
٩ ـ تجديد الدين من داخله والاجتهاد من أهله في محله ٢٧٠
١٠ ـ الدعوة إلى فقه جديد، فقه في الكون وفقه في الدين ٢٧١
١١ ـ إنصاف المرأة وتكريمها والحفاظ على فطرتها ٢٧١
١٢ ـ العناية بالأسرة نواة للمجتمع وتوسيعها ٢٧٣
١٣ ـ تكوين المجتمع الصالح المتكافل ٢٧٤
١٤ ـ الإيمان بوجود الأمة الإسلامية ووحدتها والولاء لها ٢٧٥
١٥ ـ إقامة الدولة العادلة حاملة الدعوة ٢٧٦
١٦ ـ تجنُّب التكفير والتفسيق إلا ببينة ٢٧٧
١٧ ـ تقوية اقتصاد الأمة وإقامته على أُسس إسلامية ٢٧٨
ومن أهم ما يميز الاقتصاد الإسلامي ٢٨٠
١٨ ـ الإيمانُ بضرورة التعدُّدية والتعارف والتسامح بين الشعوب ٢٨٠
١٩ ـ إنشاء حضارة العلم والإيمان ٢٨١
٢٠ ـ الرُّقيُّ بالفنون وتوظيفها في خدمة رسالة الأمة ٢٨٣
٢١ ـ عمارة الأرض وتحقيق التنمية ورعاية البيئة ٢٨٥
٢٢ ـ السلام مع المسالمين والجهاد ضد المعتدين ٢٨٦
٢٣ ـ العناية بالأقليات الإسلامية في العالم ٢٨٩
٢٤ ـ رعاية حقوق الأقليات الدينية في مجتمعاتنا الإسلامية ٢٩٠

QaradawiBooks.com

٢٥ ـ تبنِّي منهج التيسير في الفتوى والتبشير في الدعوة ٢٩١
٢٦ ـ رعاية سنة التدرُّج وسائر سنن الله ٢٩٣
٢٧ ـ الموازنة بين ثوابت الشرع ومتغيرات العصر ٢٩٤
٢٨ ـ وضع التكاليف في مراتبها الشرعية (فقه الأولويات) ٢٩٥
٢٩ ـ ضرورة الإصلاح الشامل والتغيير الجذري ٢٩٦
عوائق التقدم الحضاري للأمة ٢٩٦
إصلاح الأنظمة السياسية المستبدة ٢٩٧
٣٠ ـ الانتفاع بتراثنا الغني بما فيه من علوم وفنون وآداب ٢٩٧

❖ خـاتـمـة ٢٩٩
مختصر معالم ومنارات الوسطية والتجديد ٢٩٩

• فهرس الآيات القرآنية الكريمة ٣٠٩

• فهرس الأحاديث النبوية الشريفة ٣٢٧

• فهرس الموضوعات ٣٣٥

❊ ❊ ❊

غير مخصص للطباعة
نسخة مجانية

QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

فهرس كتب المجلد

٦ ـ ملامح المجتمع المسلم الذي ننشده ٥

٧ ـ فقه الوسطية الإسلامية والتجديد ٥٠١

* * *

غير مرخصة للطباعة

نسخة مجانية

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com